محمد فايق

عبد الناصر والثورة الافريقية





دار المستقبل العربى . القاهرة

عبد الناصر
والثورة
الافريقية

دار المستقبل العربى

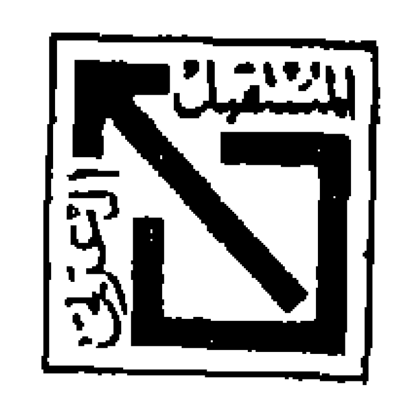
٤١ شارع بيروت مصر الجديدة

القاهرة ت ٦٦٥٩٠٠

الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٨٢

عبد الناصر والثورة الافريقية

محمد فايق



دار المستقبل العربي . القاهرة

١٩٨٢

مقدمة

احتل عبد الناصر مركز الصدارة بين قادة حركة التحرير فى عصره ، واستطاع أن يجسد آمال الشعوب المقهورة ويعبر عن الكثير من آمانيها ، وذلك من خلال معاركه الطويلة ضد سيطرة الاستعمار والامبريالية . وظهرت الناصرية كفلسفة ثورة تحددت معالمها على ارض مصر اولا بعد معارك مريرة قاوم فيها جمال عبد الناصر الأحلاف وانهى الاحتلال البريطانى وأمم قناة السويس وحول المجتمع الذى كان يعانى من الاستعمار والاقطاع وسيطرة راس المال الى مجتمع انتقلت فيه الثروة الى مالكها الشرعى وهو الشعب ، وتحررت الارادة المصرية تحررا كاملا .

وادرك عبد الناصر منذ البداية ان مصر المستقلة لا تستطيع أن تعيش وحدها . وآمن بأن الثورة المصرية جزء لا يتجزأ من ثورة التحرر الوطنى فى العالم . فالتحم بحركة التحرر الوطنى العربية التى اصبحت قاعدة انطلاقه الثورى ، كما التحم بحركة التحرر الوطنى الافريقية . ثم امتدت حركته الى آسيا وبقية العالم حتى أصبح عبد الناصر محورا للحركة الثورية فى العالم الثالث .

واصبح مفهوم الناصرية هو حصيلة الحركة فى كل هذه المجالات . وسوف نتناول فى هذا البحث حركة عبد الناصر فى مجال واحد منها ، وهو مجال عملت فيه قريبا من عبد الناصر وعشت أحداثه كلها ، وهو جزء اساسى من فلسفة ثورة ٢٣ يوليو واقصد به مجال الثورة الافريقية .

وقد استخدم اصطلاح الثورة الافريقية للدلالة على ذلك التغيير الشامل الذى اجتاح افريقيا فغير الكثير من أوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية . وقد ظهر هذا التغيير بشكل فجائى وعنيف

فى أواخر الخمسينات وبداية الستينات حينما ارتفعت أعلام الاستقلال بالجملة، وبعد أن اندلعت حركات التحرير فى جميع انحاء القارة متخذة من عواصم دولها المستقلة فى القاهرة وأكرا وكوناكرى ودار السلام وبرازافيه وغيرها قاعدة لانطلاقها ، فأنهار الكثير من الحواجز التى حاول الاستعمار اقامتها منذ وطأت أقدامه افريقيا لتفصل بين شعوبها مستغلة فروق اللغة والدين والحضارة واللون .

ولم تكن الثورة الافريقية مجرد التقاء لعدد من الثورات الافريقية فى مصر وكينيا والجزائر والكونغو وانجولا وموزمبيق وجنوب افريقيا وغيرها فحسب ، وانما كان أخطر جوانب هذه الثورة هو ذلك الاحساس بالانتماء الى القارة الذى زرعته الحركة الافريقية عميقا فى وجدان الافارقة فى جميع أرجاء القارة فجعلتهم يتغنون بشعارات الوحدة الافريقية بعيدا عن سيطرة الرجل الاوربى والاستغلال الاستعمارى . وأصبح هذا الاحساس يشكل فكرا متسلطا يأخذ بألباب الافارقة فى كل مكان .

ورغم أن هذا الاحساس بالانتماء الافريقى لم يخرج عن كونه شعورا عاطفيا فى معظمه ، الا أنه كان أساسا لازما للتعبئة الثورية ولاحتواء المثقفين الافارقة الذين كانت الثقافة الغربية قد بهرت الكثير منهم فلم يجدوا أمامهم من خلاص سوى الانتماء الى هذه الحضارات الغربية باعتبارها الطريق الوحيد للقضاء على التخلف والجهل الذى غرقت فيه شعوبهم ، وكان الاستعمار يجد فى هؤلاء فرصته لفرض سياسات الاستيعاب « Assimilation » للمثل الفرنسية التى حاولت فرنسا ادخالها فى مستعمراتها والسياسات المشابهة فى المستعمرات البرتغالية ومناطق الاستيطان فى القارة .

وجاء هذا الاحساس بالانتماء ليعطيهم الامل فى المستقبل ويولد فيهم الشعور بالزهو . فكانت محصلة ذلك كله طاقة هائلة ساعدت فى بلورة الشخصية الافريقية . واستطاعت افريقيا أن تفرض وجودها فى المجتمع الدولى ، فغيرت الكثير من المفاهيم السائدة فى هذا المجتمع بما يعيد لافريقيا وللافريقيين الكثير من حقوقهم المسلوبة .

وبطبيعة الحال فان الثورة الافريقية لم تخرج من فراغ ، فلا شك انه قد كان لها انسيابها وجذورها الممتدة عبر التاريخ ، ولكنها كأى ثورة كانت تحتاج الى الزعيم أو الزعماء القادرين على قيادة هذه الشيوة وترسم طريقها فى لحظاتها الحاسمة .

واذا كنا نسلم بأن الزعماء الذين قادوا ثورة افريقيا هم جمال عبد الناصر وكينياتا ، ونكروما ، وسيكوتورى ، وبن بيللا ولومومبا وفيلكس مومى وكاؤندا وجوشوا نكومو ونيريرى ومندلانى واميل كابرال ومحمود حربى وغيرهم فاننا نستطيع بكل الاطمئنان ان نقول ان جمال عبد الناصر قد لعب الدور الاخطر والأعظم بشهادة التاريخ وشهادة هؤلاء أنفسهم .

لقد استطاع عبد الناصر ان يرد كل الثقة والكرامة لشعوب افريقيا التى قهرها الاستعمار وأطبق على انفاسها قرونا طويلة . وزرع عبد الناصر فى كل افريقى ذلك الاحساس بالعزة والكرامة والكبرياء والفخر ، والانتماء الى تاريخ وحضارات ذات ماض وذات مستقبل . فعندما كشفت مصر عن وجهها الافريقى الصحيح لأول مرة فى تاريخها الحديث بعيدا عن فكرة الامبراطورية التى ظلت تملأ عقول زعمائنا الوطنيين حقبة طويلة من الزمن ، وأعلن عبد الناصر انتماء مصر للحركة الافريقية وتحملها عبء حركة التحرير الافريقية ، واصبح هذا الانتماء جزءا لا يتجزأ من الشخصية المصرية ، كان عبد الناصر قد اضاف بذلك حضارة مصر العريقة لتصبح رصيدا لافريقيا كلها بجانب حضارتها الزنجية ، وهو شىء كانت افريقيا فى مسيس الحاجة اليه وهى ما زالت فى مرحلة تتحسس فيها جذورها لتستقى منها ما تدفع به حركتها امام العالم وفى مواجهة قوى الاستعمار الشرسة .

وبعد حرب السويس فتح عبد الناصر أبواب المستقبل امام شعوب القارة التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار . فبانتصار مصر فى معركة تأميم قناة السويس وقضائها على العدوان الثلاثى لم يعد هناك احد يشك فى أن عهد الامبراطوريات قد انتهى كما انتهت سيطرة بريطانيا فى مصر . وهز ذلك صورة انجلترا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال فى افريقيا هزا عنيفا وزلزل امبراطورياتها التى تداعت بعد ذلك فى سرعة مذهلة .

ولن نكون مبالغين اذا قلنا ان ثورة يوليو المصرية قد احدثت من التغيير وتركت من التأثير فى افريقيا ما لا يقل بحال من الاحوال عن ذلك التغيير والتأثير الذى أحدثته وتركته الثورة الفرنسية فى أوروبا .

فاذا كانت الثورة الفرنسية قد زرعت مبادىء الحرية والاخاء والمساواة عميقة بين شعوب اوربا وقضت على الاقطاع وامتيازات النبلاء والالقاب ، فان الثورة المصرية هى التى اعطت الشعوب الافريقية القدرة على استخلاص حقوقها وفقا لهذه المبادىء والمعانى العظيمة ، والتى كان تطبيقها يقف دائما خارج حدود المستعمرات حيث كان يصطدم هذا التطبيق بمصالح المستعمرين الاوربيين .

فعندما قامت الثورة الفرنسية كان طبيعيا الا تنكر فرنسا حقوق الانسان التى اعلنتها هذه الثورة على رعاياها فى مستعمراتها . وكان دانتون على حق عندما قال : « لقد كان الجميع عبيدا فى حكم البربون المستبد والآن يجب أن يتحرر الجميع ليصبحوا مواطنين فى الجمهورية الفرنسية » ونجح دانتون فى استصدار قانون ينص على اعتبار جميع الرجال الذين يعيشون فى المستعمرات الفرنسية مواطنين فرنسيين دون تمييز فى اللون . وأن يتمتع هؤلاء بجميع الحقوق والمزايا المنصوص عنها فى الدستور الفرنسى .

ولكن سرعان ما الغى هذا القانون فى عهد نابليون — وقبل أن يصبح له أى آثار عملية ، بل ان وثيقة اتهام دانتون التى أعدها روبسبيير احتوت اتهاما بشأن هذا القانون . فقد أتهم بانه قدم قانونا يؤدى الى القضاء على الامبراطورية الفرنسية . وأنكرت فرنسا بذلك على الشعوب الافريقية حق الإستمتاع بهذه المبادىء والحقوق التى حاربت هى نفسها من أجل فرضها فى أوربا لتحرير شعوبها المقهورة .

ولم يكن هذا موقف فرنسا وحدها وانما كان موقف دول الاستعمار الاوروبى والولايات المتحدة الامريكية . فلم يمنع الاعلان الشهير للرئيس الامريكى ويلسون — والذى تضمن قواعد ومعانى جديدة فى حكم الشعوب — لم يمنع ذلك الرئيس ويلسون نفسه من أن يعترف بالحماية البريطانية على مصر فى ابريل سنة ١٩١٩ وكان فى ذلك صدمة كبيرة لزعماء الحركة الوطنية فى مصر الذين علقوا الآمال الكبيرة على موقف امريكا بعد اعلان ويلسون .

لقد كانت المواثيق الدولية وحقوق الانسان بما فى ذلك ميثاق الامم المتحدة كلها تقف عاجزة عن تغيير الأوضاع فى افريقيا والمستعمرات الاخرى رغم ما تحتويه هذه المواثيق من معان انسانية عظيمة ، وبدا الامر وكانها صدرت من أجل الانسان الاوربى فقط .

ولكن بقوة الثورة استطاعت أفريقيا واستطاعت الشعوب المستعمرة ان تجعل لهذه المبادىء والمواثيق قيمة حقيقية فكان هذا التغيير الهائل فى أفريقيا وفى العالم الثالث أجمع .

وجاءت الثورة المصرية لتكون البداية لهذا التحول العظيم وقوته الدافعة بعد ان استطاع عبد الناصر ان يحرر الارادة المصرية بعيدا عن اى سيطرة أجنبية ، ويجعل من ارض مصر قاعدة للثورة الافريقية ، كما اصبحت من قبل قاعدة للثورة العربية . وهكذا شكل التزام مصر بقضايا التحرر العربى والافريقى قوة اضافية فى مقاومة الاستعمار فى جميع اجزاء القارة

الافريقية حيث كانت تتمثل فى هذا الالتزام وحدة النضال ووحدة الهدف . وشعر كل جزء من افريقيا أن له سندا قويا وحليفا عنيدا . فبرزت الثورات فى القارة كما برزت فى العـالم العربى . واستحق عبد النـاصر عن جدارة ان يلقب بمفجر الثورة الافريقية .

وعندما قامت ثورة يوليو لم يكن لمصر اهتمام يذكـر او اى صـلات بالحركات الوطنية فى افريقيا ، اللهم الا بالسودان فقط باعتباره قطرا عربيا فى المقام الاول وتطلعا الى وحدة وادى النيل ، هذا الشعار الذى رفعه جميع زعماء وحكومات مصر السابقة على ثورة يوليو . ولم يكن لمصر حتى ذلك الوقت اى سياسة افريقية بالمعنى الصحيح وان كانت لها سفارة فى اديس ابابا عاصمة اثيوبيا ومفوضية فى جنـوب افريقيا علاوة على المندوب المصرى فى المجلس الاستشارى فى الصومال الذى كان موضوعا تحت وصاية الأمم المتحـدة .

ولكن كانت لنا بافريقيا صلات ثقافية قامت مع انتشـار الاسـلام فى القارة وكان فى الازهر الشريف عدد كبير من الطلبة الافريقيين أتوا مـن جميع انحـاء القارة يدرسون فى ازوقته بعد أن جذبتهم شـهرة الازهـر وانفتاحه على المسلمين فى جميع انحاء العالم .

كانت هذه هى كل الصلة التى تربط مصر بافريقيا ولا شئ آخر سوى واقع حقيقى هو الوجود الجغرافى لمصر فى القارة الافريقية ، وتاريخ بعضه قديم من العهود الفرعونية وان كنا لا نعرف على وجه التحديد مدى هـذه العلاقة ، الا انه من المؤكد أن ثمة علاقة كانت موجودة بين مصر الفرعونية واقطار افريقية كثيرة ، فقد وصل المصريون القـدماء الى بلاد « البنت » وهى ما تعرف حاليا بالصومال كما انه من المؤكد وصولهم جنوبا الى ملتقى النيل الابيض بالنيل الازرق (موقع الخرطوم الحالى) كما يعتقد أنهم عرفوا شيئا عن النيل الازرق وربما كانت لهم صلة بمناطق فى غرب افريقيا (١) .

وبعض هذا التاريخ حديث ولكنه لا يصلح ليكون مدخلا مثاليا للعلاقات الافريقية الجديدة لأنه اعتمد على الفتوحات فى عهد محمد على واسماعيل باشا . فقد وصلت سيطرة مصر الى شواطئ افريقيا الشرقية والى منطقة

---

(١) لقد بذلت بعض الجهود لايجاد صلة بين الاديان فى مصر الفرعونية وبين الطقوس والاعتقادات الموجودة فى افريقيا . وقد وجد G. O. Locas الموجودة فى افريقيا . وقد وجد نيجيريا والديانات المصرية القديمة ويقول انه يوجد النصف على الاقل من كلمات اليوربا تحتوى على جذور مصرية ولكن لا توجد الحجة القاطعة حتى الان التى تؤكد هذه الصلة بين الديانات فى مصر الفرعونية وبين الطقوس والاعتقادات الموجودة فى افريقيا .

البحيرات الاستوائية ولكن ذلك كله كان تاريخا قطع صلته بالحاضر ولم يبق منه فى ذلك الوقت سوى وجود اسمى فى « السودان المصري الانجليزى » فى حين بقيت السلطة والادارة الفعلية هناك فى يد الانجليز .

وجاء جمال عبد الناصر ليضع استراتيجية جديدة لسياسة مصر الخارجية فى كتابه « فلسفة الثورة » . فحدد هذه السياسة بدوائر ثلاث هى العربية والافريقية والاسلامية . وكان معنى ذلك الاهتمام بالقارة الافريقية التى تقع فيها إحدى هذه الدوائر وتتقاطع فيها ايضا الدائرتان الآخريان . ففى افريقيا تسع دول عربية (حاليا) كما يعتبر الدين الاسلامى فيها أوسع الاديان انتشارا .

واستطاع عبد الناصر بمساعداته الفعالة والايجابية ومواقفه النضالية أن يجعل من مصر محورا وقاعدة للحركة الافريقية بعد أن كانت بعيدة عنها تماما . كما استطاع أن ينقل هذه الحركة الافريقية الى مرحلة الثورة ويضيف اليها ابعادا جديدة . فبعد أن كانت الحركة الافريقية تسير فى اتجاه يحصرها فى نطاق ما سمى بأفريقيا السوداء أو افريقيا جنوب الصحراء الأمر الذى جعلها تبدو فى معظمها حركة بين الزنوج ومن اجلهم ، اصبحت ثورة قارية تشمل افريقيا كلها وتجاوزت الحدود التى تجعل منها مجرد ردود فعل لحركة الاضطهاد العنصري، واصبحت ثورة ذات ابعاد سياسية واجتماعية .

الفصل الأول

تطور الحركة السياسية فى افريقيا حتى قيام ثورة يوليو المصرية

تطور الحركة السياسية فى افريقيا حتى قيام
ثورة يوليـــو المصرية

جاءت صلة افريقيا الاولى بالعـــالم الخارجى من خلال تجارة الرقيق التى انتهت فى القرن التاسع عشر . وامتد النفوذ الاوروبى الى جميع اجزاء القارة بعد اخضاعها وتحويلها الى مستعمرات . ومن هنا تحددت العلاقة بين الرجل الاوربى والرجل الزنجى سواء فى افريقيا نفسها أو فى العــــالم الغربى بزعم أن العنصر الزنجى عنصر متخلف حضـــاريا وذهنيا حتى من الناحية البيولوجية وانه وفقا لهذه المزاعم غير قادر على ان يقوم بالاعمال التى يقوم بها الرجل الابيض بنفس الكفاءة . وعلى هذا الاساس فلا يجوز له أن يتمتع بنفس الحقوق التى يتمتع بها الرجل الابيض ، وكانت هذه هى الفلسفة الظالمة التى اقتنع بها الرجل الاوروبى نفسه لاسباب اقتصادية فى المقام الأول . وقد اشتدت مظاهر هذه التفرقة فى الولايـــات المتحـــدة الامريكية على وجه الخصوص ، حيث استجلبت الاعداد الهائلة من زنوج افريقيا لتعمير العـــالم الجديد بالايدى الرخيصة .

وبعد أن أتيحت فرصة التعليم للعديد من زنوج امريكا ولمع منهم ادباء وفنانون ، ظهرت بينهم حركة فكرية وادبية فى أواخر القرن التـــاسع عشر واوائل القرن العشرين . وكانت هذه الحركة فى بدايتها تعكس العـــذاب النفسى والظلم الذى يعيش فيه الزنوج نتيجة لتسلط الرجل الاوربى الذى استولى على أرض اجدادهم وحولهم من أحرار الى عبيد أرقاء .

ثم تطورت هذه الحركة لتدافع عن الرجل الاسود وتدفع عنه الشعور بالنقص لمجرد كونه اسود ، فظهرت الإشعار التى تتغنى باللون الاســـود وقوة الرجل الاسود والتى تقول ان الزنجى هو صورة الله فى الارض .

وكان لابد لهؤلاء ان يبحثوا لانفسهم عن حضارة وتاريخ ينتمون اليه . ولكن احدا من الزنوج لم يكن يعرف موطنه الأصلى على وجه التحديد ، فهم جميعا يعرفون فقط أنهم اتوا من القارة الافريقية ومن هنا جاء انتماؤهم الى افريقيا ككل وليس لبلد محدد .

واراد هؤلاء المفكرون الاوائل من الزنوج ان يصححوا تلك الصورة الظالمة القاسية التى ترسخت فى الأذهان عن افريقيا لفترة طويلة من الزمن كان الخوف خلالها يملأ نفوس الزنوج أنفسهم من فكرة الارتباط بافريقيا . ولذلك ظهرت حركة واسعة للتاليف عن تاريخ القارة الافريقية وابراز البطولات الافريقية ودورها ، ومقاومة الاستعمار ، وتاريخ الامبراطوريات الافريقية القديمة ، امبراطوريات غانا ومالى وسونغاى ، وسلطنات زنجبار وسومالا وكلوة ومقديشو . وذلك كله فى محاولة لتاكيد الشخصية الزنجية .

ثم امتد اهتمام هذه الحركة الى احوال افريقيا التى يعيش اهلها تحت نير الاستعمار والاضطهاد الذى يتعرض له الافريقيون وخاصة فى جنوب افريقيا حيث تشتد وطأة التفرقة العنصرية . وكان هذا هو الطريق الى حركة البان افريكانزم « Pan Africanism » أو ما اصطلح على تسميتها بالجامعة الافريقية .

وقد تبلورت هذه الحركة لتاخذ شكلا اكثر تحديدا بعقد سلسلة من المؤتمرات ابتداء من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٤٥ شملت العديد من الافارقة الذين يتعلمون فى جامعات اوربا . وأطلق على هذه المؤتمرات « مؤتمرات الجامعة الافريقية » « Pan African Congress »

وكان المؤتمر الأول فى لندن(١) وانتهى بتوجيه مذكرة الى ملكة بريطانيا يحتج فيها المؤتمرون على سوء معاملة الافارقة فى جنوب افريقيا وروديسيا . وعقدت المؤتمرات الثلاثة التالية فى عواصم أوربية والمؤتمر الخامس فى نيويورك . واهتمت هذه المؤتمرات الخمسة جميعها بحقوق الوطنيين الافريقيين ولكنها اكتفت بالمطالبة باشراكهم فى الحكم دون المناداة بالاستقلال . وكانت هذه المؤتمرات تحت سيطرة وقيادة المفكرين من زنوج أمريكا وجزر المارتينيك .

بعد قيام الحرب العالمية الثانية انتقل مركز ثقل الحركة الأفريقية الى لندن ، وكان بها كثير من التنظيمات الافريقية التى أقامها الافريقيون الذين يدرسون هناك . وأمكن لبعض الذين اشتركوا فى المؤتمرات السابق ذكرها المساهمة فى اقامة تنظيمات سياسية مع الافارقة الموجودين فى لندن .

---

(١) دعى لهذا المؤتمر محام من ترنداد هو سلفستر وليامز « Sylvester Williams » وهو أول من تكلم عن الجامعة الافريقية . وقد حضر هذا المؤتمر الدكتور وليام دى بوا « W. Du Bois » الذى رأس جميع المؤتمرات الخمسة اللاحقة بعد ذلك والذى لقب بابى الجامعة الافريقية .

وفى عام ١٩٤٤ اتحدت مجموعة من التنظيمات والجماعات الافريقية مكونة تنظيما جديدا باسم « Pan African Federation » وكانت هذه المجموعة هى التى وجهت الدعوة للمؤتمر الافريقى السادس من سلسلة مؤتمرات الجامعة الافريقية والذى عقد فى مانشستر عام ١٩٤٥ برئاسة دكتور وليام دى بوا . وقد برز فى هذا المؤتمر عدد من القيادات الافريقية التى تولت زمام الأمور فى افريقيا بعد ذلك من امثال نكروما وجوموكنياتا .

وقد اثبت هذا المؤتمر ان الحركة الافريقية قد نضجت كثيرا خلال المدة الأخيرة واصبحت حركة ذات اتجاهات واضحة متبلورة الى حد كبير ، واصبحت معاداة الإستعمار والامبريالية هى الخط الرئيسى للحركة الافريقية . ولأول مرة يدعو هذا المؤتمر للاستقلال الوطنى باعتباره الحل الوحيد لتحقيق امانى الشعوب الافريقية كما ذهب المؤتمر الى جد التلويح باستخدام القوة لتحقيق ذلك . كما احتوت قراراته على ادانة الاحتكار راس المال وادانة لتسخير الثروة والصناعة من أجل الربح الخاص فقط . ورحب المؤتمر بالديمقراطية الاقتصادية باعتبارها وحدها الديمقراطية الحقيقية . وطالب كذلك بالاستقلال الاقتصادى بجانب الاستقلال السياسى .

ورغم أن المؤتمر لم يأت بذكر كلمة الاشتراكية فى قراراته الا انه كان من الواضح ان الأفكار الاشتراكية كانت قد بدات تتسرب الى عقول قادة الحركة الافريقية . ولا شك ان هذا المؤتمر كان بمثابة قفزة كبيرة حققتها الحركة الافريقية الا انها بقيت حتى ذلك الوقت محصورة كحركة سوداء تعنى بحق الرجل الاسود . وعندما تتكلم عن أفريقيا تعنى أرض الزنوج او أفريقيا السوداء جنوب الصحراء . وان كانت هذه الحركة قد ابدت اهتماما بشعوب آسيا وبعض قضاياها فلانها شعوب ملونة تعانى ما يعانيه رجل افرقيا الاسود .

ويلاحظ غياب الشمال الافريقى عن نشاط هذه المؤتمرات . بل ان المؤتمر الثانى الذى عقد فى باريس كان يضم بخلاف الاعضاء الاصليين اعضاء متآخين « Fraternal Delegates » من الهند والفلبين والمغرب . اى أن المغرب وهو من شمال أفريقيا عومل نفس معاملة الدول الآسيوية غير الافريقية . فقد كانت الحركة الافريقية حتى ذلك الوقت مهتمة بالرجل الأسود تريد أن تعيد له كرامته وتحقق له استقلاله .

وقد برز فى حياة الزنوج الامريكيين دعوة « العودة الى أفريقيا » باعتبارها حلا لمشكلة التفرقة العنصرية فى امريكا . ولا أريد الخوض فى

تفاصيل هذا الموضوع الذي يطول الحديث عنه ، ولكن كل ما يهمنا من أمر هذه الدعوة هو الحديث عن أحد روادها وهو « ماركوس جارفى » باعتباره احد قادة الحركة الافريقية الذين تأثر بهم كثير من القــادة الافريقيين ودعاة الوحدة الافريقية . فقد كانت دعوة جارفى مبنية على نظرية النقاء العنصرى Racial Purity ولذلك كان يكره المخلطين ويحمل عليهم وكان يقول : « اعتقد فى عنصر أسود نقى كما يعتقد البيض فى عنصر أبيض نقى » ورفض استعمال كلمة ملون واستعمل جارفى دائما كلمة زنجى او اسود حتى يستبعد العناصر الملونة الاخرى من غير الزنوج .

وقد اعلن جارفى نفسه رئيسا مؤقتا لجمهورية افريقيا . وهى جمهورية رعاياها هم الزنوج فى جميع انحــاء العالم وكان ذلك عام ١٩٢٠ فى نيويورك حيث شكل حكومته المؤقتة . وكان جارفى يقول لن تمضى سنوات معدودة حتى يستعمر الرجل الاسود الزنجى افريقيا كلها كما يستعمر العنصر الابيض اوروبا . كما اسس جارفى الكنيسة الارثوذكسية الافريقية وعين بطريركا اسود لرئاستها واستخدم مسيحا اسود وعذراء ســوداء كشعار لهــذه الكنيسة . وكان هدف جارفى اقامة امبراطورية عنصرية سوداء حدودها الروحية والطبيعية والسياسية « الله وافريقيا » كما كان يقول دائما .

وقد لا يتسع المجال هنا للخوض فى تفاصيل اكثر عن هذه الحركة التى ثار من حولها جدل كبير . ولكن الامر الذى يهمنا ايضاحه هو ان فكر جارفى هذا كان احد التيارات الهامة داخل الحركة الافريقية . ولا يمكن أن نتصور بطبيعة الحال أن مثل هذا الاتجــاه كان يمكن أن يقود الى وحدة كل الشعوب الافريقية فالعرب ليسوا زنوجا حتى يكونوا من رعايا امبراطورية جــارفى المعلنــة .

ومن الغريب أن المصرى الوحيد الذى تردد اسمه فى اى شىء يتعلق بالحركة الافريقية أو حركة الجامعة الافريقية التى ملأت الولايات المتحــدة ولندن وباريس لفترة طويلة من الزمن واسمه دوس محمد على(١) كان على صلة بدعوة جارفى هذه والتى مهما بلغت درجة التعاطف معها فلا يمكن ان ننفى عنها صفة العنصرية .

---

(١) قال جورج بادمور فى كتابه « Pan Africanism or Communism »

ان جارفى عنــدما ذهب الى لندن لأول مرة قضى عــدة ســنوات يعمل مع مصرى من اصــل ســودانى هو دوس محمد على الذى كان محررا باحدى المجلات المعادية للامبرياليــة وكان محمد على من مؤيدى ســعد زغلول زعيم الوفــد ولكن من الواضــح ان دوس محمد على هذا لم يباشر نشاطه المتعلق بهذه الحركة باسم حزب الوفد .

واذا انتقلنا الى ميدان الفكر والأدب الذى كان ازدهاره أكثر ما يكون فى باريس سنجد نفس الاتجاه الذى كان يحصر الحركة الافريقية داخل افريقيا السوداء ويجعلها أسيرة لرد فعل الاضطهاد العنصرى ويبقيها حركة بين الزنوج ومن أجلهم .

ففى نفس الوقت الذى انتقل فيه نشاط الحركة الافريقية السياسى من الولايات المتحدة الامريكية الى لندن ، اصبحت باريس مركزا لحركة الأدب والفكر الافريقى حيث ظهرت فلسفة أو حركة جديدة عرفت باسم « الزنوجة » Negretude والتى تعاون كل من ايميه سيزار Aime Cesar من جزر المارتينيك وليوبولد سينغور « رئيس جمهورية السنغال بعد ذلك » فى بلورتها . وكما هو واضح من اسم هذه الحركة فهى تهتم بالأصل الزنجى وتدور فلسفتها كلها حول الرجل الاسود الزنجى تريد أن تحقق له ذاته وتعيد له ثقته بنفسه . وهى من أجل ذلك تريد اكتشاف الجذور الاصيلة الزنجية مجردة من تأثيرات الثقافة الغربية ، تدعو للبحث عن عادات الزنوج وتقاليدهم المفقودة ، وهى ترى امكانية الوصول الى ذلك من خلال الفن والأدب الافريقى ، فهو القادر على توضيح النفس السوداء واظهارها .. وهكذا يمكن للزنجى أن يواجه عالما يجد فيه ذاته وله فيه دوره المميز .

ورغم ان هذه الحركة الفكرية التى نبتت فى جزر المارتينيك ونضجت فى باريس كان لها مساهمتها واثرها البعيد فى تدعيم الدعوة للوحدة الافريقية عن طريق تأكيد الشخصية الافريقية وايجاد وحدة الفكر ، الا ان ذلك ايضا كان محصورا بين الزنوج فقط وبذلك فان الوحدة التى كان يمكن أن تؤدى اليها مثل هذه الحركة هى وحدة أفريقيا السوداء .

وحتى هذه الدعوة للوحدة قد أصابها الضرر من الآثار الجانبية التى خلفتها هذه الحركة نفسها ـ حركة الزنوجة ـ لانها وان كانت تهتم بالزنوجة بصفة عامة ، فانها لم تصادف النجاح المنشود الا بين الزنوج الناطقين بالفرنسية فقط والذين تأثروا بالثقافة الفرنسية . وعندما انتقلت الى القارة الافريقية كان تأثيرها مقصورا على دول الفرانكوفون الناطقة بالفرنسية فقط وكان ذلك من بين العوامل التى ساعدت فى ظهور تقسيم جديد فى افريقيا بين ما سمى بدول الانجلوفون (الناطقة بالانجليزية) ودول الفرانكوفون . وهو تقسيم عانت منه الوحدة الافريقية أشد معاناة .

وحتى نكروما عندما بدأ فى مناقشة فكرة انشاء « اتحاد الجمهوريات الافريقية الاشتراكية » مع بعض أصدقائه فى لندن عام ١٩٤٦ لم يشرك معه

تنظيمات أو أى قيادات من الشمال الافريقى رغم أن الحركة الوطنية فى هذه المنطقة كانت متقدمة عنها فى جميع مناطق أفريقيا الأخرى . والنتهى نكروما الى انشاء « السكرتارية الوطنية لغرب افريقيا » فى لنـدن عام ١٩٤٦ لتكون نواة لدعوته للوحدة الافريقية وبقى نشاطه الآخر محصورا فى افريقيا السوداء الى أن استقلت غانا .

وقد عملت الدول الاستعمارية من ناحيتها دائما على تدعيم فكرة الفصل بين أفريقيا العربية وافريقيا السوداء واعتبار الصحراء الفاصل العـازل بينهما . وقد ظهر ذلك جليا فى التقسيمات الاقليمية وخطوط المواصلات التى اقامتها هذه الدول لتربط مستعمراتها ، كما ظهرت فى مناهج التعليم والمؤلفات الغربية عن افريقيا .

وهكذا نرى أن الحركة الافريقية استمرت فى مجملها متصـورة على افريقيا السوداء وان الوحدة الافريقية كانت تعنى وحدة الأقطار السوداء الى أن قامت ثورة يوليـو المصرية وجاء عبد الناصر ليعلن فى كتـابه فلسفة الثورة « .. اننا لا نستطيع بأية حال ان نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين . وسوف تظل شـعوب القـارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة الذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله . لن نستطيع بحال من الاحوال ان نتخلى عن مسؤولياتنا فى المعـاونة بـكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى اعماق الغابة العذراء ، ان القارة المظلمة الآن مسرح لفوران عجيب مثير ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى أفريقيا ونتصور انه لا يمسنا ولا يعنينا » .

وكانت هذه نقطة تحول فى تاريخ السـياسة الخارجيـة المصريـة واستراتيجيتها وبداية للاهتمام بالقارة الافريقية على أساس جديد هو وحدة النضال من أجل تحرير افريقيا كلها . لقد كان هذا هو المدخـل الصحيح لافريقيا الذى جاء متمشيا مع روح العصر وتطور الحركة الافريقية نفسها . فقد وضع عبد الناصر يده على مشكلة افريقيا وحدد بوضوح موقف مصر التى أصبحت منذ ذلك الوقت طرفا الى جانب القوى الوطنية الافريقيـة فى كل صراع جرى بعد ذلك وكان الاستعمار طرفا فيه ضد هذه القوى .

وقدمت مصر كل مساعدة ممكنة لحركات التحرير والقوى الوطنية فى افريقيا ، وهذا ما سوف نتعرض له تفصيلا فيما بعد — حتى أصبحت القاهرة القاعدة الاساسية لتحـرير القـارة ، فسقطت التقسيمات المصطنعة التى أريد لهـا أن تفصل بين أفريقيا العربية شمال الصحراء وما سمى بأفريقيا

السوداء جنوب الصحراء . فالصحراء فى حقيقة الأمر لم تكن فى يــوم من الايام عازلا كما أراد لها الاستعمار ، بل كانت دائما معبــرا اتصل من خلالها العرب بغرب أفريقيا وعن طريقها دخل الاسلام الى هذه الأقطار .

ويجدر بنــا الاشارة فى هذا المكان الى انه من غير الممكن وضع حدود فاصلة بين العرب الافارقة وبقية سكان القارة ، فقد انتشر العــرب فى القارة كلها شرقها وغربها وتداخلت القبائل العربية فى القبائل الافريقيــة وتزاوج العرب والافريقيون ، واحدث العرب تاثيرا كبيرا فى حيــاة كثير من الشعوب الافريقية فامتزجت الحضارة الاسلامية العربية بالحضارة الافريقية القديمة وظهر ذلك جليا فى أوسع اللغات الافريقية انتشارا مثل السواحيلى فى الشرق والهوسا فى غرب افريقيا . وربما كان هذا هو الفارق الكبير بين هذه الحضارات والحضارة الاوربية التى أريد لها أن تكون حضارة طاردة فى افريقيا أى انها تتطلب من الافريقى أن يترك عاداته واسلوبه فى الحيــاة ليعتنق عادات وسلوكا جديدا حتى يصبح رجلا « متمدنا » كما كانت تتطلب بعض السيــاسات الاســتعمارية كسياسة الاستيعاب « Assimilation » الفرنسية وهى أيضا نفس الشروط التى كان يتطلبها الاستعمار البرتغالى ليحصل المواطن الافريقى على الحقوق السياسية الكاملة .

ويهمنا ان نؤكد هنا أيضا أن الثورة المصرية عنــدما اتجهت بمصر افريقيا لم تكن بذلك تختلــق وضعا جديدا او تدخل شيئا غريبا عن الشخصية المصرية وانما كان ذلك بمثابة الكتشاف لشخصية مصر الحقيقية أو كشــفا عن وجهها الافريقى الذى هو حقيقة بحكم الواقــع وان احتجب أو تاهت ملامحه فترة من الزمن .

الفصل الثانى

عبد الناصر وحركة التحرير الافريقية

بداية فى السودان

التزام مصر بمسؤولياتها الدولية فى الصومال

مصر تؤيد حركة الماو ماو فى كينيا

الاذاعة الافريقية الموجهة من القاهرة

الثورة الجزائرية وتصفية الامبراطورية الفرنسية

عبد الناصر والتضامن الافريقى الاسيوى

المكاتب السياسية لحركات التحرير الافريقية فى القاهرة

الرابطة الافريقية

المساعدات المصرية لحركات التحرير

التقت الحركات الوطنية فى العالم العربى مع الثورة المصرية وتجاوبت مع فكرها وحركتها فى سرعة مذهلة ، الأمر الذى دعم مصر فى مواجهة تحديات الاستعمار . ولا شك ان ذلك كان من الامور التى شجعت عبد الناصر ليعجل بمد نشاطه الى افريقيا والاتصال بحركات التحرير فيها .

الا أن الوضع فى افريقيا كان مختلفا كثيرا عن الوضع فى الوطن العربى ، فمجرد الاتصال بالحركات الوطنية فى افريقيا كان فى البداية أمرا بالغ الصعوبة . كما أن المعلومات المتوفرة عن هذه الحركات كانت قليلة جدا ، وقبضة الاستعمار القوية تقيم الحواجز بيننا وبين شعوب هذه المنطقة حتى أنه لم يكن يسمح بسهولة باضافة القاهرة على جوازات السفر الافريقية . كما كان أى مصرى يجد صعوبة كبيرة فى مجرد دخول هذه المستعمرات . ولذلك كان لابد لنا من التحايل لدخول هذه الاقاليم لاستكمال الدراسات الميدانية والاتصال بالحركات الوطنية التى لم تكن هى بدورها تعلم الكثير عما يدور فى مصر .

ومن اجل اقامة الاتصال مع الحركات الوطنية كنا نتصيد الزعماء المسلمين من افريقيا عندما يذهبون للحج والقادة السياسيين عندما يذهبون الى عواصم الدول الاستعمارية نفسها . واستفدنا بمعلومات الآلاف من الدارسين الافارقة فى الازهر الذين ساعدونا كثيرا فى الاتصال بالزعماء الوطنيين فى بلادهم .

وسرعان ما تبدل الحال بعد ان توطدت علاقتنا بالعديد من الحركات الوطنية فى افريقيا وذاع صيت القاهرة كقاعدة للتحرير وخاصة بعد حرب السويس . واصبح الافارقة هم الذين يتحايلون للوصول الى القاهرة والاتصال بها ، رغم تشدد سلطات الاستعمار ومحاولتها وقف هذه الاتصالات أو تقييدها .

وقد قدمت ثورة يوليــو نموذجا جديدا للتحرير فى أفريقيا ، فلم تكن الحركة الوطنيـــة فى أفريقيا تعرف حتى ذلك الوقت طريقا للاستقلال سوى طريق التطور الدستورى . وهو الطريق الذى أدى الى استقلال الهنــد من قبل والذى تأثرت به الحركة الوطنية فى أفريقيا ، وخاصـــة فى مناطــق الاستعمار الانجليزى حيث كان للهند صلات كبيرة من خلال الجاليات الهندية الموجودة فى هذه المناطق ، ولتأثر كثير من زعماء الحركة الوطنية بفلســفة المهاتما غاندى الذى بدأ حياته السياسية فى جنوب افريقيا .

وكان الجديد الذى جاءت به ثورة يوليو هو أسلوب استخدام القوة فى الضغط على الانجليز لاجلاء قواتهم عن مصر وذلك بتنظيم المقــــاومة المسلحة ضد الوجود البريطانى فى منطقة القنال .

واستطاع عبد الناصر أن يبهر الافارقة ويجذب أنظارهم الى القاهرة بعد النجاح الذى حققته هذه السياسة بجلاء القوات الانجليزية عن هــذا الموقع الاستراتيجى الهــام وفشل العدوان الثلاثى الذى اعتبر بحــق نقطة تحول أساسية فى تاريخ نضال الشعوب بل أن الكثيرين يعتبرون ذلك هو النهاية الحقيقية للاستعمار التقليدى .

وكان خروج عبد الناصر من هذه المعركة منتصرا بعد أن أمم قنــاة السويس يعنى الكثير بالنسبة للحركات الوطنية الافريقية التى كانت ترى الشركات الاجنبية والاحتكارات الراسمالية وهى تستولى على مقــــدرات وثروات بلادها .

وقد خرج عبد الناصر من معركة السويس أكثر تهيؤا للقيام بدور جديد فى أفريقيا . فقد فتح له هذا الانتصار أبواب الاتصال بحـــركات التحـــرير الافريقية التى رأت فى عبد الناصر المثل والحليف القوى والعنيد . وأصـــبح الافارقة هم الذين يتحايلون للوصول الى القاهرة والاتصال بقادتها .

ثم بدأ عبد الناصر يدخل الى قلب الحركة الافريقية ، وذلك من خـــلال مواقف عديدة . وتبنى القضايا الافريقية مستمرا فى تحديه لقوى الاستعمار والامبريالية فاستطاع أن يجمع حوله قوى الثورة فى أفريقيا .

وسنعرض بعض هذه المواقف التى فتحت الطريق أمام جمال عبد الناصر وأمام مصر الى قلب القارة الافريقية .

بداية فى السودان :

كان للسياسة التى اتبعتها الثورة المصرية حيال السودان أثرها الكبير فى فتح مجال العمل الافريقى أمام مصر . فقد قامت هذه السياسة على أساس انهاء احتلال السودان أولا ، والدعوة لوحدة وادى النيل ، ولكن من خلال الاعتراف بحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره .

وقد استقل السودان فى يناير سنة ١٩٥٦ بعد جلاء قوات الاحتلال واصبح بذلك ثانى دولة أفريقية — بعد مصر — تحصل على استقلالها منذ القرن التاسع عشر وذلك بفضل اتفاقية ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ التى عقدتها مصر مع بريطانيا ، بعد ان أصر جمال عبد الناصر على أن تبدأ المفاوضات بشأن مستقبل السودان قبل التفاوض على جلاء قوات الاحتلال عن أرض مصر .

وقد خرج عبد الناصر عن الطريق الذى سار فيه جميع الزعماء الوطنيين والحكومات السابقة فى مصر فى المطالبة بسيادة على السودان او حق ضمه الى الارض المصرية كما كانت تطالب معظم الاحزاب المصرية قبل الثورة . بل ان الملك فاروق كان قد ذهب الى حد اعلان نفسه ملكا على مصر والسودان . فقد فاجأ عبد الناصر الانجليز أنفسهم عندما وافق على اجراء استفتاء عام فى السودان من أجل تقرير المصير بعد تهيئة الجو الحر المحايد . وكان ذلك أمرا يصعب على الانجليز رفضه بعد أن كانوا هم أنفسهم يطالبون به كمناورة للرد على شعارات وحدة وادى النيل التى رفعتها مصر ، ولاعتقادهم أن النظام الجديد لن يقبل بغير ذلك بعد أن سبق أن أعلنت مصر أن السودان جزء لا يتجزأ من أراضيها ، وذلك فى العهد السابق على الثورة .

وتم الاتفاق على فترة انتقال مدتها ٣ سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائية وأن يكون للحاكم العام أثناء هذه الفترة السلطة الدستورية العليا تعاونه لجنة خماسية فيها عضوان سودانيان وعضو باكستانى وآخر مصرى علاوة على العضو الانجليزى . وتقرير تأليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس أحد الاختيارين :

(أ) ارتباط السودان بمصر على أية صورة .
(ب) أو الاستقلال التام — اى الانفصال عن مصر .

كما تقرر أن تنسحب القوات العسكرية المصرية البريطانية من

السودان فورا عندما يعلن البرلمان السودانى عن رغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير الخاصة بتقرير المصير .

ولا شك أن هذه كانت خطوة جريئة وواعية فى نفس الوقت من جمال عبد الناصر . فهى جريئة لان الراى العام المصرى الذى ردد شعار وحدة وادى النيل لفترة طويلة من الزمن كان ينتظر من قادة الثورة العسكريين أن يكونوا اكثر تشددا من الملك الذى أعلن ضم الاراضى السودانية الى مملكته .

وكانت هذه الخطوة واعية لان عبد الناصر بموافقته على ان يكون لشعب السودان الحق فى تقرير مصيره ، اثبت انه يفكر ويتصرف بروح العصر . فقد أراد عبد الناصر لاى رابطة تقوم مع السودان ان تكون منبثقة عن رغبة شعبية وليست استنادا الى حقوق مكتسبة من التاريخ أو حق الفتح كما كان يطالب البعض . كما راى عبد الناصر انه مهما كان اختيار الشعب السودانى فان هذه الاتفاقية تضمن تصفية الوجود البريطانى فى السودان ، وان هذا هو ما كان يريده فى المقام الأول . فبقاء القوات البريطانية فى القطر الشقيق يهدد أمن وسلامة مصر ولن يكون لجلاء هذه القوات عن مصر معنى حقيقى اذا كانت باقية فى السودان .

ورغم أن مصر عملت طوال سنوات فترة الانتقال الثلاث على محاولة اقناع الشعب السودانى للارتباط بمصر وتحقيق وحدة وادى النيل ، الا انها لم تتردد فى تأييد استقلال السودان ومباركته عندما أدركت ان هذه هى رغبة الاغلبية العظمى للشعب السودانى . فعندما ابلغت حكومة الازهرى فى عام ١٩٥٥ حكومتى مصر وانجلترا برغبة الجمعية التأسيسية فى سحب جيش الاحتلال لاجراء الاستفتاء المنصوص عليه فى جو حر محايد ، سارعت مصر على الفور بسحب قواتها تاركة أسلحتها الثقيلة هدية لجيش السودان ، واضطر الجيش الانجليزى للرحيل هو الآخر منهيا بذلك احتلاله للسودان . وعندما أعلنت حكومة الازهرى قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٥ وتم تشكيل مجلس قيادة لرئاسة الدولة ، دون انتظار لاجراء الاستفتاء المنصوص عليه ، لم تطالب مصر باتمام هذا الاستفتاء وسارعت بالاعتراف بالجمهورية المستقلة الجديدة التى أعلن استقلالها فى اول يناير سنة ١٩٥٦ . وكانت مصر اول دولة اعترفت بالسودان .

والحقيقة ان مصر لم تصر على اجراء الاستفتاء المنصوص عليه فى الاتفاقية ، لانها كانت قد أدركت بما لا يقبل الشك ان نتيجته لن تكون فى صالح الارتباط بمصر . فقد كان الحزب الوطنى بزعامة الازهرى — وهو

محور الدعوة للوحدة بين القطرين ــ قد تخلى هو الآخــر عن هذه الدعوة ووقف مع الاستقلال . ولذلك أراد عبد الناصر أن يكسب مشاعر الجماهير السودانية وهى تحتفل باستقلالها .

وهكذا فان مصر وان كانت قد خرجت من الســودان دون أن تحقــق الوحدة التى كانت تنشدها الا أنها كانت قد فتحت أمامها مجال العمل فى أفريقيا كلها ، بالتزامها واخلاصها للمبادىء الاساسية التى قامت عليهــا سياستها الافريقية بعد ذلك ، وهى تصفية الاستعمار وحق تقرير المصير .

التزام مصر بمسؤوليتها الدولية فى الصومال :

كان الصومال من أول البلاد التى اهتم بهــا عبد الناصر والتزمت مصر بمساعدة الحركة الوطنية بها . ولم يكن ذلك فقط من أجل موقع الصــومال الاستراتيجى الهام فى القرن الافريقى وفى مواجهة ميناء عدن ، ولا من أجل التكوين الانثروبولوجى للشعب الصومالى الذى يعتبر ــ شأنه فى ذلك شأن الشعب الموريتانى ــ همزة الوصل بين عرب أفريقيا وزنوجها ، ولكن كان السبب الاساسى هو مسؤولية مصر الدولية فى الصومال حيث كانت تشترك فى عضوية المجلس الاستشارى التابع للامم المتحدة فى الصومال .

فقد كان الصومال من الاقاليم الموضوعة تحت وصاية الامم المتحــدة والادارة الايطالية وكانت الامم المتحدة قد أنشأت هيئة تابعــة لهــا هى « المجلس الاستشارى » منذ عام ١٩٥٠ مكونة من ثلاث دول هى مصــر وكولومبيا والفلبين بقصد الاشراف على الادارة فى الصومال والتأكد من قيادة البلاد نحو الاستقلال خلال فترة تنتهى فى عام ١٩٦٠ ، وكان وجود مصر فى هذا المجلس يعتبر شكليا قبل قيام ثورة يوليو ، فلم يكن لديها القــدرة ولا الرغبة فى الاصطدام بالقوى الاستعمارية من أجل القوى الوطنية فى الصومال .

وتغير وضع مصر فى الصومال بعد الثورة المصريــة حيث قررت أن تتحمل مسؤولياتها الدولية كاملة مستفيدة من تواجــد مندوبها فى المجلس الاستشارى هناك فتبنت وجهة النظــر الوطنية وتولت الدفاع عنها وقدمت المشورة السياسية والخبرة القانونية للاحزاب والحركات الوطنية هنــاك وساعدتها فى مقــاومة المناورات التى تهــدف الى تأخير تسليم السلطة للوطنيين ، كما قامت بمقاومة خطط الادارة الايطالية التى كانت تحاول طمس الملامح العربيــة للصومال .

وكان الصومال فى ذلك الوقت يشهد صراعا عنيفا بين العــديد من القوى الاستعمارية والاجنبية التى أتاحت لها الظروف التواجد فى الصومال

والاهتمام ــ بحكم مصالحها واطماعها فى المنطقة ــ بمستقبل هذا القطر .
وكانت هذه القوى رغم تضارب مصالحها تشكل خطــرا على الاســتقلال
الحقيقى للاقليم .

وكان الايطاليون يمثلون أخطر هذه القوى الاستعمارية ، فهم يملكون سلطة الادارة ، كما كانوا يسيطرون عن طريــق الشركات الايطالية سيطرة كاملة على اقتصاد الاقليم ، ويملكون معظم الاراضى الخصبة ، ولا يريــدون تغيير هذه الاوضاع ، ويخططون لكى تبقى اقتصاديات الاقليم معتمدة على الاقتصاد الايطالى وتحت سيطرة الاحتكارات الايطالية .

وكانت الادارة الايطالية تتباطأ أيضا فى اتخاذ الخطوات اللازمة لتسليم السلطة للصوماليين كما هو مفروض ، مثل اشراكهم فى الادارة والتدرج فى التمثيل النيابى . وكان هذا التباطؤ يهدف الى تأجيل موعد الاستقلال . وكان الايطاليون يعملون أيضا على القضاء على الملامح العربية للاقليم وذلك باهمال تعليم اللغة العربية واحضار بعثة تبشيرية كاثوليكية عملت على نشر وتعليم اللغة الايطالية فى الصومال . ثم عملت على قيام دعوة من اجل احياء اللغة الصومالية وكتابتها بالحروف اللاتينية ، كل ذلك من اجل ابعاد الاجيــال الصومالية عن مصادر الثقافة العربية وانتزاع اهم الجذور التى يمكن أن تربطهم بالعالم العربى .

أما القوة الاستعمارية الثانية فهى بريطانيا التى كانت فى ذلك الوقت تستعمر جزءا من الاراضى الصومالية وهو ما عرف « بالصومال الانجليزى » كما كان نفوذها متغلغلا فى الاقليم عن طريــق بعض الشركات التى قامت عندما احتلت بريطانيا الصومال الايطالى عام ١٩٤٢ عقب هزيمتها للايطاليين اثناء الحرب العــالمية الثانية الى أن سلمت لهم الادارة مرة أخرى عام ١٩٥٠ بنــاء على قرار الامم المتحدة .

وكانت بريطانيا تسعى لادخال الصومال بعد الاستقلال فى رابطــة الكومنولث البريطانية ، وكانت من اجل ذلك لا تمانع فى منح الاستقلال لاقليم هرجيسة الخاضع لها (الصومال الانجليزى) على أن يتحد اقليما الصومال فى دولة مستقلة واحدة مع بقــاء نفوذها بطبيعة الحال فى الدولة الجديدة .

وكانت فكرة الاتحاد هذه فى حــد ذاتهــا تجد تأييدا شعبيا ساحقا فى الاقليمين . ولكن ايطاليا كانت تعارضه بشدة وكذلك فرنسا الموجــودة فى اقليم جيبوتى .. وكانت بريطانيا بهذا الموقف من الاتحاد تحــاول اقــامة

الجسور بينها وبين حزب الاغلبية فى الصومال وهو حزب وحدة الشباب الصومالى .

أما الخطر الثالث الذى واجهه الصومال فكان أثيوبيا التى كانت تسعى الى ضم الاقليم اليها بصفتها « الوطن الام » كما كانت تدعى ، ذلك بعد أن كانت قد نجحت فى ضم جزء من الصومال هو اقليم الاوجادين . وكانت الولايات المتحدة الامريكية تقف وراء نشاط أثيوبيا وتدعمه حيث كانت فى ذلك الوقت تتخذ من أثيوبيا قاعدة لها وأداة لتنفيذ سياستها الافريقية وخاصة فى هذه المنطقة الاسلامية والتى كان يحلو لاثيوبيا أن تصف نفسها فيها بأنها جزيرة مسيحية تحيط بها شعوب اسلامية من كل جهة .

ورغم تعارض أهداف هذه القوى الاجنبية الاستعمارية فى الصومال ، الا انها جميعها كانت متفقة على ضرورة القضاء على الملامح العربية الصومالية . كما كانت تتفق فى حماسها لايجاد علاقة اقتصادية بين الصومال واسرائيل التى كانت قد أقامت مجزرا آليا فى جيبوتى وأنشأت شركات فى اثيوبيا أهمها شركة انكودا التى كانت تسعى لأن يمتد نشاطها الى الصومال تمهيدا لاقامة علاقات سياسية مع اسرائيل بمجرد استقلاله .

وقد ساعد تعدد الاحزاب الصومالية (وصل عددها الى ١٩ حزبا فى وقت من الاوقات) على أن يكون لكل من هذه القوى الاجنبية المهتمة بشؤون الصومال ، الحزب أو الاحزاب المؤيدة لها . فكانت ايطاليا تعتمد على حزب المؤتمر الصومالى والحزب الديمقراطى اما اثيوبيا فكان لها حزب شباب الصومال الاحرار .

ووسط هذا الصراع العنيف لهذه القوى التى كانت تتآمر على مصالح الشعب الصومالى جاءت مصر بعد الثورة لتلعب دورا تاريخيا فى مساندة القوى الوطنية فى الصومال فى نضالها من أجل الاستقلال الحقيقى والاحتفاظ بمقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية الافريقية الاسلامية . واستندت مصر فى نشاطها الى وضعها القانونى فى المجلس الاستشارى الذى كان يعطيها حق محاسبة الادارة الايطالية عن طريق الامم المتحدة كما أعطاها ذلك حق الوجود فى مقديشو والاتصال بكافة الهيئات والتنظيمات السياسية فى الصومال وتقديم المساعدة لها .

وتبنت مصر وجهة نظر الاغلبية الساحقة فى الصومال التى كانت تريد الاستقلال الكامل ووحدة جميع الاراضى الصومالية . وهو ما ترمز له

النجمة الخماسية التى تتوسط العلم الصومالى اشارة الى الصومالات الخمسة فى ذلك الوقت (الايطالى والانجليزى والفرنسى والاثيوبى والكينى) كما كانت هذه الاغلبية تطالب باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، فالشعب الصومالى شعب مسلم يعرف معظمه اللغة العربية .

وقد قدمت مصر مساعدات كثيرة للصومال فى هذا المجال وذلك بامداد المدارس العربية التى كانت تفتحها الجمعيات والاحزاب الوطنية بالمدرسين المصريين والكتب العربية . كما أعطت الكثير من المنح الدراسية فى المدارس والمعاهد والجامعات المصرية لابناء الصومال كما فتح الازهر ابوابه لاعداد هائلة من الصوماليين وأرسل بعثة أزهرية الى الصومال كان أعضاؤها يخطبون فى الجوامع بجانب رسالتهم التعليمية وكان لهؤلاء أثر عظيم فى تعبئة الشعور الوطنى هناك وتوجيهه لمقاومة الاستعمار .

وفى الوقت الذى توطدت فيه العلاقة بين مصر وحزب الاغلبية فى الصومال « حزب وحدة الشبا بالصومالى » نتيجة تبنيها للقضايا الرئيسية التى تضمنها برنامج هذا الحزب ، لم تهمل مصر بقية الاحزاب والتنظيمات والزعماء الدينيين وحتى تجار الماشية الذين كانوا يمثلون مركزا هاما من مراكز التأثير الشعبى . فقد عملت مصر على استيراد جزء كبير من احتياجاتها من الماشية من الصومال ، الامر الذى ربط مصالح هؤلاء التجار بالقاهرة وجعلهم يترددون عليها كثيرا .

وبمرور الوقت تعاظم نفوذ مصر فى مقديشو لوقوفها باستمرار مع القوى الوطنية ولاقتناع الغالبية العظمى للشعب الصومالى بانها الدولة الوحيدة بين القوى المتصارعة فى الصومال التى قبلت الدخول فى هذا الصراع دون أن تكون لها أطماع ذاتية وخاصة بعد أن وضحت سياسة عبد الناصر المناهضة للاستعمار . واصبح المندوب المصرى فى مقدشيو مصدرا مستمرا لازعاج القوى الاستعمارية وخاصة الادارة الايطالية التى يملك المندوب محاسبتها باسم الامم المتحدة بحكم وجوده فى المجلس الاستشارى .

وفى مارس سنة ١٩٥٧ اغتيل المندوب المصرى كمال الدين صلاح وكان من أكفأ العناصر الدبلوماسية وجاء ذلك على يد احد الصوماليين . ورغم أن التحقيق لم يصل الى نتيجة حاسمة فان أصابع الاتهام كلها كانت تشير الى الادارة الايطالية التى كانت تريد تصفية الوجود المصرى بعد أن كانت قد ضاقت بنشاط المندوب المصرى هناك .

وقد كلفت عقب هذا الحادث بالسفر الى مقدشيو لدراسة الحالة

هناك ومتابعة التحقيق فى مقتل المندوب المصرى . واقمت فى دار المندوب وقمت باتصالات واسعة مع جميع العناصر الوطنية هناك متعمدا اظهار حجم هذه الاتصالات أمام الادارة الايطالية . كما قمت بنشاط واسع بين الجماعات الدينية والتقيت بالجموع الصومالية فى الجوامع والجمعيات وأماكن التجمع . وكان الغرض من ذلك هو تأكيد دور مصر واظهار اصرارها على المضى فى تحمل مسؤوليتها التاريخية كاملة . ولم يمض على وجودى فى مقدشيو أكثر من بضعة أيام حتى أبلغت الادارة الايطالية القنصل المصرى هناك بأننى أصبحت شخصية غير مرغوب فيها وطلبت ان أغادر مقدشيو فى ظرف ٤٨ ساعة .

وانتشر الخبر فى جميع أنحاء المدينة فتوافد على محل اقامتى أعداد كبيرة من الوطنيين الصوماليين والسياسيين من أصدقاء مصر ومن المؤمنين بأهمية الدور المصرى فى الصومال ووقوفه فى مواجهة الادارة الاستعمارية، وكانوا جميعا فى أشد حالات السخط على الادارة الايطالية ولكنهم يترقبون ما سوف تسفر عنه هذه المواجهة .

أما فى القاهرة فقد استدعى السفير الايطالى الى وزارة الخارجية بناء على تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر ، وأخطره السيد عبد الفتاح حسن نائب وزير الخارجية وقتئذ أن السفير الايطالى نفسه سوف يعتبر شخصية غير مرغوب فيها وسيكون عليه مغادرة القاهرة فورا اذا لم ترجع الادارة الايطالية فى مقديشو عن قرارها الخاص بابعادى . واضطرت الادارة الايطالية الى التراجع عن قرارها فى ذلك الحين وبقيت فى مقديشو لفترة أخرى ومارست نشاطا أوسع . وكان هذا بطبيعة الحال تعزيزا لموقفنا هناك أمام الوطنيين الذين عرفوا أن مصر تستطيع أن تقف أمام النفوذ الايطالى .

وبعد عودتى الى القاهرة كان قرار عبد الناصر بتدعيم البعثة التعليمية المصرية فى الصومال ، وزيادة أفراد القنصلية المصرية فى مقديشيو ، كما عين مندوبا جديدا هو الدكتور محمد حسن الزيات . واستمرت مساعدة مصر للقوى الوطنية فى الصومال بعد أن تضاعف حجمها . كما استأنف المندوب المصرى الجديد نشاطه بنفس الحماس والاخلاص الذى بداه سلفه الى أن استقل الصومال فى الموعد الذى سبق ان حددته الامم المتحدة وهو عام ١٩٦٠ .

وقد فشلت كل الجهود التى بذلت لايجاد علاقة تجارية أو اقتصادية بين الصومال واسرائيل . كما فشلت جهود بريطانيا فى ادخال الدولة

الجديدة فى رابطة الكمنولث البريطانى رغم خروج الانجليز من اقليم هرجيسه الذى انضم الى الدولة الجديدة واصبح جزءا منها .

وقد وجهت الادارة الايطالية الدعوة لاسرائيل لحضور الاحتفال بالإستقلال ، ولكنها اضطرت الى الغاء هذه الدعوة بعد احتجاجات كثيرة من الهيئات والتنظيمات والاحزاب الصومالية كانت تنذر بتطورات خطيرة رأت الادارة الايطالية تجنبها .

وقد امتدت العلاقات القوية بين مصر والصومال الى ما بعد الاستقلال وهذا ما سوف نعود اليه فى مكان آخر . ومما لا شك فيه أن المساعدات التى قدمتها مصر للصومال خلال فترة ما قبل الاستقلال ومواقفها مع القوى الوطنية هناك قد جعلت لمصر رصيدا هائلا فى الصومال لا يمكن ادراكه الا لمن تهيأت له الفرصة لزيارة هذا البلد الشقيق ، ولمس مدى تحمس الشعب الصومالى للصداقة المصرية الصومالية وتقديره لثورة يوليو المصرية وارتباطه الوجدانى بها .

ورغم أن انضمام الصومال بعد ذلك الى الجامعة العربية قد جاء دون شك تتويجا لهذه العلاقة الخاصة التى قامت بين مصر والصومال منذ الثورة المصرية ، الاانه يجدر الاشارة هنا الى أن عبد الناصر لم يحاول جر الصومال الى الانضمام الى الجامعة العربية بل انه فى حديثه مع الزعماء الصوماليين كان دائما ينصح بتأجيل هذا الموضوع حتى تنضج وتكتمل الفكرة داخليا وحتى تتهيأ لها الظروف المناسبة أفريقيا . فقد كان يرى أنه من الضرورى للصومال ان يدعم علاقته بدول شرق أفريقيا أولا وخاصة تنزانيا وكينيا قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة لأن الصومال كان يعيش فى شبه عزلة سياسية فرضت عليه . فقد ورث الصومال المستقل مشاكل حادة مع جيرانه أثيوبيا وكينيا نتيجة أوضاع سابقة خلقتها السلطات الاستعمارية قبل رحيلها ، وكان ذلك هو السبب فى عدم اندماج الصومال بالقدر الكافى مع دول شرق أفريقيا . وكان عبد الناصر يعتقد أن انتماء الصومال الى الجامعة العربية قبل أن يدعم علاقته بدول شرق أفريقيا قد يزيد التناقض الموجود بين الصومال وهذه الدول ويزيد من متاعبه مع الدول المجاورة .

مصر تؤيد حركة الماو ماو فى كينيا :

كانت كينيا فى مقدمة الاقطار التى استطاعت الثورة المصرية أن تتصل بالحركة الوطنية فيها وتؤيدها وتدعمها وتقيم أوثق الصلات مع زعمائها وعلى رأسهم جومو كينياتا .

فقد بدأت ثورة الماو ماو بعد ثلاثة أشهر فقط من قيام الثورة المصرية عندما أعلن الانجليز حالة الطوارىء فى كينيا فى أكتوبر سنة١٩٥٢ . وقامت حركة الماو ماو بين قبائل الكيكويو والمساى الذين طردهم المستعمر الانجليزى من أرضهم ليعيشوا فى أحياء قذرة على هامش المدن يعانون من البطالة والحرمان من اى حق فى حياة كريمة .

وقد حاول الاوربيون تصوير هذه الثورة على انها حركة دينية وانها حركة ارتداد الى التوحش تتطلب منهم البقاء فى كينيا لاعادة الافريقيين وقيادتهم الى حياة التمدين .

وكان هذا كله أبعد ما يكون عن الحقيقة ، فأصل المشكلة يرجع الى وقت انشاء الانجليز للخط الحديدى بين ممبسة على ساحل كينيا وكمبالا فى أوغندا مارا بنيروبى عاصمة كينيا . وكان هذا الخط يمر بأخصب الأراضى فى كينيا وهى ما عرف بالاراضى العالية « High Lands » والتى كان يسكنها قبائل الكيكويو والمساى وهى قبائل شديدة البأس عرفت بقدرتها الفائقة على القتال .

وقد قام الحاكم الانجليزى فى ذلك الوقت (سير شارلوت اليوت) بدعوة عدد من العائلات الانجليزية الغنية الارستقراطية وأغراهم بالاقامة فى كينيا وتملك هذه الاراضى العالية . وكان هدفه الاساسى حماية الخط الحديدى من تخريب القبائل المعادية . ثم أصدر أمرا بطرد القبائل الافريقية من هذه المناطق ثم أعلن أن كينيا أصبحت بلاد الرجل الابيض .

وكان الافريقيون المطرودون من هذه الارض يذهبون للاقامة فى مناطق خصصت للافريقيين خارج هذه الاراضى أشبه بالمستودعات البشرية . وأصبح هؤلاء الذين لم يجدوا أماكن فى هذه المناطق المزدحمة جدا ، عبيدا فى الأرض التى يمتلكها البيض ، وأصبح هناك حوالى ربع مليون من هؤلاء العبيد . وكان يسمح لهم بزراعة ما يقتاتون به فقط مقابل تسخيرهم هم وعائلاتهم للعمل فى أرض الملاك البيض . وكان عقد العمل لهؤلاء يحرر لمدة من سنة الى خمس سنوات واذا بيعت الارض ينتقل عقد العمل الى المالك الجديد ومن يهرب منهم يمكن اعتقاله وسجنه . ولزيادة سلطان أصحاب العمل على مستخدميهم كان مفروضا على كل أفريقى بحكم القانون أن يحمل تصريح عمل . وكان هذا كله مناقضا لعهود أخذتها بريطانيا على نفسها لضمان حقوق الافريقيين وجعل مصلحتهم هى المصلحة العليا .

وفى عام ١٩٥٠ قام زعماء اتحاد كينيا الافريقى الذى كان يرأسه جومو كينياتا بحملة لجمع توقيع مايون شخص أفريقى لعرض قضيتهم على البرلمان الانجليزى . ثم ارسلوا مندوبين اثنين عنهم يحملان هذه التوقيعات . ولكن لم يغير ذلك شيئا من سياسة بريطانيا فى جعل كينيا منطقة استيطان للرجل الاوروبى على غرار جنوب أفريقيا .

ومن اجل ذلك قامت حركة الماوماو وكانت اساسا من أجل الارض . وقبض على جومو كينياتا ومعه عشرون آخرون فى اكتوبر سنة ١٩٥٢ ، وقدموا الى المحاكمة التى استمرت تسعين يوما حكم عليه بعدها بالسجن سبع سنوات مع الاشغال الشاقة . وبعد شهرين من الحكم تم حل اتحاد كينيا الافريقى بحجة أن تنظيم الماوماو استخدم هذا الاتحاد كغطاء لتنفيذ عمليات العنف والقتل التى قام بها ضد البيض .

واستغل الانجليز هذه الاحداث وشنوا حملة ارهابية كان هدفها المضى فى تحويل كينيا بالفعل الى بلد الرجل الابيض على غرار جنوب أفريقيا وتبنى سياسة مماثلة ، واستغلت السلطات قانون الطوارىء الذى كان قد صدر فى سبتمبر لتصبح عمليات القمع هذه عمليات حربية وصفها الانجليز أنفسهم وقتها بأنها اكبر حرب استعمارية فى أفريقيا منذ حرب البوير . تجمع أكثر من ثلاثين الفا من القوات البريطانية لمساعدة البوليس المحلى فى كينيا ، وأصبحت هذه القوات فى حالة حرب بالفعل مع ما أطلق عليه الافريقيون « جيش الكيوكويو لتحرير الارض » واستخدم الانجليز المدفعية والطيران فى ضرب عناصر الماوماو فى الجبال التى تحصنوا بها وذلك لطردهم من هذه المناطق باعتبارها محرمة عليهم .

عمليات القمع والابادة :

وقد وصل اجمالى الخسائر المعلنة فى ٢٧ يناير ١٩٥٥ من واقع الاحصائيات الانجليزية ٧٨٠٠ قتيل من افراد الماوماو ، ٧٩١ حكم عليهم بالاعدام ونفذ فيهم الحكم . وهذه الخسائر لا تشمل خسائر القذف بالطائرات والمدفعية . كما كان هناك ٧٠٠٠٠ أفريقى فى معسكرات الاعتقال والسجون . وتم طرد ٦٠٠ر٠٠٠ من افراد الكيوكويو من أرضهم وتم تحطيم ١٥٠ر٠٠٠ كوخ من أكواخهم .

كانت عمليات القمع والقتل والابادة التى تقوم بها السلطات البريطانية ضد ثوار الماوماو تجسيدا لذلك الصراع الذى ذكره عبد الناصر

فى كتابه « فلسفة الثورة » والذى قال فيه : « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال حتى لو أردنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى الذى يدور فى أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين » .

وتبنت مصر قضية الوطنيين فى كينيا ، فقامت بحملة اعلامية ودبلوماسية مركزة ضد هذه الاعمال الوحشية . وخصصت اذاعة موجهة باللغة السواحيلية باسم « صوت أفريقيا » الى شعب كينيا وشعوب المنطقة الناطقة بهذه اللغة هاجمت فيها الاستعمار البريطانى بعنف شديد وحملته مسؤولية كل أعمال العنف والابادة ، وكشفت عن مخطط بريطانيا لجعل كينيا وطنا للرجل الابيض . وقد بدأت هذه الاذاعة كاذاعة سرية فى أول الامر . وكان مقرها فى احدى الثكنات بمنشية البكرى ، وتتبع رئاسة الجمهورية مباشرة . ثم انتقلت بعد ذلك الى الاذاعات الموجهة بالاذاعة المصرية ولكن تحت اشراف الشؤون الافريقية برئاسة لجمهورية .

وكانت تصلنا منذ البداية أخبار دقيقة عن أعمال القمع والتفرقة التى يقوم بها الانجليز فى كينيا . — كانت تحصل عليها المخابرات المصرية — . الامر الذى جعل من اذاعة صوت افريقيا شيئا حيا بالغ التأثير . فقد كانت هذه هى أول اذاعة باللغة السواحيلية تصدر من أفريقيا ، وتتبنى قضايا الافارقة وتتكلم باسمهم وتهاجم الاستعمار والتفرقة العنصرية وتدعو الى الثورة الشاملة باسم افريقيا وشعوبها . واستطاعت هذه الاذاعة أن تقدم العديد من الاناشيد الحماسية باللغة السواحيلية ، بعد أن وضعت فى الحان جيدة يؤديها ويؤلف كلماتها بعض الطلبة الكينيين الموجودين فى القاهرة ، كانت قد اكتشفت فيهم هذه الموهبة .

وجعلت مصر من قضية الماو ماو وقضية الافراج عن جومو كينياتا قضية أفريقيا كلها . وجعلت الافراج عنه مطلبا على مستوى القارة الافريقية كلها . وربما كانت هذه أول قضية أفريقية تأخذ هذا الطابع على مستوى القارة ، وكان الفضل فى ذلك لمصر .

وادت بطبيعة الحال هذه الحملة وهذا التأييد الى توثيق الصلة مع الحركة الوطنية فى كينيا . . وكانت القاهرة أول عاصمة تفتح ابوابها للزعماء الكينيين الوطنيين ، وتمدهم بكل المساعدات الممكنة لتنشيط حركتهم فى داخل كينيا ، وكذلك توصيل صوتهم الى العالم الخارجى والمحافل الدولية ، فى الوقت الذى كان الانجليز يجرمون أى نشاط سياسى فى كينيا .

وبعد أن سمح بقيام الاحزاب السياسية فى كينيا ، كانت القاهرة أول

مكان خارج كينيا تفتح فيه هذه الاحزاب مكاتب دائمة لها ، وكانت الاحزاب الكينية التى فتحت لها مكاتب فى القاهرة هى : حزب الاتحاد الوطنى الافريقى الكينى « K. A. D. U. » وحزب الاتحاد الديمقراطى الكينى « K. A. D. U. » وكانت هذه المكاتب تعمل كحلقة اتصال بين تنظيماتها فى الداخل وبين القاهرة . كما اعتبرت ايضا نافذة هذه التنظيمات على العالم الخارجى .

وقد تردد على القاهرة خلال هذه الفترة معظم زعماء كينيا المعروفين ، من امثال أوجنجا أودنجا ونجالا ، وتوم مبويا وجيمس جيشور وجوزيف مورمبى وغيرهم كثيرون . وكان عبد الناصر يلتقى بهؤلاء الزعماء كلما حضروا الى القاهرة .

الاذاعات الافريقية الموجهة من القاهرة :

لقد صادفت الاذاعة الموجهة باللغة السواحيلية الى كينيا نجاحا كبيرا وكان تأثيرها عظيما فى داخل كينيا ، واذكر انه فى أول لقاء لى مع جومو كينياتا وكان ذلك بعد خروجه من السجن بأسابيع قليلة — قال ان هذه الاذاعة لعبت دورا خطيرا فى كينيا وانه كان يستمع وهو فى سجنه اليها وكان يستدعى حراسه ليستمعوا معه الى صوت أفريقيا من القاهرة وانها

كانت تعطيه فى كل مرة يستمع اليها شحنة معنوية كبيرة كما كان يندهش لدقة الاخبار والسرعة التى تنتقل بها هذه الاخبار . وكانت هذه أول اذاعة توجهها القاهرة الى افريقيا بلغة أهلها — اذا استثنينا الاذاعات التى كان يوجهها راديو القاهرة من قبل الى جنوب السودان باللهجات الاربع الرئيسية هناك .

وقد وجهت القاهرة بعد ذلك العديد من الاذاعات باللغات واللهجات الافريقية على غرار الاذاعة السواحيلية . فكانت تذيع الى غرب أفريقيا بلغات الهوسا واليوربا والبامبرا والولوف ، والى وسط أفريقيا بلغات النيانجا والشونا والسندبيلى واللنجالا ، والى جنوب افريقيا بلغة الزولو والى شرق افريقيا بالصومالية والسواحيلية والتجرينية وغيرها من لغات ولهجات افريقية كثيرة علاوة على اللغات المستخدمة رسميا فى مناطق أفريقيا وهى الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية والعربية . وكان وراء انشاء كل اذاعة من هذه الاذاعات قصة ترتبط بتأييد حركة جديدة أو ثورة جديدة ومساعدات مصرية تمتد الى المجالات الاخرى خلاف هذا المجال الاعلامى وفى حالات معينة كانت تخصص الاذاعة الموجهة أو جزء منها لتذيع

باسم حركة أو تنظيم . حدث ذلك أثناء ثورة الكونغو كما حدث بالنسبة لروديسيا الجنوبية بعد اعلان الاستقلال من جانب النظام العنصرى هناك، وكذلك بالنسبة لموزمبيق فقد اعطيت اذاعة لحزب فريليمو (الحزب الحاكم حاليا) وذلك بعد أن وصلت الثورة هناك الى مرحلة متقدمة بقيادة هذا التنظيم .

وكانت هذه الاذاعات بالاضافة الى معالجتها للموضوعات التى تخص كل اقليم تنقل الى شعوب افريقيا أخبار الثورات والحركات الوطنية المختلفة فى جميع أنحاء القارة من الجزائر الى كينيا الى روديسيا وأنجولا وجنوب أفريقيا باعتبار أن ذلك يدخل كله فى نطاق الثورة الافريقية الشاملة ضد الاستعمار والتبعية كما كانت تنقل بطبيعة الحال صورة لما يدور على أرض مصر واخبارها وسياستها .

وقد استطاعت هذه الاذاعات بجانب مساهمتها الايجابية فى الثورة الافريقية أن تنقل الى مستمعيها فى كل أنحاء القارة الافريقية الاحساس بأن مصر هى بحق جزء من القارة الافريقية ان لم تكن قد أصبحت بالفعل قلبها النابض وقاعدة التحرير فيها .

الثورة الجزائرية وتصفية الامبراطورية الفرنسية :

لقد كان لوقوف الثورة المصرية بجانب ثورة الجزائر والمساعدة والتأييد الكامل الذى أعطاه عبد الناصر لهذه الثورة أثره الكبير فى جذب حركات تحرير أفريقية جديدة الى القاهرة بعد أن اتخذت الثورة الجزائرية من القاهرة قاعدة أساسية لكى تنطلق منها .

ومما لا شك فيه أن نجاح الثورة الجزائرية كان عاملا أساسيا فى تصفية الاستعمار الفرنسى من أفريقيا . فعندما قامت هذه الثورة عام ١٩٥٤ كانت الجزائر بنص الدستور الفرنسى جزءا من الأراضى الفرنسية فيما وراء البحار وكان للجزائر أهمية خاصة لدى فرنسا أولا لكثرة عدد الاوربيين المستوطنين (حوالى مليون وربع) أصبح خمس أسداسهم من مواليد الجزائر نفسها لا يتصورون وطنا آخر لهم غيرها . وثانيا لقربها من فرنسا وثروتها الضخمة التى يمتلك معظمها المستوطنون الاوربيون ، هذا بالاضافة الى عامل خاص جعل فرنسا تستميت فى محاولة الاحتفاظ بالجزائر كأرض فرنسية الا وهو الطريقة المهينة التى خرج بها الجيش الفرنسى من الهند الصينية بعد هزيمة « ديان بيان فو » وحرص فرنسا على الا تفقد هيبتها فى أفريقيا كما فقدتها فى آسيا .

كانت الجزائر نموذجا للاستعمار الاستيطانى فى أفريقيا ولا يفوقها فى ارتفاع نسبة الاوربيين الى السكان الاصليين سوى جنوب أفريقيا (النسبة فى جنوب أفريقيا ١ : ٣ وكانت فى الجزائر ١ : ٨) وكان الافريقيون ينظرون الى هذا النوع من الاستعمار على أنه أبشع أنواع الاستعمار وأكثرها شراسة فى مقاومة الحركات الوطنية والتحررية . فقد كانت التجربة ماثلة فى المجازر التى واجهتها حركة الماو ماو فى كينيا . وكانت نماذج هذا الاستعمار الاستيطانى موجودة فى روديسيا وجنوب أفريقيا وجنوب غرب أفريقيا بالاضافة الى كينيا . لذلك كان للثورة الجزائرية معنى وأهمية خاصة لدى الوطنيين الافريقيين فى هذه الاقاليم بالاضافة الى كل المستعمرات الفرنسية والبرتغالية فى أفريقيا حيث كانت كل من فرنسا والبرتغال تعتبرها امتدادا لاراضيها فيما وراء البحار وكانت الثورة الجزائرية بالنسبة لهؤلاء جميعا هى ثورة على هذه الاوضاع جميعها : ثورة على الاستعمار الاستيطانى وثورة على فكرة امتداد الدولة الاستعمارية الى ما وراء البحار .

وعندما تصاعدت المقاومة الجزائرية ووصل عدد القوات الفرنسية فى الجزائر الى ٤٠٠,٠٠٠ وهو أكبر عدد من القوات اشتركت به فرنسا فى حرب استعمارية ، ظهرت الاصوات المؤثرة داخل فرنسا نفسها تنادى بضرورة تطوير نظام الحكم فى المستعمرات الفرنسية وتهيئتها للحكم الذاتى قبل أن تندلع فيها الثورة على غرار ما حدث فى الجزائر .

وأرادت الحكومة الفرنسية التى كان يرأسها وقتئذ جى موليه أن تسبق الاحداث فأعدت فى عام ١٩٥٦ دستورا جديدا عرف باسم « Loi—Cadre » يسمح بتشكيل حكومات أفريقية فى المستعمرات الفرنسية ولكن مع وجود حاكم عام فرنسى تعينه باريس فى كل اقليم . وكان هذا تطورا هاما فى المستعمرات الفرنسية نحو الحكم الذاتى . وبدأ تطبيق هذا القانون فى اقاليم أفريقيا الغربية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية فى أوائل عام ١٩٥٧ .

أما فى الجزائر فقد ترتب على هذا القانون نتائج خطيرة . ففى ١٣ مايو سنة ١٩٥٨ قام المستوطنون الاوربيون فى الجزائر باضراب عام احتجاجا على هذا القانون الذى اعتبروه هزيمة سياسية لهم وديان بيان فو جديدة لفرنسا لأن القانون كان يقسم الجزائر الى مناطق ، وبشكل يوحى أن هناك فكرة لتقسيم الجزائر ، وصحب هذا الاضراب تمرد الجيش الفرنسى هناك . وكادت تشتعل الحرب الاهلية فى فرنسا نفسها بسبب هذه الاحداث التى أدت فى النهاية الى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة .

وأتى ديجول الى الحكم فى يونيو سنة ١٩٥٨ وكان يريد أن يضمن

استقرار الاوضاع فى المستعمرات الافريقية حتى تستطيع فرنسا تركيز جهودها لمواجهة الموقف فى الجزائر .

وتقدم ديجول بمشروع دستور جديد يقوم بموجبه اتحاد فيدرالى بين فرنسا وبين مستعمراتها (أفريقيا الغربية وافريقيا الفرنسية الاستوائية) التى سوف تعطى حق ادارة شئونها الداخلية . ويقضى المشروع بأن يطرح هذا الدستور للاستفتاء الشعبى فى المستعمرات ، فاذا كانت النتيجة بالايجاب يدخل الاقليم فى عضوية ما سمى بالمجتمع الفرنسى ويصبح عضوا فى اتحاد فيدرالى مع فرنسا ، أما اذا كان التصويت بلا فيعتبر الاقليم بصفة أوتوماتيكية فى حكم المنفصل عن المجتمع الفرنسى ويمكنه الاستقلال فورا ولكن « عليه أن يتحمل تبعة ذلك » وقد جاء هذا النص على لسان ديجول نفسه وهو يدعو لمشروعه الجديد للمجتمع الفرانكو أفريقى .

وقد أثارت هذه الفقرة الاخيرة غضب سيكوتورى واعتبرها ماسة بكرامة شعبه لما تحمله من معنى التهديد من جانب فرنسا للاقليم الذى يختار الاستقلال . وأعلن سيكوتورى رفضه لدستور ديجول وكان ذلك فى حضور ديجول نفسه فى كوناكرى عندما التفت سيكوتورى الى جماهيره وقال كلمته المشهورة : « نحن نفضل الفقر مع الحرية على الثراء مع العبودية » .

واجرى الاستفتاء على دستور ديجول فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ وجاءت النتيجة بالموافقة فى جميع المستعمرات الفرنسية فيما عدا غينيا التى صوتت ضد الدستور .

وقد كانت الجزائر التى يسيطر عليها المستوطنون الاوربيون من بين من وافقوا على دستور ديجول . وقد جاء رد جبهة التحرير الجزائرية على ذلك بأن أعلنت « الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر » برئاسة فرحات عباس . واتخذت من القاهرة مقرا لها واعترفت بها مصر على الفور .

واعلن استقلال غينيا فى ١٢ أكتوبر ١٩٥٨ واعتبر ديجول موقف سيكوتورى تحديا له ولفرنسا وكان مصمما على أن يجعل منه ومن غينيا امثولة لكل من تحدثه نفسه بعد ذلك بالتفكير فى الاستقلال والخروج عن المجتمع الفرنسى الذى سيقام على هذا الدستور . وباشر ديجول جميع أنواع الضغوط الاقتصادية والسياسية ضد غينيا وسيكوتورى ، ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل واصبح استقلال غينيا بفضل تصميم سيكوتورى وقدرة شعب غينيا على المقاومة والصمود ، وللمساعدات والتأييد الذى حصلت عليه غينيا من الدول التقدمية . وكان هذا مولد

دولة ثورية تقدميــــة جديدة فى أفريقيا . وكان من الطبيعى أن تنشأ علاقة متينة وخاصة بين مصر وبين غينيـــا الثورية وأن تتوطد العـــــلاقة بين عبد الناصر وسيكوتور ى وهذا ما سوف نتعرض له فى غير هذا المكان .

لم تنجح خطة ديجول فى انشاء الاتحـــاد الفيــدرالى بين فرنســا ومستعمراتها فلم يجتمع المجلس التنفيذى للاتحـــاد سوى ســبع مرات فى المــدة من فبراير ١٩٥٩ الى مارس ١٩٦٠ . كما لم يجتمع برلمـــان الاتحاد الا مرتين : الاولى عند انشائه والثانية فى يونيو سنة ١٩٦٠ لانهاء الاتحاد. واضطر ديجول الى تعــديل الدستور ليسمح باستقلال دولتين كانتا قــد تقدمتا رسميا بطلب الاستقلال وهما مدغشقر واتحاد مالى (الذى كان قد تكون من الاتحــاد بين الســنغال والسودان الفرنسى) وحصلت الدولتان على استقلالهما فى يونيــو ١٩٦٠ . ثم استقلت دول الوفاق الاربعــــة (داهومى — النيجر — فولتا العليا وساحل العــاج) فى شهر أغسطس وانتهى الامر باستقلال جميــع أقاليم أفريقيا الفرنسية الغربية وأفريقيـــا الاستوائية ، وتقدمت فرنسا للامم المتحــدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ تطلب بنفسها العضوية لاثنى عشرة دولة أفريقية .

وقد ذهب بعض الافارقة الى حد وصف ديجــول بأنه محرر افريقيا. ولكن الحقيقة أن السبب الرئيسى فى تحــول سياسة ديجول الافريقيــة هو تطــور الحرب فى الجزائر واقتناعه بأن فرنسا غير قادرة على انهــاء هــذه الحرب عسكريا وانه لا ســبيل لانقــاذ فرنســا من هــذا النزيف الا باستقلال الجزائر ، كما أدرك أن انكار الاستقلال على الافريقيين بعــد نجاح سيكوتورى فى تحقيــق استقلال غينيا سوف يورط فرنسا فى حــرب جديدة مماثلة لحرب الجزائر حيث كانت حركات التحرير والتنظيمات المعارضة لفرنسا فى الأقاليم الفرنسية الاخرى قد بدأت تتجمع فى غينيا وغانا خاصة من النيجر وساحل العاج وبدأت تتلقى التدريبات العسكرية وتجمع الســلاح استعدادا للمقاومة . ورحبت القاهرة هى الاخرى بهذا الاتجاه واستضافت العــديد من زعماء الحركات الوطنيــة المعارضة فى المناطق الفرنســية استعدادا لفتح جبهـــة جديدة ضد فرنسا تخفف من ضغطها على الجزائر، ومن هنا جاء التحول فى سياسة ديجــول لانقاذ فرنسا وانقاذ ما تبقى لها من هيبة .

وهكذا فقد لعبت الثورة الجزائرية دورا خطيرا فى تصفية الامبراطورية الفرنسية والقضاء على فكرة امتداد الاراضى الفرنسية فى أفريقيا وقد أدى ذلك الى فتــح أبواب الاتصال بيننا وبين حركـــات التحــرير والتنظيمات الثورية فى أفريقيا الفرنسية التى لجــأ كثير من زعمائها الى القـــاهرة

للحصول على تأييد جمال عبد الناصر بعد ان عرف دور مصر فى مساعدة الثورة الجزائرية ومن أمثال هؤلاء الدكتور فيلكس موميه زعيم حزب اتحاد شعب الكاميرون والزعيم الصومالى محمود حربى وجيبو بكارى زعيم سوابا SWABA فى النيجر وغيرهم كثيرون من التنظيمات السياسية والزعماء الدينيين .

وقد استطاعت الثورة الجزائرية منذ البداية أن تقدم نفسها كثورة افريقية بجانب كونها ثورة اسلامية عربية . وكانت صلتها وثيقة دائما بالتنظيمات الوطنية فى أفريقيا الفرنسية ، الامر الذى ساهم ايجابيا فى القضاء على ما تبقى من فكرة الفصل بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء . وقد أقامت حكومة موليه فى ينساير ١٩٥٧ منظمة فرنسية تختص بادارة استغلال الصحراء الافريقية باسم المنظمة المشتركة للاقاليم الصحراوية « Organisation Commune de Regions Sahariennes “ O. C. R. S. ”

وتشمل الصحراء الجزائرية بالكامل وأجزاء صحراوية أخرى من كل من موريتانيا والسودان الفرنسى (مالى حاليا) والنيجر وتشاد . وكان هذا بمثابة اقامة حاجز مادى بين الجزائر فى الشمال الافريقى وبين جيرانها فى افريقيا السوداء . ولكن الثورة الجزائرية قاومت هذه الفكرة وافشلتها كما قاومت هذه الفكرة أيضا بعض التنظيمات الافريقية الاخرى مثل حزب سوابا « Swaba » بزعامة جيبوبكارى فى النيجر وباستقلال هذه الدول الافريقية بأجزائها الصحراوية واستقلال الجزائر بصحرائها كاملة عادت الصحراء تربط بين الجزائر وجيرانها الافريقيين .

عبد الناصر والتضامن الافريقى الاسيوى :

كان مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ بداية لظهور الدول الافريقية على مسرح السياسة الدولية واتخاذها دورا ايجابيا بجانب الدول الاسيوية فى القضايا العالمية ، فقد تضمن اعلان باندونج الاسس السياسية الفلسفية التى تتمكن بها الدول من العيش مع بعضها فى وئام وسلام واقامة العلاقات العالمية على أساس التعاون على مستوى واحد ليس فيه استغلال اقتصادى او سيطرة سياسية كما اهتم المؤتمر أيضا بقضايا التحرر والاستقلال وحق تقرير المصير لكافة شعوب العالم التى عليها أن تعمل على التحرير من السيطرة الاستعمارية والقضاء على العلاقات الراسية القديمة التى كانت تتحكم بها مجموعة قليلة من الدول فى التوجيه العالمى وفى مستقبل البشرية .

وقد تكونت على اثر مؤتمر باندونج المجموعة الافريقية الاسيوية فى

الامم المتحـــدة التى أصبحت أكبر مجموعة من مجموعاتها وبذلك ظهرت قدرة جديدة لدول أفريقيا فى التأثير العـــالمى ، واستخدمت هذه القدرة فى خدمة القضايا الافريقية المعروضة على الامم المتحدة والخاصة بتصفيةالاستعمار والتفرقة العنصرية وقضايا التحرر على اختلاف أشكالها .

ولم يحضر باندونج من قارة افريقيا سوى أربع دول فقط هى مصر واثيوبيا وليبريا وليبيا بالاضافة الى وفدين حضرا بصـــفة مراقبين همـــا ساحل الذهب (غانا حاليـــا) والسودان حيث لم يكونا قد حصـــلا على استقلالهما بعد . وكان جمال عبد النـــاصر هو الزعيم الافريقى الذى شد الانتباه فى هذا المؤتمر واعتبر الممثل الحقيقى لافريقيا الجديدة ، افريقيـــا الثـــورة .

ورغم انه لم يحضر مؤتمر باندونج سوى هـــذا العدد القليل من الدول الافريقية الا أن تجاوب الحركة الافريقية لفكرة التضامن الافريقى الاسيوى كان عظيما . فقد اعترضت جميع الدول الافريقيـــة التى استقلت بعد ذلك بالمبـــادىء المعلنة فى باندونج وأعلنت تمسكها بهذه المبـــادىء . وقد ظهر ذلك جليـــا فى الاعلان الذى صدر عن أول مؤتمر للدول الافريقية المستقلة فى أكرا فى ابريل سنة ١٩٥٨ .

وقد أعقب مؤتمر باندونج مؤتمر آخر عقد فى القاهرة فى أواخر عام ١٩٥٧ جاء مكملا له وهو مؤتمر التضامن للشعوب الافريقية الاسيوية الذى ضـــم عـــددا كبيرا من حركات التحرير والاحزاب والتنظيمات السياسية المختلفة فى كل من القارتين . وقد بلغ عدد الاقطار الافريقية التى مثلت فى المؤتمر ١٩ قطرا وتولت مصر مسؤولية الاتصال بالتنظيمات الافريقية المختلفة لحضور هذا المؤتمر . فقد كانت القاهرة قد أصبحت العاصمة السياسية لحركات الاستقلال فى القارة والقاعدة الاساسية لتحرير أفريقيا . وكان هذا هـــو السبب الذى من أجله اختيرت القـــاهرة مكانا لانعقـــاد هذا المؤتمر كما كان أيضا هو السبب فى اختيارها لتكون مقرا للسكرتارية الدائمة لمؤتمر التضامن للشعوب الافريقية الاسيوية .

وهكذا أصبحت القاهرة نقطة الالتقـــاء بين آسيا وأفريقيا ليس فقـــط بسبب موقعها الجغرافى ولكن أيضا بفضل واقعها السياسى ونشاطها الواسع فى المجالين الآسيوى والافريقى .

المكاتب السياسية لحركات التحرير الأفريقية فى القاهرة :

عندما اتسعت دائرة الاتصال بحركات التحرير والحركات الوطنية الافريقية وامتلأت العاصمة المصرية بوفود وممثلى هذه الحركات شجعتهم القاهرة على فتح مكاتب سياسية دائمة على غرار المكاتب التى كانت قد فتحتها جبهة التحرير الجزائرية اثناء الثورة فى القاهرة وفى اماكن أخرى بعد ذلك . وتكفلت الدولة بتكاليف الانفاق على هذه المكاتب .

وكان الهدف من فتح هذه المكاتب هو جعلها حلقة الاتصال الدائمة والسريعة بيننا وبين حركات التحرير . كما تتلقى المساعدات المصرية فى مختلف الميادين بما فيها المنح الدراسية واستجلاب الطلاب المؤهلين لها . وكانت تقوم هذه المكاتب أيضا بالدعوة لقضاياها الوطنية بما فى ذلك امداد الاذاعات الموجهة من القاهرة بالمعلومات والاخبار المؤثرة . وعملت هذه المكاتب كنافذة على العالم الخارجى لحركاتها حيث يسهل الاتصال من القاهرة بأى دولة أو جهة فى العالم وتلقى مساعداتها . كما يسهل عمل المؤتمرات الصحفية والاتصال بأجهزة الاعلام العالمية .

وكانت القاهرة بذلك هى أول عاصمة فى العالم يتجمع فيها مثل هذا العدد من ممثلى حركات التحرير والحركات الوطنية التى جاءت من جميع أنحاء القارة ومن جميع مناطق الاستعمار فى أفريقيا . وكان طبيعيا أن تقوم صلات وتبادل للآراء والخبرة بين هذه الحركات بعضها البعض الامر الذى لم يكن موجودا على هذا المستوى من قبل .

وكان بعض هذه المكاتب يمثل تنظيمات سياسية معترفا بها فى بلادها وتمارس نشاطها هناك كالاحزاب السياسية التى كانت موجودة فى كثير من المستعمرات الانجليزية مثل كينيا وزنزبار التى كانت أول مكاتب تفتح فى القاهرة . وكان البعض الآخر يمثل تنظيمات لا تعترف بها السلطة الاستعمارية ولكنها تمارس نشاطها فى الداخل بشكل غير شرعى ويعيش زعماؤها كلاجئين سياسيين فى الخارج مثل اتحاد شعب الكاميرون (U. P. C.) قبل استقلال الكاميرون ، وحزب المؤتمر الوطنى الافريقى ، وحزب مؤتمر البان افريكان (P. A. C.) من جنوب أفريقيا . كما كانت بعض هذه المكاتب تمثل ثورة مسلحة مثل الحركة الشعبية لتحرير أنجولا M. P. L. A. وجبهة تحرير موزمبيق F. R. E. L. I. M. O.

وكانت هذه المكاتب تمثل أيضا اتجاهات سياسية وعقائدية مختلفة بعضها ماركسى مثل اتحاد شعب الكاميرون والحركة الشعبية لتحرير انجولا وبعضها يؤمن بالنظم الليبرالية مثل الاحزاب التى كانت فى أوغندا وزنزبار قبل الاستقلال .

وكان كثيرا ما يتواجد فى القاهرة مكاتب سياسية متعددة من الاقليم الواحد . فكان يوجد على سبيل المثال مكتب لحزب الاتحاد الوطنى الافريقى K. A. N. U. ومكتب آخر لحزب الاتحاد الوطنى الديمقراطى K. A. D. U. وكلاهما من كينيا وكذلك حزب اتحاد شعب أفريقيا لزمبابوى Z. A. P. U. والاتحاد الوطنى الافريقى لزمبابوى Z. A. N. U. وكلاهما من روديسيا (زمبابوى) .

منهج فى التعامل :

ولكن هذه التنظيمات التى فتحت لها القاهرة أبوابها كانت جميعها تشترك فى أنها تنظيمات وطنية ذات فاعلية فى بلادها وتناهض الاستعمار وتعمل من أجل الاستقلال الوطنى . وكانت هذه هى الشروط لقبول اى حركة وطنية ومساندتها بغض النظر عن برنامجها وأسلوبها لتحقيق ذلك . وكان مجرد اعتراف القاهرة بتنظيم حركة أفريقية ما ووجود مكتب لهذه الحركة فى القاهرة يفتح لها مجال التعامل مع الدول التقدمية الاخرى لأن فى ذلك الدليل على جديتها ووطنيتها .

وقد التزمت القاهرة فى جميع مراحل تعاملها مع الحركات والتنظيمات الوطنية فى افريقيا بعدم التدخل فى شؤونها الداخلية بأى حال من الاحوال أو محاولة فرض اشخاص أو ابعاد آخرين ، ولذلك احتفظنا بعلاقات طيبة مع جميع هذه التنظيمات . فقد كان الهدف الاساسى فى هذه المرحلة هو مقاومة الاستعمار التقليدى وتصفيته . وكان المتبع هو وقف نشاط هذه المكاتب بمجرد حصول الدولة على استقلالها . فاذا كان النظام الحاكم هو صحب التمثيل فى المكتب السياسى الموجود من قبل فى القاهرة ، كان يستبدل هذا التمثيل بسفارة الدولة الجديدة كما حدث فى كثير من الحالات مثل زامبيا وزنزبار . أما اذا كان المكتب الموجود فى القاهرة يمثل تنظيما آخر فيوقف نشاطه فورا مع الاحتفاظ بحق اعضائه فى البقاء فى القاهرة كلاجئين سياسيين اذا كانت عودتهم تشكل خطورة على حياتهم ولكن بشرط وقف نشاطهم السياسى تماما .

وفتحت القاهرة ابوابها للاجئين من الزعماء السياسيين الافريقيين من المناطق المستعمرة ووفرت لهم كل وسائل العمل ضد الاستعمار .

وهكذا تجمعت خيوط الثورة الافريقية فى القاهرة التى أصبحت السند الأول والقاعدة الاساسية لهذه الثورة .

الرابطة الافريقية :

انشئت الرابطة الافريقية فى اواخر عام ١٩٥٥ على هيئة جمعية لهـا نشاط سياسى وثقافى يتلخص فيما يلى :

أولا : تقديم كل التسهيلات الممكنة للمكاتب السياسية التابعة لحركات التحرير والحركات الوطنية الافريقية من توفير المكان المناسب لهذه المكاتب الى توفير الاتصال بأجهزة الدولة وتوفير وسائل الطباعة والنشر اللازمة لتقوم هذه المكاتب بمهمتها الاعلامية ، كما تقوم الرابطة بتجهيز واعداد اللازم لعقد المؤتمرات الصحفية باستقبال الوفود والمبعوثين الافارقة التابعين لحركات التحرير فى اى وقت وتقوم بترتيب اللازم لاقامتهم ومقابلة المسؤولين، وتوفر الرابطة الخبراء والمستشارين فى مجالات السياسة والقانون لهذه المكاتب وتقدم لها الابحاث اللازمة والمفيدة لقضايا بلادها وذلك فى حالة طلبها . وتخصص المكان المناسب لاقامة الندوات والاجتماعات الخاصة بها.

وقد احتوى مبنى الرابطة عددا كبيرا من المكاتب السياسية بقدر ما سمح به المكان وعندما زاد عدد المكاتب عن امكانيات المبنى الذى تشغله الرابطة كانت تؤجر للمكاتب الجديدة أماكن خارج المبنى ولكن قريبا منها بقدر الامكان .

وكانت المكاتب السياسية مجتمعة تصدر نشرة باسم مجلة الرابطة الافريقية تحررها هذه المكاتب بمعرفتها وتعكس نضال شعوبها وتشرح قضاياها .

وقد ساهمت الرابطة مساهمة ايجابية فى أن تتعارف هذه الحركات فيما بينها وتتبادل الخبرة والمعرفة والمعلومات وان تعيش فى مناخ ثورى معاد للاستعمار . وكانت هذه العلاقة بين الرابطة الافريقية والمكاتب السياسية الافريقية هى السبب الرئيسى فى ذيوع صيت هذه الرابطة وشهرتها العالمية.

ثانيا : وكان الهدف الثانى هو نشر الوعى الافريقى بين المصريين وخلق المجال المناسب ليتعارف المثقفون المصريون والافارقة من أعضاء المكاتب السياسية ومن الشباب الافريقى الذين يدرسون فى القاهرة ومحاولة حل مشاكل هؤلاء الشباب وتثقيفهم سياسيا فى هذا المناخ الثورى .

وكانت الرابطة تقيم الندوات الثقافية وتدعو اليها الشباب من الافريقيين ومن المصريين وقد جذبت الرابطة عددا من اساتذة الجامعة من المهتمين

بالشؤون الافريقية وبعض شباب الجامعات من المصريين الذين تحمسوا للنشاط الافريقى وكرسوا له الكثير من وقتهم وجهدهم .

وفى هذا المجال لا يفوتنى أن أذكر الجهد المخلص الذى بذله المرحوم عبد العزيز أسحق الذى رأس تحرير المجلة التى اصدرتها الرابطة الافريقية باسم « نهضة أفريقيا » وكانت تصدر شهريا بقصد تنمية الوعى الافريقى ونشر البحوث التى تهم أفريقيا ولكنها توقفت بعد فترة لضيق الامكانيات المادية ، كما ساهم عبد العزيز اسحق فى الكثير من نشاط الرابطة .

ورغم ان امكانيات الرابطة الافريقية المحدودة كانت دائما تقف عقبة فى سبيل تحقيق هذه الاهداف الكبيرة فى مجال الثقافة ، الا أنها أفادت كثيرا فى ايجاد صلة ممتازة مع الشباب الافريقى الموجود فى جامعات ومعاهد ومدارس القاهرة . كما افرزت الرابطة الافريقية عددا من المصريين الجامعيين المهتمين بالشؤون الافريقية والذين برزوا فى الدراسات الافريقية النظرية والميدانية . وقد تميز من هؤلاء عدد من الشبان الذين عملوا كمساعدين لى فى مكتب الشؤون الافريقية .

المساعدات المصرية لحركات التحرير :

فى مجال المساعدات العسكرية كانت مصر اول دولة فى العالم تفتح أبوابها لتدريب حركات التحرير الافريقية عسكريا . حدث ذلك بالنسبة لحركات التحرير من روديسيا وأنجولا وموزمبيق وجنوب أفريقيا ، وهى المناطق التى كان الاستعمار فيها يرفض التطور الدستورى واصبح من المسلم به أن أى تطور لصالح الوطنيين لن يكون الا باستخدام القوة . وكان التدريب يتم فى مدرسة الصاعقة التابعة للقوات المسلحة وهو نفس التدريب والاسلوب الذى سبق اتباعه مع مجموعات الفدائيين الجزائريين فى بداية الثورة الجزائرية .

وفتحت الكلية الحربية المصرية أبوابها أيضا لاستيعاب أعداد من الافريقيين المؤهلين سنويا وكان يتم اختيارهم بمعرفة الحركات الافريقية ليكونوا نواة الجيوش الوطنية بعد الاستقلال . حيث كانت الدول الاستعمارية فى معظم مستعمراتها تقصر وجود الوطنيين فى الجيش على رتب الصف والعساكر فقط أما الضباط فكانوا دائما من الاوربين . وعندما قامت ثورة الصومال كان عدد كبير من أعضاء مجلس قيادة الثورة من بين الضباط الصوماليين الذين تخرجوا من الكلية الحربية المصرية بهذه الطريقة وكانوا قد دخلوا الجيش بمجرد استقلال الصومال .

أما من ناحية السلاح فقد كان مكتب الشؤون الافريقية برئاسة الجمهورية قد تسلم مخازن السلاح الذى كان يستخدم ضد القاعدة البريطانية وذلك بمجرد توقيع اتفاقية الجلاء . وبعد تسليح الجيش المصرى بأسلحة روسية أصبح لدينا فائض كبير من الاسلحة الانجليزية القديمة كان تمناسبة لتسليح حركات التحرير حتى لا يعرف مصدرها وهى فى أيدى الافريقيين ، وكانت مصر بذلك هى أول دولة أيضا توفر السلاح لحركات التحرير الافريقية وتتولى نقله بطرق مختلفة .

فبالنسبة لروديسيا الجنوبية (زمبابوى) على سبيل المثال كان الزعيم المعروف جوشوا نكومو يتسلم الاسلحة والمفرقعا توينقلها هو وأتباعه فى هيئة طرود اما جوا أو بحرا الى دار السلام وحيث كان مكتب الشؤون الافريقية يؤمن وصولها الى الداخل بالاتفاق مع معاونى الرئيس نيريرى. ومن دار السلام كان نكومو وأتباعه يتولون تهريبها عبر الحدود الى داخل روديسيا . وكانت هذه هى أول الشحنات من المفرقعات والاسلحة التى تدخل روديسيا بهذا الكم وتستخدم فى حركة المقاومة .

وفى عام ١٩٦٣ بعد دخول نكومو مباشرة الى داخل روديسيا (حيث اعتقل واستمر اعتقاله أحد عشر عاما بعد ذلك) تم الاتفاق مع حزب اتحاد الشعب الافريقى الزمبابوى Z. A. P. U. على أن تقوم الطائرات المصرية باسقاط كميات كبيرة من الاسلحة والمواد الناسفة فى مناطق يتفق عليها فى روديسيا استعدادا لتوسيع نطاق حركة المقاومة . وقد تم هذا الاتفاق فى مقابلة تمت بين الرئيس جمال عبد الناصر والاب سيثولى باعتباره نائبا لنكومو . وكانت الخطة هى الاستفادة بطائراتنا الموجودة فى اليمن لتنفيذ ذلك .

ورغم أن هذه العملية لم تتم بسبب انشقاق سيثولى عن حزب نكومو وتكوينه حزبا جديدا باسم الاتحاد الوطنى الافريقى لزمبابوى Z. A. N. U. الا انها توضح الى أى مدى كان عبد الناصر على استعداد لتأييد حركات التحرير وخاصة فى مناطق الاستعمار الاستيطانى التى لا يمكن تحريرها الا بالقوة .

وقد ظلت مصر فى البداية هى المصدر الوحيد لتسليح وتدريب حركات التحرير الافريقية الى أن عرفت هذه الحركات طريق الاتصال بدول الكتلة الشرقية واعتادت عليه ثم استقلت الجزائر وبدأت تساهم هى الاخرى فى هذا الاتجاه وبعد انشاء لجنة التنسيق التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية واتخاذ دار السلام مقرا لهذه اللجنة فتح الرئيس جوليوس نيريرى

بلاده لتكون قاعدة أساسية لحركات التحرير . فاقيمت معسكرات التدريب للافريقيين وتدفقت الاسلحة على دار السلام ولحساب حركات التحرير من دول الكتلة الشرقية وأماكن كثيرة أخرى . ولا شك أن اسم الرئيس نصيرى سوف يرتبط دائما بتاريخ حركة التحرير الافريقية لموقفه هذا وتأييده ومساندته المستمرة لحركات التحرير وخاصة فى موزمبيق المتاخمة لتنزانيا .

ولم تقتصر المساعدات المصرية لحركات التحرير على النواحى العسكرية فقط بل تعدتها الى مجالات كثيرة أخرى ، ففى مجال العمل الدبلوماسى تبنت مصر قضايا التحرر وتصفية الاستعمار وتقرير المصير فى الامم المتحدة . وهى فى ذلك لم تكن وحدها بطبيعة الحال ، فقد كانت هناك دول أخرى مثل الهند ودول الكتلة الشرقية وغيرها تهتم بنفس القضايا ولكن مصر كانت الاقدر فى عرضها بحكم صلتها بهذه الحركات الموجودة بالفعل فى القاهرة . واتبعت مصر تقليدا جديدا ، فكانت تدعو حركات التحرير لارسال مندوبين عنها للتواجد فى نيويورك أثناء دورة انعقاد الامم المتحدة فى كل عام وتتكفل بنفقات سفرهم واقامتهم وتساعدهم حتى تتمكن هذه الحركات من الدعوة لقضاياها سواء لدى الوفود المختلفة أو بالظهور أمام اللجنة الرابعة (لجنة الوصاية) كمقدمى عرائض Petitioners وكان تواجد ممثلى هذه الحركات فى الامم المتحدة وظهورهم بهذه الطريقة يعطى الكثير من الحيوية لمناقشات الامم المتحدة عند نظر القضايا الافريقية الخاصة بهم ، كما كان يضفى أهمية خاصة على وفد مصر لان وجود هؤلاء المندوبين قريبين من الوفد المصرى — الذى كان يقدم لهم المساعدة القانونية والفنية ليهيىء لهم الاتصالات بالوفود الاخرى جعل مصر قادرة على التعبير بصدق عن أمانى الشعوب الافريقية وقضاياها .

واستمرت مصر هى الدولة الافريقية الوحيدة فى الامم المتحدة التى تثير المتاعب للدول الاستعمارية من أجل القضايا الافريقية الى أن استقلت غانا وبعدها غينيا ومالى ثم انضمت المجموعات الافريقية الاخرى . ولكن بقيت مساهمة مصر فى هذا المجال فى المقدمة دائما بحكم الخبرة الطويلة فى الامم المتحدة .

ولقد وقفت مصر بجانب جميع الثورات الافريقية التى قامت ضد الاستعمار منذ عام ١٩٥٢ ابتداء من ثورة الماو ماو فى كينيا ثم ثورة الجزائر عام ١٩٥٤ ثم ثورة الكاميرون فى عام ١٩٥٦ عندما قام اتحاد شعب الكاميرون U. P. C. باشعال الثورة مطالبا بتوحيد أجزاء الكاميرون الموجودة تحت الإستعمار الانجليزى وتلك الموضوعة تحت وصاية الامم المتحدة والادارة الفرنسية وذلك بهدف ايجاد دولة كاميرونية واحدة مستقلة . وكانت مصر هى أول دولة من غير دول الكتلة الشرقية تقف مع هذه الثورة وتؤيدها .

واصبحت القاهرة مقرا لزعماء هذه الحركة المنفيين امثال دكتور فيلكس موميه الذى تولى رئاسة الحركة عام ١٩٥٨ بعد وفاة زعيمها ام نيوبى فى احد عمليات المقاومة ، واستمر تأييد مصر لهذه الحركة الى ان استقل الكاميرون فى أول يناير سنة ١٩٦٠ .

ثم وقفت مصر مع ثورة الكونغو فى عام ١٩٦٠ ثم ثورات انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو . ووقفت مصر دائما مع نضال شعب روديسيا (زمبابوى) بل انها قطعت علاقاتها مع بريطانيا فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ احتجاجا على موقفها بعد اعلان الحكومة العنصرية فى روديسيا للاستقلال من جانب واحد ورفض بريطانيا التدخل لسحق هذا التمرد ، فاعتبرت بذلك متخلية عن مسؤولياتها أمام الامم المتحدة فى العالم كله ، هذه المسؤوليات التى تحتم عليها ضرورة تسليم السلطة لاهلها الشرعيين واعطاء الحكم للاغلبية الساحقة من سكان الاقليم وهى من الافارقة السود . وكان هذا قرارا اتخذته منظمة الوحدة الافريقية بحضور ٣٨ دولة افريقية ولكنه لم ينفذ الا من تسع دول افريقية فقط كانت مصر من بينها .

كما أيدت مصر حركات التحرير فى جنوب أفريقيا وجنوب غرب أفريقيا وجزر القمر وكومورو وكل مكان فى أفريقيا . ويمكن القول بكل اطمئنان انه لم يحدث أن قامت حركة ثورية تحررية فى أفريقيا بعد عام ١٩٥٢ الا وكان لها اتصال بالقاهرة وأيدها عبد الناصر ووقف معها .

الفصل الثالث

مساعدات جمال عبد الناصر للدول الافريقية حديثة الاستقلال

أهداف المساعدات المصرية للدول الافريقية :

— مقاومة النشاط الاسرائيلى فى افريقيا .

— فتح مجال التعاون الاقتصادى مع الدول الافريقية .

نماذج من المساعدات المصرية الى الدول الافريقية :

— عبد الناصر ينهى ضغط الشركات الايطالية فى الصومال .

— تقديم الخبرة الفنية لافريقيا .

— قرض الى غينيا .

— قرض الى جمهورية مالى .

— قروض لم تنفذ .

عبد الناصر يقضى على سياسة احتكار السلاح فى افريقيا :

— مصر تسلح وتدرب جيش مالى .

— وجيش الصومال .

— جومو كينياتا يطلب المساعدة العسكرية من جمال عبد الناصر

— موقف مع أوغندا .

— مساعدات عسكرية أخرى .

اهداف المساعدات المصرية للدول الافريقية :

وقف جمال عبد الناصر مع كل الدول الافريقية التى كانت تناضل من اجل تحرير ارادتها والخروج من دائرة السيطرة الاستعمارية كما وقفت من قبل مع كل حركة تحرير افريقية تناضل من أجل استقلال بلادها . وكان ذلك ايمانا منه بحق الشعوب فى تقرير مصيرها وتدعيم استقلالها وايمانا بوحدة النضال فى مواجهـــة الاستعمار الجديد الذى يريد الانتقاص من اســـتقلال الدول الجديدة .

وكان عبد الناصر يشعر بمسؤولية خاصة حيال الدول الافريقية حديثة الاستقلال ، فمصر التى اشتركت وساهمت مساهمة ايجـــابية فى انهــــاء الاستعمار التقليدى كانت تريد الاستفادة برياح التغيير المتعاظمة التى تهب على القارة قبل ان تهدأ هذه الرياح ويبطل مفعولها باستقلال تكبله اتفاقات وارتباطات غير متكافئة مع دول الاستعمار القديمة . فكان عبد الناصر يريد لأكبر عدد من الدول الافريقية أن تستكمل استقلالها وارادتها لانـــه يرى فى ذلك تأمينا وتعزيزا لاستقلال مصر .

كما كان يشعر عبد الناصر بمسؤولية خاصة حيال تدعيم سياسة عدم الانحياز فى أفريقيا باعتباره احد أقطاب هذه السياسة ، الامر الذى كــان يفرض عليه مساعدة الدول الافريقية فى معاركها للتحرر من السيطرة الاجنبية وحتى تكون قادرة على الوقوف فى صف الدول غير المنحازة .

بهذا المفهوم قدمت مصر مساعداتها الى الكثير من الدول الافريقية حديثة الاستقلال والتى سنتعرض لبعضها فيما بعد . ولكن يهمنا قبل ذلك ايضـــاح أن موقف عبد الناصر المبدئى والصريح من الاستعمار الجديد فى افريقيا كانت له أيضا دوافعه القومية والمحلية المرتبطة باستراتيجية واهـــداف السياسة المصرية وهى :

١ ـــ مقاومة النشاط الاسرائيلى فى افريقيا .
٢ ـــ فتح مجال التعاون الاقتصادى مع دول القارة الافريقية .

مقاومة النشاط الاسرائيلى فى افريقيا :

كان عبد الناصر يعطى اهمية خاصة لمقاومة النفوذ والنشاط الاسرائيلى فى افريقيا وذلك لاستكمال حلقات الحصار الاقتصادي الذى فرضته عليهـــا الدول العربية .

وقد كان الوجود الاسرائيلي في أي دولة من الدول الافريقية مرهونا دائما بالتواجد الاستعماري فيها ويتناسب كما تناسبا طرديا مع مدى السيطرة الاستعمارية والامبريالية على هذه الدولة ، واستخدمت اسرائيل كأداة من أدوات الاستعمار في أفريقيا ولكنها استفادت هي أيضا من وضعها كدولة صغيرة جديدة لا تثير شكوك الدول الافريقية حديثة الاستقلال لتحقيق أهدافها الذاتية .

وكانت اسرائيل تحاول بكل ثقلها خلق مصالح وعلاقات تجارية مع المستعمرات الافريقية قبل الاستقلال مستفيدة من الوجود الاستعماري وشركات الاحتكار الغربية والنفوذ اليهودي المتغلغل فيها وذلك بقصد كسر الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليها الدول العربية وأيضا لضمان اعتراف الدول الافريقية بمجرد استقلالها باسرائيل . وكانت مشكلة الاعتراف هذه من المشكلات التي تؤرق اسرائيل كثيرا في ذلك الوقت لوجود عدد كبير من دول العالم لم يكن قد اعترف بها . ومن اجل ذلك أقامت اسرائيل قنصليات عديدة في المستعمرات الافريقية حتي تتحول الى سفارات بمجرد الاستقلال . هذا في الوقت الذي لم تكن تسمح فيه السلطات الاستعمارية للمصريين بمجرد زيارة هذه الاقاليم .

وأذكر انه عندما كانت بريطانيا تسعى لعودة العلاقات مع مصر والتي كانت قد قطعت بعد حرب السويس ، طلبنا اقامة قنصليات مصرية في بعض العواصم الافريقية مثل نيروبي أسوة بما هو متبع مع اسرائيل ولكن الانجليز رفضوا متحججين بعذر سخيف اذ قالو ان هذه القنصليات فخرية ولا يسمح بها الا لرعايا بريطانيا ، فالقنصل الاسرائيلي في نيروبي يهودي ولكنه يحمل الجنسية البريطانية ونظرا لعدم وجود مصريين يحملون الجنسية البريطانية في هذه المناطق فلا يمكنهم الاستجابة لهذا الطلب . والحقيقة ان سبب التفرقة هو أن اسرائيل كانت تعمل لحساب الاستعمار وأداة له وتتفق مصالحها مع مصالحه في الوقت الذي كانت فيه مصر تقف بكل قوة مع الحركات الوطنية وحركات التحرير وتقدم لها المساعدات .

ونلاحظ ان جميع الدول الافريقية التي دخلت في صدام حقيقي مع الاستعمار وقاومت الاستعمار الجديد من اجل تحقيق استقلالها الكامل كانت تنتهي عادة الى تصفية النفوذ الاسرائيلي وذلك لان الصدام مع القوي الاستعمارية ومقاومة ضغوطها كان يكشف موقف اسرائيل باعتبارها أداة من أدوات الاستعمار والامبريالية . وقد حدث ذلك في مالي وغينيا والكونغو برازافيل وبوروندي وغيرها . وعلى عكس ذلك كان يستفحل نفوذها في الدول التي يتمكن منها الاستعمار وتسيطر عليها الامبريالية . فقد كانت قواعد ارتكاز

اسرائيل الرئيسية فى افريقيا هى ليبريا واثيوبيا حيث كان النفوذ الامريكى متعاظما . وفى ساحل العاج أيضا التى كانت دائما من اكثر الدول الافريقية ارتباطا بفرنسا ولنفس الأمر كذلك فى مناطق الاستيطان الاوربى مثل جنوب افريقيا وروديسيا .

وقد كانت اسرائيل تقدم للدول الافريقية القروض والخبرة الفنية وتدرب بعض جيوش هذه الدول وتبيعها السلاح . وكان ذلك كله يتم عادة فى اطار السياسة الاستعمارية بل وفى كثير من الأحيان من خلال الدول الاستعمارية نفسها .

ولست هنا بصدد الحديث عن تفاصيل مقاومة النشاط الاسرائيلى فى القارة فقد لا يتسع المجال لذلك . ولكن كل ما أردت الاشارة اليه هو الارتباط الوثيق بين النفوذ الاستعمارى والامبريالى فى الدول الافريقية والوجود الاسرائيلى فيها . ولذلك كان عبد الناصر يرى أن مقاومة النفوذ الاسرائيلى فى افريقيا اساسه مقاومة السيطرة الاستعمارية على دول أفريقيا او ما سمى بالاستعمار الجديد . وبالتالى كان يرى ضرورة تقديم المساعدة لهذه الدول فى حدود ما تقدمه اسرائيل على الاقل حتى نستطيع مطالبة هذه الدول وقف تعاملها مع اسرائيل .

فتح مجال التعاون الاقتصادى مع الدول الافريقية :

كانت مصر تريد أن تفتح مجال التعامل الاقتصادى أمامها فى أفريقيا وخاصة فى المجال التجارى . فقد عملت الثورة المصرية على تحرير اقتصادها من السيطرة البريطانية التى كانت موجودة عندما قامت الثورة وكان ذلك بسعيها الدائم لتكون تجارتها مع العالم الخارجى موزعة توزيعا متساويا على مجالات ثلاثة ، فيكون ثلث تجارتها مع دول الكتلة الشرقية وثلثها مع الدول الغربية والثلث الاخير مع دول العالم الثالث ، وكان عبد الناصر يعتقد أن هذا التوزيع ضرورى ليحفظ للاقتصاد المصرى أمنه وحريته فى التعامل ويجعله قادرا على مواجهة اى ضغوط طارئة مهما كان مصدرها .

وفى مجال دول العالم الثالث سوف نجد أن افريقيا هى أنسب هذه الدول بالنسبة لمصر فى مجال التبادل التجارى ، وذلك اولا لموقع مصر الجغرافى منها وثانيا باعتبار افريقيا موردا لكثير من المواد الخام اللازمة للصناعة المصرية ، وثالثا لانها انسب الاسواق لتصريف منتجاتنا الصناعية التى يصعب تصريفها فى مجتمعات الرفاهية . وكانت مصر فى بداية الستينات قد بدأت خطتها الطموحة للتصنيع وكان مأمولا أن يصبح لدينا فائض كبير للتصدير فى

المستقبل اذا استمرت التنمية الصناعية بمعدلها العالى . ولكن الاحتكارات الاوربية وسيطرتها على تجارة الدول الافريقية واحتكارها للمحاصيل الرئيسية فى العديد من البلاد الافريقية كان يقف عقبة فى سبيل التبادل التجارى بيننا وبين دول أفريقيا .

واذكر ان الرئيس كينيث كاوندا رئيس جمهورية زامبيا قد حضر الى القاهرة قبل استقلال بلاده بفترة قصيرة . وطلب كاوندا من جمال عبد الناصر ان يرسل وفدا على مستوى عال الى زامبيا بعد الاستقلال مباشرة .

وبحثنا مع الرئيس كاوندا ما يمكن تحقيقه من تعاون بين البلدين ويمكن اعلانه أثناء زيارة الوفد لزامبيا ، ووجدنا أننا فى مصر نستورد سنويا — فى ذلك الوقت كمية من النحاس الخام تحتاجها صناعاتنا المختلفة بما قيمته ٦ مليون جنيه استرلينى . وكان النحاس الذى نستورده هو نحاس زامبيا ونشتريه من اسواق لندن . وقال الرئيس كاوندا انه بعد الاستقلال ستحصل حكومة زامبيا على حصة من انتاج النحاس واننا نستطيع شراء ما يلزمنا من النحاس الخام من زامبيا مباشرة كبداية للتعاون الاقتصادى بين البلدين .

وبعد وصول البعثة المصرية الى لوساكا العاصمة وبعد أن أعددنا البروتوكلات التى تنظم هذا التبادل ظهرت لنا عقبات وقيود آثارها أحد الخبراء الانجليز فى وفد زامبيا اتضح أنه المسؤول الأول فى وزارة التجارة عن تنظيم هذه الاتفاقات وكان اعتراضه مبنيا على أن هناك اتفاقات مع بعض الشركات تمنع زامبيا من التصرف على هذا النحو فى حصتها من النحاس .

ولم يتم الاتفاق الذى كنا قد أعددنا له ، وكان الامر محرجا للرئيس كاوندا ولكننا اكدنا له اننا نفهم طبيعة هذه الصعوبات وسوف ننتظر حتى يصبح هذا ممكنا .

لم يكن قد مر على استقلال زامبيا سوى اسابيع قليلة ، وكان وجود هذا الخبير الانجليزى بسلطاته الواسعة ، والاتفاقات غير العادلة التى تحرم حكومة زامبيا من التصرف فى حصتها من النحاس ، ونفوذ الشركات الاجنبية التى تتحكم فى أسعار النحاس وتحقق أرباحا خيالية فى عمليات النقل والتأمين كلها أشكال من الاستعمار الجديد ، وعندما أمم الرئيس كاوندا بعد ذلك ٥١٪ من اسهم شركات تعدين النحاس فى زامبيا ، كان من الطبيعى أن يؤيد عبد الناصر هذا الاجراء ويقف بجانب كاوندا وشعب زامبيا فى نضاله من أجل تحرير اقتصاده .

واذا كان عبد الناصر قد اهتم بتصفية الاستعمار الجديد فى افريقيا ودعا دائما الى مقاومة سيطرة الدول الاستعمارية والشركات والاحتكارات الرأسمالية حتى تؤول الثروة فى البلاد الى أصحابها الحقيقيين ، الا انه كان يرى ضرورة الدراسة والاعداد الجيد لكل المعارك الوطنية التى تؤثر على الاقتصاد القومى حتى لا يحدث الخلل أو الانهيار الاقتصادى فتنتكس الحركة الوطنية .

واذكر أن الرئيس كاوندا فى احدى زياراته الى القاهرة قبل الاستقلال طلب أن يدرس عملية تأميم قناة السويس وأبعادها القانونية والمشاكل الاقتصادية والسياسية التى قابلتها مصر من جراء هذه العملية وكيف تغلبت عليها . ولم يفصح كاوندا عن سبب هذه الدراسة ، ولكن كان معروفا أن زامبيا بها شركات النحاس الضخمة التى تمتلك الثروة فى بلاده والتى يتغلغل فيها نفوذ جنوب أفريقيا ، كما كان معروفا أن الفنيين والمديرين فى هذه الشركات ومناجم النحاس التابعة لها جميعهم من الاوربيين الاجانب والمستوطنين .

وقد أعدت الدراسة التى طلبها كاوندا ورتبت له عدة لقاءات مع بعض أساتذة الاقتصاد والقانون ومدير معهد التخطيط ثم قابل السيد على صبرى رئيس الوزراء وقتئذ لاستكمال الحديث حول تأميم قناة السويس . وأخيرا توجهنا سويا للقاء عبد الناصر الذى قال لكاوندا : « اذا كان لى أن أنصح فأعتقد أنه من الخطأ أن تقدم على عمليات التأميم الآن وخاصة لمناجم النحاس . فيجب أن يتوفر لديك الفنيون والخبراء الوطنيون اللازمون لتشغيل المشروعات المؤممة أو على الأقل يكون لهم القدرة على السيطرة الفنية والادارية حتى يتمكنوا من تشغيلها بنفس الكفاءة . ومن الواضح أن هذا يحتاج الى بعض الوقت والى أن يتم ذلك أعتقد أنه من المفيد أن تكون علاقتك طيبة قدر الامكان ببريطانيا (وهى الدولة التى كانت تستعمر زامبيا قبل الاستقلال) فسوف تحتاج الى مساعدتها الفنية والاقتصادية حتى تتمكن من ترتيب البيت الداخلى ومقاومة نفوذ وأطماع جنوب افريقيا والى أن تتمكن من اقامة الجسور بينك وبين دول أخرى فى العالم كله » .

ولم يخف كاوندا دهشته فى أن يسمع هذه النصيحة من الرجل الذى كان الانجليز يعتبرونه عدوهم الأول . ولكن عبد الناصر كان يريد لكاوندا أن يستعد جيدا قبل أن يقدم على عملية التأميم حتى لا يتأثر انتاج النحاس . وكان ذلك قبل استقلال زامبيا بشهور قليلة . وفى عام ١٩٦٨ ذكرنى الرئيس كاوندا بهذا الحديث عندما التقيت به فى أديس أبابا أثناء

مؤتمر القمة الافريقى وكان كاوندا قد أعلن لتوه عن تأميم ٥١٪ من أسهم النحاس فى زامبيا .

وقد كانت الدول الافريقية تدرك دائما أن زيادة التعاون الاقتصادى فيما بينها هو أمر ضرورى للتقليل من مدى اعتمادها على دول الاستعمار وبالتالى لمساعدتها على تحرير اقتصادها . ولذلك نصت جميع المواثيق الافريقية على أهمية هذا التعاون وأفردت له أبوابا كاملة ، ورغم ذلك فان تحقيق هذا التعاون كان دائما يصطدم بصعوبات كثيرة منها ما هو متعلق بطبيعة الاقتصاد الافريقى نفسه حيث أن معظم الدول الافريقية تصدر الخامات وتستورد السلع الاستهلاكية ، وبعض هذه الصعوبات يتعلق بأوضاع فرضها الاستعمار من قبل باحتكار الشركات الأوربية والدول الرأسمالية لموارد الثروة فى أفريقيا . وكذلك خطوط اتصال الدول الافريقية بالعالم الخارجى كلها تسير فى اتجاه رأسى أى بين الموانىء والعواصم الافريقية والموانىء والعواصم الاوربية سواء كان ذلك فى خطوط المواصلات السلكية أو الملاحة والخطوط الجوية وكلها تربط أفريقيا بأوربا أما الخطوط الجانبية أو الافقية التى تربط الدول الافريقية ببعضها فهى قليلة جدا ونادرة .

وقد اصطدمت مصر بكل هذه الصعوبات عندما بدأت فى الاتجار مع الدول الافريقية . فكانت على سبيل المثال تضطر الى أن تمرر جميع تجارتها مع دول غرب أفريقيا بالموانىء الاوربية أولا ومنها يعاد الشحن ثانية الى موانىء غرب أفريقيا أو الموانىء المصرية فكانت بذلك تزداد تكلفة النقل علاوة على الوقت الضائع . واستمرت المشكلة الى أن وصلت تجارتنا مع هذه الدول الى الحجم الذى أصبح معه تأجير مراكب خاصة وتسييرها فى مواعيد محددة تتناسب مع احتياجاتنا أمرا اقتصاديا . هذا ما اتجهت اليه شركة النصر للتصدير والاستيراد وهى الشركة الحكومية التى كانت تختص بالتجارة مع أفريقيا .

وقد واجهت السلع المصرية صعوبات عديدة فى بداية نزولها الى الاسواق الافريقية لأسباب كثيرة منها القوانين التى تعطى سلعا أخرى أفضليات جمركية مثل تلك التى كانت تتمتع بها سلع دول رابطة الكومنولث البريطانى وكذلك البضائع الفرنسية فى دول المجموعة الفرنسية .

ومن الصعوبات التى واجهتها السلع المصرية كذلك عدم معرفة الصناعة المصرية فى بداية تعاملها بالذوق الافريقى ، فمثلا الاقمشة المنقوشة التى يقبل عليها الافريقيون لها طبيعة معينة كأن تكون وحدة النقش كبيرة الحجم .

وعندما أرسلنا عينات منها للمصانع المصرية للعمل على منوالها ، وجد أنه لابد من تغيير أجزاء من وحـــدات الطباعة فى المصانع حتى تتمكن من انتاج هذا النوع من النقش كذلك بعض الالوان التى يفضلها الافريقى ويستخدمها بكثرة غريبة مثل اللون الأزرق الزاهى وبدرجة زرقة معينة ـــ كانت تحتـــاج الى خبرة خاصة فى الصباغة لم تكن معروفة فى مصر فى البداية .

وعندما فكرنا فى استيراد بذرة زيت النخيل الموجودة بكثرة فى منـــاطق أفريقيا الاستوائية وجدنا أنه لا توجـــد لدينا العصارات المناسبة لعصر هذه البذرة التى تحتاج الى ضغط أعلى بكثير من ذلك المســـتخدم فى عصر بذرة القطن أو الخروع وخلافهـــا من البذور والحبوب التى يتم عصرها فى مصر . وكان من الضرورى تجهيز العصارات المناسبة واعدادها قبل أن نبـــدأ فى استيراد بذرة زيت النخيل من الدول الافريقيـــة . وكانت هنـــاك صعوبات كثيرة أخرى ظهرت كلما فتحنا ميدانا جديدا للتعـــامل مع هذه الدول .

وهكذا كانت البداية صعبة كما هو الحال عند التعامل مع أســـواق جديدة فالأمر يحتاج الى دراسة عمليـــة وصلة دائمة بهـــذه الاسواق حتى يمكن أن يجد هذا التعامل طريقه الى الاستمرار بعد ذلك .

وقد أمكن تحقيق نجاح كبير فى هذا المجال وكان لشركة النصر للاستيراد والتصدير جهود ممتازة فى هـــذا المجال واستطاعت هذه الشركة أن تفتـــح فروعا فى معظم عواصم القارة ومكنها هذا الانتشار علاوة على وجود فروعها فى أماكن كثيرة من العـــالم ، أن تدخل فى عمليـــات التسويق لمحاصيل الدول الافريقية نفسها ســـواء عن طريق عمليا تثلاثية أو مباشرة الى دول أخرى . ولا شك أن هذا النشاط كان يخلق قنوات جديدة أيضا أمام الاقتصاد الوطنى فى الدول الافريقية بعيدا عن ضغوط الشركات الاوربية المعروفة .

ولتسهيل عمليات التبادل التجارى بيننا وبين الدول الافريقية قامت مصر بعقد العديد من الاتفاقات التجارية مع دول أفريقيـــة كثيرة . وكانت معظم هذه الاتفاقات تتضمن اتفاقات للدفع بحد مديونية معين يتناسب حجمه مع حجم التعـــامل المنتظر أو المستهدف مع هذه الدول . وقد عقدت مثل هذه الاتفاقات مع غانا وغينيا ومالى وحكومة الاقليم الشمالى فى نيجيريا الفيدرالية أيام حكم احمدو بيللو وكذلك مع النيجر والكاميرون وتنزانيا والصومال .

نماذج من المساعدات المصرية الى الدول الافريقية :

لقد كانت المساعدات التى قدمها جمال عبد النـــاصر للدول الافريقية محدودة من ناحيـــة قيمتها المـــادية بحكم قدرة مصر المحدودة فى هذا المجال

خاصة وانها كانت تحتاج هى نفسها للقروض والمساعدات اللازمة لخطتها الطموحة للتنمية . ورغم ذلك فقد كان لهذه المساعدات تأثير بالغ الخطورة فى كثير من الحالات حيث انها كانت عادة ما تأخذ شكل الانقاذ لمساعدة الدولة الافريقية على الخروج من ازمة خطيرة او تكسر احتكارا او حصارا فرضته عليها الدول الاستعمارية أو شركاتها .

ويبدو أن جمال عبد الناصر كان متأثرا فى هذا الاسلوب بالمساعدات التى قدمتها له بعض دول العالم الثالث عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ وخاصة الهند التى فتحت لمصر حسابا بالعملة الصعبة عندما جمدت بريطانيا وامريكا أرصدتها فى الخارج . ورغم صغر هذه المبالغ الا انها أنقذت مصر فى ذلك الوقت من كل الازمات الاقتصادية التى كان يمكن حدوثها نتيجة عجزها عن استيراد احتياجاتها الضرورية بعد تجميد أرصدتها فى الخارج .

وسوف نعرض فيما يلى نماذج من هذه المساعدات التى قدمها عبد الناصر الى بعض الدول الافريقية المستقلة .

عبد الناصر ينهى ضغط الشركات الايطالية فى الصومال :

عندما تولى عبد الرشيد الشرماركى رئاسة الوزراء فى الصومال انتهج سياسة أكثر تحررية . وبدأ ينضم الى مجموعة الدول التحررية فى كثير من المواقف الافريقية الاساسية مثل ازمة الكونغو وتأييد حركات التحرير كما اتجه الى تدعيم علاقته بمصر وانعكس هذا التحول فى سياسته على الصومال وعلى علاقة عبد الرشيد بايطاليا والشركات الايطالية التى كانت تحتكر تسويق محصول الموز وهو المحصول الرئيسى للصومال .

ويبدو أن هذه الشركات كانت تنفذ خطة القصد منها الضغط على رئيس الوزراء لحمله على ترك هذه السياسة الجديدة . فامتنعت عن شراء الموز الصومالى وتركت أسعاره تهبط هبوطا شديدا كان يهدد بكارثة لا يتحملها اقتصاد الصومال الضعيف . وكان هذا اسلوبا معروفا واجهه كثير من الحكومات الافريقية حديثة الاستقلال . وشرح عبد الرشيد مشكلته امام جمال عبد الناصر فى مباحثات دارت بينهما اثناء زيارة رسمية للقاهرة تمت فى ذلك الوقت . ورد عبد الناصر قائلا ان مصر سوف تدخل مشترية لمحصول الصومال من الموز الذى سوف تطرحه للاستهلاك المحلى داخل اسواقنا . واننا سنقوم فى نفس الوقت بتصدير معظم محصولنا من الموز المصرى فلدينا القنوات والقدرة على تحقيق ذلك

وجاء هذا العرض مفاجأة لعبد الرشيد نفسه الذى وجد فيه انقاذا للاقتصاد الصومالى ومخرجا من هذه الأزمة دون ان يضطر الى الخضوع لضغط الشركات أو تعديل سياسة اختارها . وبعد أن عبر عبد الرشيد عن امتنانه لهذا الموقف المصرى الحاسم استطرد عبد الناصر قائلا انه مع التزامه بما قال فانه يعتقد اننا قد لا نحتاج الى اتمام هذه الصفقة . حيث أن مجرد الاعلان عنها سوف يجعل الشركات الايطالية تعدل عن موقفها هذا ، فهى بكل تأكيد لا تريد ان تخسر السوق الصومالية وسوف تعود غالبا لشراء الموز الصومالى .

وقد تحققت نبوءة عبد الناصر ، فما أن أعلن عن هذا الاتفاق حتى اندفعت الشركات الايطالية تريد شراء المحصول كله والحت على حكومة الصومال حتى تلغى الصفقة المصرية ، والغيت بالفعل هذه الصفقة التى لم تكن فى حاجة اليها بعد ان أصبحت حكومة عبد الرشيد فى موقف أقوى أمام هذه الشركات ومن هم وراءها والعجيب أن سعر الموز الصومالى ارتفع ذاك العام عن أعوام كثيرة سابقة .

تقديم الخبرة الفنية لافريقيا :

تختلف مصر عن معظم الدول النامية فى العالم بوجود جيش هائل من الخبراء والفنيين وخريجى الجامعات فى مختلف المجالات على عكس معظم الدول النامية الاخرى ومنها الدول الافريقية التى كان الاستعمار يتركها عند الاستقلال دون أن يكون لديها الكوادر الفنية من الوطنيين لتسيير الحياة حتى يستمر اعتمادها على خبراء الدولة المستعمرة . وقد مكننا هذا الوضع من تلبية الكثير من احتياجات الدول الافريقية من الخبراء والفنيين وقت الضرورة . فقد لجأت كثير من الدول الاستعمارية الى سحب خبرائها وفنييها من بعض الدول الافريقية حديثة الاستقلال كوسيلة للضغط على الحكومة الجديدة كمحاولة لفرض سياسات معينة ، وفى هذه الحالات كانت مصر دائما جاهزة لارسال خبرائها فورا لانقاذ الموقف .

وقد حدث ذلك على سبيل المثال فى غينيا الاستوائية بعد الاستقلال مباشرة عندما حدث خلاف بين الحكومة الجديدة واسبانيا التى كانت تحتل الاقليم قبل الاستقلال . وسحبت اسبانيا جميع أطبائها ولم يكن فى غينيا الاستوائية أطباء غيرهم كما سحبت خبراءها من بعض المجالات الاخرى .

وعرض رئيس جمهورية غينيا الاستوائية هذه المشكلة التى تتعرض لها بلاده وذلك فى مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا عام ١٩٦٨ والذى كان

يحضره لأول مرة بعد استقلال بلاده مباشرة . وسألت رئيس الجمهورية عن عدد الأطباء الاسبان الذين سحبتهم أسبانيا ــ وكنت وقتئذ أرأس وفد مصر في المؤتمر ــ فأجاب بأنهم أربعة وأن هناك مثل هذا العدد من الخبراء الآخرين ، وأعلنت على الفور أن مصر سوف ترسل الاطباء والخبراء في حدود هذه الأعداد الى غينيا الاستوائية لسد الفراغ الناتج عن خروج الاسبان ، ووصل الخبراء المصريون بالفعل بعد أيام قليلة وكانت هذه بداية لعلاقة فنية مع حكومة غينيا الاستوائية .

حدث أيضا أثناء الحرب الاهلية في نيجيريا أن أرسلنا حوالى ٣٠٠ طبيب مصرى الى نيجيريا للعمل بعقود مع الحكومة النيجيرية بعد أن تركها عدد من الخبراء الاوربيين أثناء هذه الحرب . وحدث نفس الشيء بالنسبة لبلاد كثيرة منها غينيا والكونغو برازافيل وغيرها . ويجدر بنا الاشارة الى الجهد الذى حققه المدرسون المصريون فى الصومال قبل الاستقلال وبعده للابقاء على صلة الشعب الصومالى بجذوره العربية والتى حاول الاستعمار أن يقتلها بشتى الطرق . ولكن انتشار المدرسين المصريين فى جميع انحاء الصومال حتى القرى الصغيرة كان من العوامل الاساسية التى وصلت الصومال بجذوره العربية وانتهت بارتباط هذا القطر الشقيق بالعالم العربى .

وبجانب الفائدة الكبيرة التى حققتها المساعدات المصرية لبعض الدول فى هذا الميدان ، فقد فتحت هذه المساعدات مجالات واسعة للعمل فى افريقيا أمام الخبراء والفنيين وخريجى الجامعات المصرية . حيث لوحظ انه ما من مرة أوفدت فيها الحكومة المصرية عددا من خبرائها الى دولة افريقية حتى نفاجأ بعد شهور قليلة بأعداد كبيرة من المصريين وقد تواجدوا فى هذه الدولة بعقود شخصية سواء مباشرة مع حكومة هذه الدولة أو أجهزتها أو من خلال الامم المتحدة التى تمد الدول الافريقية بالخبراء والفنيين . فمثلا عندما قمنا بحصر الرعايا المصريين فى الكونغو لترحيلهم كاجراء وقائى عقب احتجاز تشومبى فى القاهرة أثناء مؤتمر القمة لعدم الانحياز الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ وجدنا أن عددهم قد وصل الى المائة فرد علاوة على عائلاتهم . وبخلاف الموظفين الذين أوفدتهم القاهرة وأجهزتها مثل اعضاء السفارة والمكاتب التجارية وشركة النصر للتصدير والاستيراد كان هؤلاء قد حصلوا على وظائفهم وأعمالهم هناك خلال فترة وجيزة رغم حالة عدم الاستقرار التى كانت تسود الكونغو .

وأعتقد أن الفرصة مازالت كبيرة أمام خبرائنا وفنيينا للعمل فى الدول

الافريقية التى هى فى أشد الحاجة لهذه الخبرة وخصوصا فى البلدان التى تسمح مواردها بتنفيذ برامج طموحة للتنمية .

ومما لا شك فيه أن الخبراء المصريين باعتبارهم أفريقيين يكونون أكثر اخلاصا وولاء لمصالح الدول الافريقية من الخبراء الاوربيين الذين عادة ما يكون ولاؤهم الأول للهيئات والشركات الاوربية المرتبطة بمصالح الدول التى ينتمون اليها والتى تتناقض عادة فى مصالحها مع المصالح الحقيقية للدولة الافريقية وخاصة اذا كانت من الدول الحريصة على تحقيق استقلالها الاقتصادى والمحافظة على هذا الاستقلال .

تقديم القروض الى الدول الافريقية :

قدمت مصر القروض لبعض الدول الافريقية التى تعرضت لضغوط اقتصادية نتيجة مواقفها من الاستعمار ، وقد أراد عبد الناصر من وراء ذلك أيضا أن يثبت للدول الافريقية أن مصر قادرة هى الاخرى على حماية أصدقائها الذين رفضوا التعامل مع اسرائيل . وكان لابد لنا من دخول هذا الميدان بعد أن كانت قد طرقته قبلنا اسرائيل التى كانت تمنح القروض للدول الافريقية كوسيلة للتسلل ثم تعمل على تسميم العلاقة بين هذه الدول وبين مصر والعرب جميعا .

ومن الأسباب التى شجعت عبد الناصر على اتباع هذا الاسلوب فى المساعدة أن معظم القروض التى كانت تطلب من مصر كانت تنفذ فى أعمال البناء والتشييد سواء فى انشاء طرق أو منشآت أو تطهير موانىء وكلها من الأعمال التى كانت لشركاتنا القدرة والطاقة على القيام بها . كما كان هناك اعتقاد بامكانية توسع هذه الشركات بعد ذلك فى هذا المجال الذى يمكن أن يحقق لها عائدا كبيرا وسريعا فى الدول الإفريقية الاخرى الاكثر ثراء والتى تستطيع الدفع بالعملات الحرة .

قرض غينيا :

كان من بين القروض التى قدمتها مصر الى افريقيا قرضا قيمته عشره ملايين من الجنيهات الى جمهورية غينيا وذلك بموجب اتفاقية ابرمت بين البلدين تقوم مصر بمقتضاها بتنفيذ بعض المشروعات الانشائية وتطهير ميناء كوناكرى فى حدود هذا القرض الذى تسدده غينيا بفائدة ٥ر٢ ٪ على سبع سنوات . ولكن غينيا لم تستخدم من هذا القرض الا ما يزيد قليلا عن

نصفه فقط استخدم معظمه فى تطهير ميناء كوناكرى وقامت بهذه المهمة هيئة قناة السويس بخبرائها وبالكراكات والمعدات التى تمتلكها هذه الهيئة .

وقد جاء هذا القرض فى أعقاب ميثاق الدار البيضاء الذى كان يجمع مصر بغينيا وثلاث دول اخريات هى مالى وغانا والمغرب . وكانت غينيا وقتها تتعرض لضغط اقتصادى تمارسه فرنسا منذ أعلنت غينيا استقلالها حيث كان ديجول مصمما على اسقاط حكم سيكوتورى بأى ثمن لتكون غينيا أمثولة امام أى دولة فى المجموعة الفرنسية تفكر فى الخروج عما سمى بالمجتمع الفرنسى .

فبمجرد استقلال غينيا أعلنت الحكومة الفرنسية عن عزمها على سحب جميع المستخدمين المدنيين الفرنسيين فى ظرف شهرين اثنين ، وأوقفت جميع المساعدات المالية . وكذلك أوقفت الاستثمارات الفرنسية فى غينيا وحاولت التأثير أيضا على كثير من هيئات الاستثمار الاجنبية لتحذو حذوها وامتنعت عن الاعتراف بالدولة الجديدة حتى بعد أن اعترفت بها عشرون دولة اخرى منها بريطانيا .

وسحبت فرنسا وحدات الجيش من غينيا بما فيها أطباء الجيش الذين كانوا يتولون الخدمة الطبية فى المجال المدنى أيضا وسحبوا معهم جميع الامدادات الطبية . كما سحبت فرنسا قوة البوليس بعد تحطيم ثكناتها ، وقطعت المنح الدراسية عن جميع الطلبة الغينيين فى باريس وداكار .

لهذا كله كان تدعيم موقف سيكوتورى ومساعدته فى مقاومة جميع انواع الضغوط التى تمارسها ضده فرنسا أمرا ضروريا لتدعيم الثورة الافريقية . ولم تكن مصر وحدها فى تقديم المساعدة لغينيا وانما وقفت معها دول أخرى كان أهمها غانا التى قدمت لها عشرة ملايين من الجنيهات وضعها الرئيس الراحل كوامى نكروما بالعملة الصعبة تحت تصرف الحكومة الغينية وأعلن فى ٢٣ يوليو عن قيام اتحاد بين غينيا وغانا . كما قدم الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية مساعداتهم فى مجالات مختلفة حتى استطاع سيكوتورى أن يجعل استقلال غينيا حقيقة . وكان فى ذلك القضاء الكامل على فكرة ديجول فى انشاء المجتمع الفرنسى .

قرض الى جمهورية مالى :

تعرضت مالى لظروف سياسية قريبة من تلك التى تعرضت لها غينيا . فقد كانت مالى أول دولة بعد غينيا تطلب الخروج من « المجتمع الفرنسى »

الذى اسسه ديجول وان كان زعيمها موديبو كيتا قد حرص على الا يتحدى ديجول بالأسلوب الذى اتبعه سيكوتورى عند الاستقلال . ولكنه لم يستطع أن يتجنب المواجهة مع فرنسا بعد ذلك عندما خرجت مالى عن دائرة الفرنك الفرنسى ، الامر الذى جعلها تتعرض لضغوط اقتصادية عنيفة .

وقد سار موديبو كيتا فى نفس الطريق الذى اتبعه سيكوتورى ونكروما وجمال عبد الناصر فى سياستهم الافريقية التحريرية وارتبط بميثاق الدار البيضاء الذى كان يضم الدول الراديكالية فى افريقيا .

وعقدت اتفاقية بين مصر ومالى تحصل الاخيرة بموجبها على قرض فى حدود ستة ملايين من الجنيهات تنفذ فى اقامة فندق عالمى فى مدينة بماكو (العاصمة) وفى رصف طريق . وقد أبدى جمال عبد الناصر تحفظا أمام الرئيس كيتا قبل الاتفاق على هذا القرض ، حيث كان يفضل أن ينفذ القرض فى مشروعات انتاجية يمكن من عائدها تسديده . ولكن موديبو كيتا أوضح اهمية الفندق بالنسبة لمالى حيث كانت معظم الدول الافريقية حديثة الإستقلال تعتبر أن وجود فندق عالمى فى عاصمتها أمرا ضروريا لتأكيد سيادتها واستقلالها . فهو ضرورى لعقد المؤتمرات التى يحضرها الرؤساء ووزراء الخارجية وكذلك استضافة رجال الاعمال والوفود الكبيرة . وقد كانت مدينة بماكو تفتقر الى أى مكان مناسب لمثل هذا النشاط .

وكذلك كان انشاء الطريق ضروريا من وجهة نظر الرئيس كيتا لأن فرنسا أهملت البنية الاساسية فى مالى ومنها شبكة الطرق اللازمة لنقل المحاصيل الزراعية .

وقد نفذ هذا القرض بالكامل وشيد المهندسون المصريون الفندق العالمى الذى تكلف حوالى ٥ر٣ مليون جنيه كما شيدت الشركات المصرية الطريق المتفق عليه . وقد اطيح بحكم موديبو كيتا أثناء بناء الفندق وتوقف العمل فترة لعدم توفر العملة المحلية لدى حكومة مالى للصرف على أجور العمال الماليين والاعمال المحلية وخوفا من أن ترتفع تكلفة المشروع أكثر من اللازم نتيجة توقف العمل لفترة طويلة ، تم الاتفاق مع الحكومة الجديدة على أن تقدم مصر لمالى سلعا استهلاكية من الانتاج المصرى بقيمة ما يلزم المشروع من النقد المحلى وذلك خصما من القرض على أن تقوم حكومة مالى بتصريف هذه السلع عن طريق المجمعات والجمعيات الاستهلاكية التى تديرها الدولة وتستخدم حصيلة بيع هذه السلع فى الانفاق المحلى لاستكمال مشروع الفندق .

وبناء على هذا الاتفاق أغرقت أسواق مالى المنتجات الاستهلاكية المصرية من معلبات وثلاجات وأثاثات معدنية وماكينات خياطة ودراجات وأجهزة تكييف هواء وغيرها من الانتاج المصرى الذى اهتمت حكومة مالى بتسويقه .

وبعد الانتهاء من تنفيذ هذا الاتفاق الاخير استمرت السلع المصرية فى رواجها واستفادت شركة النصر للاستيراد والتصدير بهذا الوضع المميز الذى حصلت عليه السلعة المصرية بعد أن تعود عليها المستهلك فى مالى .

وهكذا كانت القروض التى تمنحها مصر بجانب ما تحققه من أهداف سياسية تفتح أسواقا وفرصا جديدة أمام الانتاج المصرى .

قروض لم تنفذ :

وقد تم الاتفاق مع دول افريقية أخرى على تقديم قروض بنفس الشروط فى ظروف مماثلة أيضا . فقد اتفق على سبيل المثال على تقديم قرض بثلاثة ملايين من الجنيهات الى الكونغو (برازافيل) وكان ذلك بعد الاطاحة بحكم الاب يولو الرجعى وتحول الكونغو الى مجموعة الدول الثورية التى تؤيد حركات التحرير . وقرضا آخر بأربعة ملايين جنيه الى الصومال . ولكن لم ينفذ شىء من هذين القرضين لعجز حكومتى الكونغو والصومال عن توفير النقد المحلى اللازم لتنفيذ المشروعات التى نصت عليها هذه القروض وهى مشكلة عادة ما تصطدم بها معظم الدول حديثة الاستقلال والتى لا تجد لديها المدخرات الكافية التى تسمح لها باستخدام القروض المتاحة .

واتفقت القاهرة على قرض آخر بنصف مليون جنيه لحكومة زنزبار يستخدم فى اقامة فندق سياحى صغير . وقبل أن يوضع مشروع القرض فى صيغته النهائية قامت الثورة فى زنزبار ، تلك الثورة التى ادت الى الاتحاد مع تنجانيقا وقيام جمهورية تنزانيا ولم ينفذ هذا القرض ايضا لتغير الظروف وتغير أولويات التنمية لدى الحكومة الجديدة .

وهكذا نجد أن المبالغ التى وضعتها مصر لاقراض الدول الافريقية كانت مبالغ صغيرة ولكن تأثيرها كان عظيما وكان يعكس الى حد بعيد معنى التضامن الحقيقى .

عبد الناصر يقضى على سياسة احتكار السلاح فى افريقيا :

عندما تعرضت مصر فى بداية الثورة لغارات اسرائيل الجوية المركزة

على قطاع غزة خرجت تبحث عن السلاح من أجل أمنها وأمن مواطنيها ، ولكنها وجدت جميع الأبواب مغلقة فى وجهها ، فرفضت انجلترا ورفضت أمريكا وفشلت مصر فى الحصول على ما تريده من سلاح لترد بـه عدوان اسرائيل فقد امتنعت جميع الدول الغربية التى كانت تحتكر هـذه التجارة وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية عن بيع مصر السلاح . وكانت هذه هى احدى وسائل الضغط التى استخدمتها أمريكا وحلفاؤها لفرض سياسة الاحلاف على النظام الجديد فى مصر .

وفاجأ جمال عبد الناصر العالم بحصوله على صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ . فقد كانت هذه هى المرة الاولى فى تاريخ العـالم التى تحصل فيها دولة من خارج الكتلة الشرقية على أسلحة سوفيتية الصنع . وهـكذا كان جمال عبد الناصر أول من كسر احتكار السلاح فى العـالم وفتح بذلك الطريق أمام دول العـالم الثالث التى تناضل من أجل استكمال استقلالهـا أو الدفـاع عنـه ..

ولم يكتف عبد الناصر بذلك ولكنه ساهم مساهمة ايجابية وعملية فى تسليح الدول الافريقية بهـدف كسر احتـكار الدول الاسـتعمارية لتجارة السـلاح .

فقد كانت أعباء الدفاع من أول الاعباء التى تواجه الدول الافريقيـة حديثة الاستقلال ، فهى مهمة كانت تتولاها قبل الاستقلال مباشرة الـدول الاوروبية المستعمرة والتى كانت تقوم بعمليات التدريب والتسليح ، ولكنها لم تكن تستخدم الا الضباط الاوربيين ، وعند الاستقلال نجدها تترك جيشا دون قيادة وطنية حيث لا يوجد عادة ضابط واحد من الافريقيين الذين يقتصر وجودهم على رتب الصف والعساكر فقط . وكان هذا ما حدث على سـبيل المثال فى الكونغو (زائير حاليا) الذى كان جميع ضباطه من البلجيك وكان ذلك سببا من الاسباب التى أدت الى تمرد الجيش فى الايام الاولى للاستقلال .

وهكذا اريد للدول الافريقية حديثة الاستقلال أن تكون غير قادرة على الاعتماد على نفسها فى المجال العسكرى فهى تحتـاج الى دولة الاسـتعمار التى تمدها بالسلاح والتدريب فى كلياتها ومدارسها العسـكرية وأحيانـا بالضباط الاوربيين ، أو على الاقل القيادات العليا من الضباط ، فقد استمرت غانا على سبيل المثال ولعدة سنوات بعد الاستقلال معتمدة على الضـباط الانجليز فى القيادات العليا للجيش الغانى ، وقد سبب لها ذلك الكثير من المشـاكل .

وقد استفادت الدول الاستعمارية التى تحتكر موارد السلاح من هذه الاوضاع واستخدمتها كوسيلة لاستمرار سيطرتها ومباشرة الضغط على الدول الحديثة وقت اللزوم . وكانت الدول الاستعمارية اذا امتنعت عن تقديم السلاح والتدريب فلا تقبل دولة غربية أخرى أن تحل محلها .

أما الالتجاء الى الاتحاد السوفيتى أو دول الكتلة الشرقية — حتى بعد أن فتحت مصر الطريق الى ذلك — فقد كان فى البداية أمرا محفوفا بكثير من المخاطر التى لا تقوى على مواجهتها دولة حديثة الاستقلال مازالت تجارتها واقتصادها فى قبضة الشركات والاحتكارات الغربية .

ومن هنا جاءت اهمية الدور الذى لعبه جمال عبد الناصر فى امداد الدول الافريقية بالسلاح ومساعدتها على كسر احتكار تجارته وابطال مفعول هذا الاحتكار كأداة من أدوات الاستعمار الجديد ، وقد استطاع عبد الناصر ان يحقق ذلك أولا لوجود كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة الانجليزية الصنع لم تعد مصر فى حاجة اليها بعد تحول الجيش المصرى الى الاسلحة السوفيتية الصنع . وكذلك توفر المدارس العسكرية والمدرسين القادرين على التدريب على هذه الاسلحة ، وثانيا أصبح فى امكانه توفير الاسلحة الروسية لاى دولة افريقية تريد ذلك دون أن تكون هذه الدولة مضطرة الى التعامل مباشرة مع دول الكتلة الشرقية بعد أن أصبح جيش مصر قادرا على توفير الخبرة والتدريب بواسطة خبراء مصريين حيث كان قد اكتمل تدريبهم على الاسلحة الروسية .

وكان عبد الناصر من واقع تجربته يرى أن من حق أى دولة أن تحصل على السلاح الذى يحقق أمنها وأمن مواطنيها ولذلك لم يتردد فى مساعدة العديد من الدول الافريقية التى فرض عليها حظر السلاح وهى تناضل من أجل تحقيق استقلالها وتحرير ارادتها .

مصر تسلح وتدرب جيش مالى :

التقى جمال عبد الناصر بالرئيس موديبو كيتا لاول مرة فى يناير سنة ١٩٦١ فى الدار البيضاء فى أثناء انعقاد مؤتمر القمة الافريقى الذى صدر عنه ميثاق الدار البيضاء وقد اعجب كل من الزعيمين بشخصية الآخر وتوطدت بينهما الصداقة بسرعة .

وفى هذا اللقاء سأل عبد الناصر الرئيس موديبو كيتا عن السبب الذى

من أجله ترك دول العالم واتجه الى اسرائيل لتسلح الجيش المالى وتدريبه .

فاسرائيل ذيل الامبريالية واداة لها فى الوقت الذى اصبحت فيه مالى فى مقدمة الدول التى تحارب وترفض التبعية .

وقال كيتا ان لذلك قصة : فعندما خرجت مالى من المجتمع الفرنسى امتنعت فرنسا عن تسليح الجيش المالى فاتجه كيتا الى دول كثيرة يطلب شراء السلاح ولكن دون جدوى ، وكان طبيعيا ان يلجأ الى كل من انجلترا وأمريكا ، فكانت ردودهما واحدة اذ ابدتا استعدادهما لمساعدة مالى فى الحصول على السلاح الذى تريده ولكن عن طريق اسرائيل التى يمكنها أن تقدم السلاح والتدريب للجيش المالى . وهكذا لم يجد كيتا — كما قال — مصدرا واحدا لتسليح جيشه سوى اسرائيل .

وقال موديبو كيتا انه فى البداية لم يفهم الحكمة وراء ذلك ، ولكنه سرعان ما عرف الحقيقة . فعندما بدأت عملية التسليح كان السفير الاسرائيلى يتردد عليه كثيرا وكان كيتا يهتم به باعتباره سفير الدولة التى تقدم له السلاح ، وكان السفير الاسرائيلى دائم الحديث عن الطريقة التى قاوم بها اليهود الاستعمار البريطانى أثناء الاحتلال واستطاع من خلال ذلك أن يترك فى نفسه انطباعا بأن اسرائيل كدولة صغيرة — تريد حقا أن تعيش فى سلام كما أنه اقتنع بأنها دولة تقف ضد الاستعمار الامر الذى جعله يطمئن الى السفير الاسرائيلى ، الى أن اكتشف ان هذا السفير يعمل فى مالى بتنسيق كامل مع سفراء أمريكا وفرنسا . فقد حدث أن صارح كيتا السفير الاسرائيلى بنيته فى اتخاذ بعض الاجراءات ضد مصالح فرنسا فى بلاده ولم يمض وقت قصير حتى كان السفير الفرنسى قد احيط علما بكل أطراف الحديث . ولسوء حظ السفير الاسرائيلى أن كيتا لم يكن قد فاتح أحدا بذلك سواه . ثم تأكد له بعد ذلك من أحداث أخرى أن اسرائيل تعمل فى مالى لحساب الدول التى تحارب نظامه .

وهنا عرض عليه عبد الناصر ان تقوم مصر بتسليح وتدريب الجيش المالى كما قدم له باسم مصر هدية من الاسلحة الصغيرة سوفيتية الصنع تكفى لالف مقاتل ، وكان هذا العدد هو قوام الجيش المالى فى ذلك الوقت وكانت هذه الهدية من الاسلحة بقصد احلال الاسلحة السوفيتية محل الاسلحة الاسرائيلية المستخدمة فى ذلك الوقت .

ووافق مديبو كيتا على الفور . وقامت مصر بناء على هذا الاتفاق

بتدريب الجيش المالى وحضرت الى القاهرة بعثات من الضباط والصف الماليين للتدريب على الاسلحة السوفيتية كما أوفدت بعثة عسكرية مصرية الى مالى للاشراف على انشاء مدارس ومراكز للتدريب على الاسلحة الروسية وتدريب وحدات الصاعقة . وقام منذ ذلك الوقت تعاون بين الجيش المصرى وجيش مالى حتى ان زى الجندى هناك أصبح مشابها تماما للزى المستخدم فى الجيش المصرى

وقد كان من الصعب على دولة فى مثل ظروف جمهورية مالى الحديثة الاستقلال أن تنشىء علاقة سلاح مباشرة بينها وبين الاتحاد السوفيتى . فكلنا يعرف ردود الفعل التى احدثتها صفقة الاسلحة التشيكية التى حصلت عليها مصر عام ١٩٥٥ وكيف آثار ذلك غضب أمريكا والدول الاستعمارية . اما التعامل مع مصر فكان أمرا لا يمكن أن يحدث مثل هذه المضاعفات . فمصر دولة أفريقية ، ووصول بعثة عسكرية مصرية الى مالى لا يحدث التعقيدات وردود الفعل التى يمكن أن يسببها وصول بعثة عسكرية سوفيتية الى هذه المنطقة فى ذلك الوقت .

وعندما استطاعت مالى أن تجعل من استقلالها حقيقة ، واستطاع موديبو كيتا أن يدعم نظامه ، أصبح قادرا على التعامل مباشرة مع روسيا والحصول على ما يلزمه من سلاح وتدريب .

وجيش الصومال :

وحدث شىء مماثل مع الصومال فعندما كان عبد الرشيد الشرماركى رئيسا للوزراء واراد ان ينشىء جيشا وطنيا يواجه به تحرشات أثيوبيا على حدوده فى منطقة الاوجادن ، ويحمى حدوده مع كينيا حيث كانت القوات الانجليزية مازالت موجودة قام رئيس الوزراء بنفسه بزيارة دول أوروبا الغربية بحثا عن السلاح الذى يريد أن يشتريه . واصطحب معه فى رحلته هذه الجنرال زياد برى نائب القائد العام فى الجيش فى ذلك الوقت (رئيس الجمهورية بعد ذلك) ولكنه لم يجد دولة واحدة من بين دول أوروبا تبيع السلاح للصومال ، فالحصول على السلاح قضية سياسية فى المقام الأول وليس مجرد سلعة تطرح فى الاسواق العالمية ، فقد كانت الدول الغربية وقتها لا ترضى عن سياسة عبد الرشيد وكانت تباشر جميع الوان الضغط على حكومته .

وقرر عبد الرشيد أن يتوقف فى القاهرة اثناء عودته ويبحث الامر مع جمال عبد الناصر وانقل هنا كلمات الرئيس زياد برى الذى حضر المقابلة بين

عبد الناصر وعهد الرشيد وذلك فى حديث له مع الأستاذ أحمد حمروش نشرته مجلة روز اليوسف فى عددها رقم ٢٤٨٨ بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٩٧٦ . قال عبد الرشيد : كانت مقابلة جمال عبد الناصر نقطة تحول فى تاريخنا بددت كل اليأس وتدفق الامل . فقد قرر عبد الناصر أن يعطينا السلاح . بل وقال سوف نتقاسم ما نملك وكان عند كلمته . وأصبح عبد الناصر أملنا وبطلنا وأصبحت مصر قبلتنا وأصبحت العسكرية المصرية الثورية نموذجنا . وعرفنا عبد الناصر على السوفيت وبدأت علاقتنا بهم وبتوصية عبد الناصر حصلنا منهم على السلاح وعلى الخبرة .

وقد قامت علاقة وثيقة أيضا بين الجيش المصرى والجيش الصومالى منذ ذلك الوقت . وعندما قامت الثورة الصومالية بقيادة الجنرال زياد برى كان عدد كبير من أعضاء مجلس الثورة من الضباط الذين حصلوا على تدريبهم فى مصر وقد أعلنت الثورة الصومالية عند قيامها وعلى لسان قائدها : « ان ثورة الصومال ابنة شرعية ورشيدة ووفية لثورة ٢٣ يوليو » .

ويهمنى أن أشير هنا الى أنه رغم تحمس عبد الناصر للتعاون العسكرى بين مصر والصومال . فقد كان ينصح دائما بتحسين العلاقات الصومالية الكينية كما نصح الثورة الصومالية بتجميد خلافاتها مع جيرانها بما فى ذلك اثيوبيا . فقد كان عبد الناصر يدرك تماما أن جميع مشاكل الحدود التى ورثتها الصومال هى من صنع وتخطيط بريطانيا التى تعمدت ذلك قبل رحيلها من الصومال لترهق كل دول المنطقة وتدفعها الى الاعتماد عليها وعلى الدول التى تحتكر السلاح .

وكان ضد فكرة سباق التسليح بين الدول الافريقية ويقول دائما فى مناسبات كثيرة أمام الزعماء الافريقيين ان الخلاف مع الدول المجاورة أمر مكلف للغاية لانه عادة يؤدى الى استخدام السلاح . ولكن هذه النظرة لم تمنعه من تقديم السلاح للصوما لعلى أساس مبدئى أيضا وهو أن من حق اى دولة ان تحصل على السلاح اللازم لامنها وانه لابد من تقديم المساعدة فى هذا المجال لأى دولة افريقية تتعرض لضغط الدول التى تحتكر تجارة السلاح .

جومو كنياتا يطلب المساعدة العسكرية من جمال عبد الناصر :

آثارت العلاقة العسكرية بين مصر والصومال تساؤلات كثيرة لدى المسؤولين فى كينيا بعد استقلالها خاصة وأن علاقتنا بالزعماء الكينيين كانت علاقة متينة بدأت منذ قيام حركة الماوماو .

وفى عام ١٩٦٤ عندما حضر جومو كنياتا الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة الافريقى الثانى الذى عقد فى القاهرة تحدث معى وزير خارجيته (جوزيف مورمبى) متسائلا كيف تسمح مصر بأن يستخدم سلاحها الذى تعطيه للصومال ضد الكينيين . فقلت اننا لا نسلح الصومال بقصد محاربة كينيا وشرحت له موقفنا من مشاكل الحدود بين الصومال وجيرانها ، وقلت ان مصر التى عرفت معنى احتكار السلاح وقاست منه كثيرا فى الوقت الذى كانت حدودها وأمنها مهددا ترى ان من حق أى دولة أفريقية أن تحصل على السلاح . واننا على استعداد لتقديم المساعدة لأى دولة فى افريقيا يمنع عنها السلاح بسبب سياستها الوطنية ورغبتها فى التحرر كما حدث فى الصومال .

وعندما نقلت هذا الحديث الى الرئيس جمال عبد الناصر كلفنى بأن أبلغ وزير خارجية كينيا ان مصر على اتم استعداد للتعاون العسكرى مع كينيا على غرار تعاونها مع الجيش الصومالى وذلك لازالة اى شكوك تكون قد ترسبت فى نفوس المسؤولين الكينيين نتيجة مساعداتنا العسكرية للصومال ، ولاننا ايضا كنا على علم بأن الصومال لا تنوى فتح جبهة على الحدود الكينية . وكان تعاوننا العسكرى مع كينيا أيضا يجعلنا فى موقف نستطيع معه تهدئة الجانبين . وقد كان لهذه الرسالة بالفعل اثر كبير فى تدعيم الثقة بين جومو كنياتا وجمال عبد الناصر بعد ذلك .

ففى اثناء مغادرة كنياتا لمطار القاهرة عائدا الى بلاده تحدث الى جمال عبد الناصر الذى كان فى وداعه — مشيرا الى حديثى مع وزير خارجيته وقال انه يريد التخلص من القوات البريطانية الموجودة فى كينيا ويريد مساعدة مصر لكينيا فى بناء الجيش الوطنى . كما قال انه يريد كذلك اتخاذ بعض الخطوات التى تمكنه من زيادة قبضة الدولة على الاقتصاد الوطنى ، وطلب من عبد الناصر أن أذهب انا الى نيروبى فى أقرب وقت ممكن لبحث تفاصيل هذه الموضوعات معه والتباحث حول المساعدة التى تستطيع أن تقدمها مصر فى هذا المجال .

وبناء على تكليف عبد الناصر سافرت فى شهر اغسطس ١٩٦٤ الى نيروبى واجتمعت بالرئيس كنياتا ووزير خارجيته عدة مرات حضرها سفيرنا هناك فى ذلك الوقت — السيد ممدوح جبه — كما اجتمعت ببعض مستشارى الرئيس كنياتا . وقد كان لنا لقاءات مثيرة حقا ، فقد كانت كينيا على وشك ان تشهد تحولا خطيرا فى سياستها الداخلية والخارجية ، كان كنياتا يريد أن يتخلص من النفوذ الانجليزى ليس فى الجيش فقط ولكنه كان

يريد أن يتخلص من السيطره الانجليزيه على الاقتصاد الكينى ايضا . وكانت لديه دراسات معدة لتنفيذ ذلك وفيها حصر للعديد من الوظائف الحساسة التى يشغلها انجليز ويريد أن يحل محلهم مصريون بمجرد البدء فى تنفيذ الخطة وقبل أن تلجأ بريطانيا الى سحب خبرائها .

كان واضحا أن هناك صراعا داخل الحكومة الكينية بين القوى اليمينية التى يتزعمها توم مبويا والقوى اليسارية التى كان يتزعمها اليسارى أوجنجا أودنجا . ويبدو أن كنياتا كان يريد أن يحسم الموقف لصالح الاتجاه اليسارى التقدمى ولكن بعيدا عن زعامة أوجنجا أودنجا . وكان جوزيف مورمبى وزير الخارجية متحمسا لهذا الاتجاه .

وأثناء زيارتى هذه تم الاتفاق على عدة أشياء محددة تقوم بها مصر من بينها تدريب كتيبة مظلات وارسال خبراء عسكريين مصريين لتدريب الجيش الكينى بعد التخلص من الضباط الانجليز . وطلب كينياتا عددا من المستشارين العسكريين يكون من بينهم ضابط أركان حرب برتبة كبيرة للعمل كمستشار لرئيس الاركان . كما كان يترتب على ذلك ارسال أعداد من الضباط الكينيين للتدريب فى القاهرة . وتم الاتفاق أيضا على تجهيز عدد من الخبراء والفنيين المصريين فى بعض المجالات الحيوية الاخرى . وكان كينياتا يريد مساعدة مصر كذلك فى انشاء شركة حكومية للتجارة الخارجية.

وقد تمت الاتصالات الخاصة بهذه الترتيبات بتكتم شديد. واتفقنا على أن تخطرنا الحكومة الكينية بعد ذلك بالتوقيتات التى تحددها لتنفيذ هذه البنود عندما تكون مستعدة لذلك . ولكن أحدا فى الحكومة الكينية لم يعاود الاتصال أو الحديث مع سفيرنا هناك بخصوص هذه الموضوعات بعد مغادرتى لنيروبى . وفهم السفير بعد مدة أنه صرف النظر عن هذه الترتيبات .

ولم نعرف الأسباب التى جعلت كنياتا يعدل عن تنفيذ خطته هذه التى تم الاتفاق من قبل على تفاصيلها . ولكن كان من الواضح ان الجناح اليمينى فى كينيا قد أصبح أكثر خطوة عند كنياتا كما أصبح الزعماء اليمينيون أمثال توم مبويا أكثر قدرة على التأثير فى الاتجاه العام للدولة . ويبدو أن هؤلاء قد استغلوا رغبة كنياتا فى اتخاذ مثل هذه الخطوات التى كانت ستضعه على طريق التحول الاشتراكى وتصفية النفوذ الانجليزى فى كينيا ، وهو طريق صعب فى بلد مثل كينيا حيث تتواجد اعداد كبيرة من المستوطنين الاوربيين الذين مازالت ارتباطاتهم

وثيقة بالمصالح والشركات والاحتكارات الرأسمالية الاوروبية والانجليزية على وجه الخصـــوص .

ومات كينياتا دون أن يعود الى هذه الأفكار مرة ثانية بل انه عـــرف بأنه الرجل الذى رحب ببقاء الانجليز كشركاء فى الاستثمار والتنمية بعد أن اخرجهم كقوة استعمارية كما انه قاد بلاده فى طريق الاقتصـــاد الحر . ولكن حكم كينياتا أدى فى النهـــاية الى خلل فظيع فى الوضع الاجتماعى ، وأصبح التفاوت الكبير فى الدخول ظاهرة خطيرة فى المجتمع الكينى .

موقف مع اوغندا :

فى عام ١٩٦٥ قام جيش تشومبى من المرتزقة الاوربيين بتعقب الثوار الكونغوليين الى داخل حـــدود أوغندا وشن بعض الغارات على المواطنين الاوغنديين بقصد الارهاب والتخويف من عواقب ايواء الثوار . كما كانت الطائرات القاذفة المقـــاتلة التـــابعة لتشومبى يقـــودها طيارون بلجيك تغير على القرى الاوغندية القريبة من الحدود وتطير على ارتفاعات واطئـــة وبشـــكل استفزازى مثيرة رعب الاهالى فى هذه القرى ، وكان الهـــدف الاساسى هو حمل ابوتى على وقف مساعداته للثوار الكونغوليين — وقـــد اثار هذا التصرف ثائرة الرئيس أوبوتى وأزعج الحـــكومة الاوغندية التى لم تكن تملك من الوسائل ما تستطيع به منـــع مثل هذا الاستفزاز والعدوان الصارخ على أراضيها .

وازاء هذا الخطر الذى يهدد بلاده ، طلب الرئيس ميلتون أوبوتى من جمال عبد الناصر ارسال عدد من الطائرات المقاتلة المصرية بطيـــاريها الى أوغنـــدا لوقف هذه الهجمات . وكان ذلك فى رسالة خطيـــة بعث بهـــا الرئيس أوبوتى لى شخصيا طالبا منى أن أشرح وجهـــة نظره لعبد الناصر وابلغه بطلبه هذا . ويبدو أن أوبوتى لم يكتب مبـــاشرة لعبد الناصر لانه كان يخشى رفض عبد الناصر لفكرة المســـاعدة العسكرية المباشرة التى يطلبها .

وكان من الواضح أن أوغندا تمر بمرحلة حاسمة فى تاريخ مواجهتهـــا للاستعمار . فأوبوتى يريد أن يعرف ما اذا كان سيقف وحـــده فى هـــذه المواجهـــة ليحدد تبعـــا لذلك المدى الذى يستطيع أن يذهب اليـــه فى تأييد الثوار ومواجهة تشومبى والقوى التى تسانده . ولذلك كان لرد عبد الناصر أهمية كبيرة خاصة وانه كان من المعتقد أن تشومبى سيتبع نفس الاسلوب مع السودان اذا نجح فى وقف نشاط أوبوتى المؤيد للثوار .

ولذلك جاء قرار عبد الناصر بالموافقة على ارسال نصف سرب من الطائرات الميج ١٧ تنقلها طائرات الانتينوف الى مطار عنتيبة فى أوغندا وكلفنى بالسفر فورا الى كامبالا لابلاغ أوبوتى بهذه الموافقة ولأبحث معه بقية التفاصيل والترتيبات والاتفاقات اللازمة لتنفيذ ذلك. وقد قابلت الرئيس ميلتون أوبوتى بمجرد وصولى الى العاصمة الاوغندية وكان بصحبتى السيد جمال بركات سفيرنا هناك وحضر المقابلة أيضا وزير الدفاع الاوغندى . وقد ابدى أوبوتى ارتياحه للاستجابة السريعة من الرئيس جمال عبد الناصر وخاصة أن الاعتداءات كانت قد تصاعدت فى الفترة الاخيرة وأصبحت تسبب حرجا شديدا له ولنظامه .

واثرت مع أوبوتى موضوع وجود الطيارين الاسرائيليين فى القوات الجوية الاوغندية وقلت له انه لا يعقل بطبيعة الحال أن يعمل الطيارون المصريون بجانب الطيارين الاسرائيليين ورد أوبوتى على الفور بأن هذا مطلب عادل وانه على استعداد للتخلص منهم جميعا وطلب ان يحل محلهم طيارون مصريون . واتفقنا على بقية التفاصيل الخاصة بحضور الطائرات والطيارين المصريين وكيفية عملهم ومعاملتهم . ثم ترك للرئيس أوبوتى أن يحدد التاريخ الذى يرغب أن تصل فيه الطائرات والبعثة التى ستحل محل الطيارين الاسرائيليين على أن يبلغنا بذلك التاريخ عن طريق سفيرنا فى كامبالا ، وكان هذا ما طلبه أوبوتى نفسه .

ولكن مضت مدة طويلة لم يحدد أوبوتى تاريخا ، ثم ابلغنا سفيرنا فى كامبالا أن العدوان على الحدود الاوغندية قد توقف تماما وانتهت الاستفزازات التى كانت تقوم بها قوات تشومبى وطائراته ، وان أوبوتى لا يريد تصعيد الموقف طالما انه حقق غرضه .

ومما لا شك فيه أن الاستجابة السريعة من جانب عبد الناصر وتسرب أخبار هذه الاستجابة كان هو السبب المباشر فى وقف العدوان على حدود أوغندا دون أن يرضخ اوبوتى لتهديدات تشومبى . واستمرت حركة الثوار الكونغوليين عبر الحدود واستمرت مساعدات اوبوتى للثورة. وكانت هذه النتيجة مرضية دون شك لكل من أوغندا ومصر .

مساعدات عسكرية اخرى :

وقدمت مصر مساعدات عسكرية أخرى لدول افريقية كثيرة وجدت فى ظروف مماثلة ، ومن تلك الدول الكونغو (برازافيل) . فعندما زحفت جماهير الشعب على قصر الاب يولو مسقطة بذلك أهم ركائز النفوذ

الفرنسى فى أفريقيا — حيث كانت المجموعة الفرنسية تسمى باسم عاصمتها برازافيل — تعرض النظـام الجديد بزعامة ماسمبا ديبا لضغط فرنسا التى كانت تحاول اسقاط حكمه . وبرزت حاجة الحكومة الجديدة فى برازافيل لبناء جيش وطنى ، ولذلك كان لجوئها الى مصر طالبة مساعدتها فى انشاء قوة من المظليين .

ووصلت برازافيل بعثة من الخبراء والضـباط المصريين لانشاء أول مدرسة للمظليين فى الكونغو . وكان من بين الضباط الذين تخرجوا على ايدى الضـباط المصريين الرئيس الراحل نجوابى الذى استولى على الحكم بعد ذلك لأسـباب قبلية فى المقام الاول ولكنه استمر فى السياسـة التقدمية التى كان قد أيدها سلفه ، بل ربما كان اكثر تطرفا فى مناهضة الاستعمار . وقد كانت الكونغو برازافيل بزعامة نجوابى من بين الدول التى قطعت علاقاتها باسرائيل فى أعقاب حرب ١٩٦٧ مباشرة ودون اى طلب أو تدخل من أحد .

وحـدث أيضا أن قدمت مصر هدية أسلحة الى بوروندى عبارة عن كمية من الاسلحة الصغيرة وعـدد من الحمالات (وهى عربات مدرعة صـغيرة تسلح برشاش البرن كان يستخدمها الجيش المصرى قبل التسليح الروسى) وكان ذلك فى اعقاب اعلان الجمهورية فى بوروندى بعد الاطاحة بالحـكم الملكى هنـاك .

وهذه مجـرد أمثلة لايضاح الفكرة والهـدف من المساعدات العسكرية التى كان يقدمها عبد الناصر للدول الافريقية . وهى تختلف بطبيعة الحـال عن فكرة وأهـداف الدول الكبرى فى تقديم هذا النوع من المساعدة . فلم يكن عبد الناصر بطبيعة الحال يبغى نفوذا أو سيطرة على دولة افريقيـة وانما كان الهـدف تشجيع هذه الدول على أن تتحـرر وأن تقف فى وجـه اى سيطرة أجنبيـة ولذلك كان عبد النـاصر متنبها الى خطورة سـباق التسلح فى افريقيا ولا يريد للدول الافريقيـة أن تنزلق الى هـذا الطريق ، ولذلك كان يعمل دائما على احتـواء المشاكل التى تنشأ بين هـذه الدول وجيرانها سـواء من خلال منظمة الوحدة الافريقية او بتدخله المبـاشر .

الفصل الرابع

ملامح إسلامية لسياسة مصر الافريقية

١ ـ مساعدات مصر لمسلمى افريقيا واثر ذلك على سياستها الافريقية .

٢ ـ عبد الناصر يقدم المساعدة لنيجيريا لانهاء الحرب الأهلية فى بيافرا .

مساعدات مصر لمسلمي افريقيا
واثر ذلك على سياستها الافريقية

كان لمصر بعد ثورة يوليو نشاط اسلامي واسع في أفريقيا . وقد أخذ هذا المجال جزءا كبيرا من المساعدات المادية التي قدمتها مصر للقارة وكان ذلك في شكل بعثات تعليمية الى المناطق الاسلامية والمدارس التي تفتحها الجمعيات الاسلامية في أماكن كثيرة من القارة ، في زنزبار والصومال وسيراليون وتنزانيا وكينيا ونيجيريا وكل مكان طلب هذا النوع من المساعدات كما أرسلت كميات كبيرة من الكتب الاسلامية وتعليم اللغة العربية الى جميع انحاء القارة .

وقد اقام عبد الناصر الكثير من المساجد في أفريقيا أو ساهم في بنائها من خلال الجمعيات الاسلامية العديدة التي تنتشر في كل انحاء القارة كما انشأ المراكز الاسلامية التي تجمع المسجد مع المدرسة وتقدم العلاج المجاني .

ووجهت مصر لافريقيا اذاعة القرآن الكريم على موجة قصيرة كما خصصت اذاعة لتعليم اللغة العربية حيث لوحظ أن معظم المسلمين في القارة وخاصة في شرق أفريقيا يقرأون القرآن بحروفه العربية دون معرفة باللغة نفسها،وكان من السهل عليهم تعلمها بعد ذلك بالراديو وخاصة انهميعتبرون تعلمها جزءا مكملا لدينهم . ووزعت أعداد هائلة من كتب تعليم العربية بالراديو وكان الاقبال عليها مذهلا .

وخصصت المنح الدراسية لافريقيا في جميع الميادين بما فيها الأزهر الشريف والجامعات والمدارس الاخرى وكان هناك اهتمام خاص بالمناطق الاسلامية . فعلى سبيل المثال كانت المنح الدراسية مفتوحة لارتريا منذ عام ١٩٥٥ بحيث لا يرد أى طالب علم يأتي من ارتريا . واعطيت التعليمات لأجهزة الامن على الحدود بألا يمنع ارترى من دخول الاراضي المصرية حيث كان الارتريون يحضرون اليها سيرا على الاقدام للالتحاق بالأزهر وذلك نتيجة للاضطهاد الذى كانوا يلاقونه اثناء حكم الامبراطور هيلاسلاسى حتى انه طلب من جمال عبد الناصر — في احدى زياراته الى القاهرة — أن تقدم المنح المخصصة للارتريين في الأزهر عن طريق الحكومة الاثيوبية ولكن عبد الناصر رفض متحججا بأنه لا يستطيع التدخل في شؤون الأزهر .

فقد كان عبد الناصر يرى ضرورة فتح ابواب العلم أمام المسلمين

وخاصة فى المناطق التى حرموا فيها من فرص التعليم لمجــرد أنهم مسلمون . وكان يشعر أن مسؤولية خاصة فى هذا المجال تقع على عاتق مصر بصفتها اقدم دولة اسلامية فى افريقيا ، واكثر دولها قدرة على تقــديم هــذا النوع من المساعدات .

ورغم أن الدين الاسلامى هو أوسع الأديان انتشارا فى افريقيا الا أن المسلمين فى معظم انحاء القارة لم ينالوا من التعليم نفس الحظ الذى ناله المسيحيون فيها . ففى نيجيريا على سبيل المثال كان عدد الطلاب من الشمال المسلم الموجودين فى جامعة أبادان عام ١٩٥٩ يبلغ ١٤ طالبا فقط فى حين كان عدد الطلاب المسيحيين من الشرق ٣٥٤ طالبا(١) علما بأن تعــداد الشمال المسلم يصل الى ما يقرب من ثلاثة أضعاف سكان الاقليم الشرقى المسيحى .

اجتذاب الافارقة الى الدين المسيحى ، ونشأ عن ذلك أوضاع غريبة فى كثير من البــلاد التى توجــد فيها أغلبية اسلامية حيث نجد الاقلية المسيحية التى نالت قسطا أوفر من التعليم تتولى مناصب الادارة والحكم فى عهد الاستعمار فتستقل الدولة وعلى راسها هذه الاقلية المسيحية ، وقد حدث ذلك على سبيل المثال فى تشاد التى استقلت تحت حكم تومبلباى المسيحى فى حين أن الاغلبية الساحقة من سكان تشاد تدين بالاسلام ، وكانت هذه هى نفس الاوضاع التى أدت الى الثورة هناك ، ورأينا ايضا مشاكل عديدة فى نيجيريا

وترجع هذه الاوضاع الى أن الدول الاستعمارية كانت تترك التعــليم للارساليات التبشيرية حيث يمتنع المسلمون عن ارسال أبناءهم كما أن هذه الارساليا بدورها كانت تركز نشاطها فى المناطق الغير اسلامية حتى يسهل سببها التفاوت فى التعليم بين قبائل الايبو المسيحية فى شرق نيجيريا وقبــائل الهوسا والفولانى فى الشمال المسلم .

ولذلك كان عبد الناصر يرى أهمية تعليم المسلمين فى أفريقيا وضرورة أن يكون من بينهم الأطباء والمهندسون وخريجو الجامعات وربما كان ذلك احــد أســباب تطوير الازهر الشريف وتوسيع مجال الدراسة فيه لتشتمل على بعض الكليات العملية والتخصصات الاخرى .

وبطبيعة الحال لم يكن فى مقدور مصر أن تتولى مسؤولية التعليم فى هذه المناطق كلها ولكنها كانت تريد أن توجد النخبة المتعلمة من المسلمين فى كــل

(1) R. Sklar. Nigerian Political Parties Princeton University U. S. A., 1963

مكان من أفريقيا . وكانت مصر تقدم المساعدات الى مسلمى أفريقيا عن طريق هيئات عديدة منها وزارة الأوقاف والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية والازهر والمؤتمر الاسلامى فى بداية الثورة علاوة على أجهزة الدولة الأخرى.

ولم تشأ مصر أن يصحب هذه المساعدات ضجيج أو دعاية تتناسب مع حجمها ، وذلك لأن مساعدة المسلمين فى كثير من الاحوال كانت تثير شكوكا وحساسيات لدى بعض الزعماء والحكومات خاصة المسيحية التى كانت تسىء فهم دوافع مصر وراء هذه المساعدات متأثرة فى ذلك بالدعايات الاستعمارية المغرضة التى حاولت التشكيك فى دور الأزهر الشريف ورسالته فى أفريقيا .

وحتى الرئيس سيكوتورى لم يسلم من التأثر بهذه الدعاية الظالمة فى وقت من الاوقات وكان ذلك فى بداية عام ١٩٦٠ عندما لاحظنا فتورا فجائيا يصيب العلاقات المصرية الغينية . ولم نستطع الاهتداء الى أسباب ذلك الا بعد ان اتصل بنا سرا أحد موظفى وزارة الخارجية الغينية من الذين تخرجوا من جامعة القاهرة وكان يعرف حقيقة نشاطنا الافريقى بما فيه النشاط الاسلامى وأهدافه وذلك من خلال تردده على الرابطة الافريقية ومكتب الشئون الافريقية قبل استقلال غينيا عندما كان يعيش فى القاهرة فكشف لنا هذا الموظف عن سر الفتور الفجائى عندما أطلعنا على عدة تقارير سرية أعدت فى وزارة الخارجية الغينية وعرضت على الرئيس سيكوتورى وكانت هذه التقارير تحتوى على أخبار مضللة وتحليلات خاطئة تدعى أن عبد الناصر يسعى من خلال الأزهر الشريف ونشاطه الاسلامى العظيم فى افريقيا الى اقامة امبراطورية اسلامية فى القارة تحكم من القاهرة وأن نشاطه هذا يستهدف فى المقام الأول الدول ذات الاغلبية الاسلامية مثل غينيا التى يريد لها أن تصبح جزءا من امبراطوريته .

والأغلب الظن أن هذه التقارير كانت قد أعدت بناء على أخبار مضللة دستها المخابرات الفرنسية بطرق غير مباشرة حيث كانت فرنسا فى دعايتها السوداء ضد مصر تحاول اعطاء هذه الصورة وخاصة فى الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية . واستغلت فرنسا فى ذلك ما كتبه عبد الناصر عن الدائرة الاسلامية فى كتابه فلسفة الثورة .

وقد مكننا الاطلاع على هذه التقارير من القضاء على مخاوف سيكوتورى واجلاء كل الحقائق أمامه عن نشاطنا الاسلامى فى القارة الافريقية فزالت كل حساسية فى هذا المجال حتى اننا كنا نرسل الى غينيا فى كل عام عددا من الوعاظ والمقرئين لاحياء ليالى شهر رمضان المعظم فكان سيكوتورى يصطحب

بعضهم فى جولاته الى جميع انحـاء غينيا ويقدمهم لجماهيره باعتبارهم علماء الاسلام من الأزهر الشريف منارة الاسلام ، وقد ساعدهم ذلك كثيرا فى أداء رسالاتهم التى كانوا يذهبون الى غينيا من أجلها ، وذهب سيكوتورى بعـد ذلك الى حد انه كان يرسل جميع الطلبة الغينيين الذين يبعثون فى منـح دراسية الى أوربا لقضاء عدة أيام فى القاهرة قبل توجههم الى مكان البعثة وذلك حتى يشاهدوا بأنفسهم ويلمسوا مدى التقدم الحضارى الذى وصلت اليه دولة اسلامية افريقية قبل أن تبهرهم الحضارة والعواصم الاوربية .

ورغم أن مصر استطاعت بسرعة أن توطد علاقاتها بالجمعيات الاسلامية والطرق الصوفية ومشايخ الاسلام فى جميع انحاء القارة الا انهـا حرصت على أن تبقى هذه العلاقة فى نطاقها الدينى والثقافى فقط وبعيدة تماما عن نشاطنا السياسى الذى كنا نباشره من خـلال الاحزاب الوطنية وحـركات التحرير فى المناطق الخاضعة للحـكم الاستعمارى ومن خلال الحـكومات الافريقية وتنظيماتها السياسية بعد الاستقلال .

فعلى سبيل المثال كانت لنا علاقة قوية متينة بالطريقة التيجانية الواسعة الانتشار فى غرب أفريقيا وشيخها ابراهيم انياس الذى كنا نقدم له العون المـادى والثقافى قبل استقلال دول غرب أفريقيا وبعد ذلك ايضا . وكان هذا الشيخ يستقبل فى القاهرة بكل حفاوة وتكريم حتى أنه كان فى كثير من الاحيان ينزل فى أحد قصور الضيافة وكان عبد الناصر يستقبله فى منزله كلما حضر الى القاهرة هذا فى الوقت الذى نعلم فيه ان من تعاليم هذه الطائفة الاذعان للسلطة حتى ولو كانت سلطة الاحتلال ، فقد كان عبد الناصر يقول انه مهما كان ومهما قيل عن هؤلاء المشايخ فهم الذين حفظوا الاسلام ونشروا الثقافة الاسلامية والعربية فى هذه المناطق الافريقية ، ومن هذا المنطلق كانت مساعدة مصر لهم .

وقد زرت بنفسى الشيخ ابراهيم انياس حيث يعيش فى مدينة كاولاك بالسنغال ورأيت المدارس والجوامع التى تعلم الدين واللغة العربية ورأيت الكتب والمجلات المصرية تصل الى هذا المكان البعيد والجميع فى كاولاك كان يستمع الى اذاعة صوت العرب من اذاعة القاهرة علاوة على برامج الولوف التى تذيعها القاهرة من خلال البرامج الموجهة الى شعب السنغال ، وفوجئت عندما رأيت العديد من تلاميذ الشيخ يحفـظون مقتطفات طويلة من خطب عبد الناصر فى مجالات مختلفة ، وكان ذلك كله قبل الاستقلال وفى وجـود الاستعمار الفرنسى . ويبدو أن تعاليمهم الخاصة بالاذعان للسلطة مكنتهم من ممارسة نشاطهم الثقافى والدينى فى فترات القهر الاستعمارى . وقد كانت

صلتنا بهذه الطرق والطوائف فقط من اجل المساعدة فى تعليم المسلمين ونشر الدعوة الاسلامية الصحيحة .

وقد ابتعد عبد الناصر عن اقامة اى تكتلات من الدول الاسلامية فى أفريقيا حتى لا يضيف تقسيمات جديدة ترتكز على أسس دينية الى جانب التقسيمات الاخرى العديدة التى فرضت على القارة والتى من شأنها تعطيل الوحدة فى افريقيا وارهاق الدول الحديثة الاستقلال وصرفها عن عدوها الحقيقى وهو الاستعمار ووسائله الجديدة .

ولنفس هذه الأسباب كان عبد الناصر يفضل دائما ان يعرض مشكلة فلسطين فى افريقيا كقضية سياسية وليست مجرد قضية دينية ، فهى قضية استعمار استيطانى وتفرقة عنصرية وهو أمر تفهمه الدول الافريقية جيدا حيث توجد نماذج الاستعمار الاستيطانى فى جنوب أفريقيا وروديسيا وحيث المعاناة من التفرقة العنصرية .

وقبل استقلال كينيا مباشرة ظهرت فكرة استقلال الساحل الكينى بعيدا عن كينيا . فمعظم سكانه من أصل عربى ويعتنقون الاسلام .وحضرت وفود من مسلمى هذه المنطقة تطلب مساعدة مصر لتحقيق هذه الفكرة وابلغنا هؤلاء أن الانجليز أوحوا لهم بأنهم لا يمانعون فى استقلال الساحل ولكنهم يريدون أن يروا تزايد الدعوة حول هذه الفكرة حتى يمكنهم الاستناد الى ذلك عندما يقدمون على هذه الخطوة . كما علمنا منهم انهم حضروا الى القاهرة بعلم السلطات البريطانية .

ولا أعرف اذا كان الانجليز فى ذلك الوقت يريدون بهذا التحريض السافر تحقيق فكرة تقسيم كينيا بالفعل أم كان هدفهم هو فقط توريط مصر للوقيعة بينها وبين الحركة الوطنية فى كينيا بزعامة كينياتا وحزب كانو . ومهما كان الهدف وراء ذلك فقد كانت مصر ترفض الفكرة من أساسها . فمصر ضد سياسة البلقنة التى كانت تقوم بها الدول الاستعمارية فى افريقيا بقصد انشاء دويلات صغيرة مع توريثها كل أسباب الخلاف بينها وبين جيرانها الامر الذى يجعلها تعيش فى خطر دائم معتمدة على حماية الاستعمار . واهم من ذلك كله كانت مصر تخشى أن يؤدى قيام دويلة اسلامية عربية فى هذه المنطقة وعلى حساب دولة أفريقية هى كينيا الى حملة اضطهاد ضد بقية العرب والمسلمين فى منطقة شرق أفريقيا كلها وظهور التفرقة بين العربى والافريقى وهو أمر ليس فى مصلحة العرب ولا مصلحة الاسلام الذى استعاد قوته وسرعته فى الانتشار من مبادئه السمحة.

فالاسلام لم يعرف الحاجز اللونى الذى لا يسمح للرجل الابيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء . فقد كان لسمو الحضارة الاسلامية فى هذا الشأن اثره فى انتشار الاسلام وتكوين الشعب السواحيلى فى هذه المنطقة . هذا الشعب الذى نشأ من اختلاط الجاليات العربية والفارسية بقبائل البانتو الافريقية . ولا شك أن اقتطاع هذا الجزء من كينيا وتركها دون منفذ على المحيط كان من شأنه أن يثير بقية العناصر الغير مسلمة فى المنطقة على العرب والمسلمين ، ويحد بالتالى من انتشار الاسلام الذى مازال ينمو فى سرعة تفوق نمو أى دين آخر .

ولنفس هذه الاسباب كان موقف مصر من ثورة زنزبار عندما قامت فى يناير سنة ١٩٦٤ وأنهت حكم السلطان وقتلت أعدادا كبيرة من مؤيديه. فقد اثارت هذه الثورة اهتمام مصر وقلقها فى البداية . فالنظام القديم هناك كان على صلة وثيقة بمصر كما كان زعيم الحزب الحاكم السيد على محسن شديد الالتصاق بالقاهرة وكانت لنا بحزبه صلات ثقافية وثيقة قبل الاستقلال وبحكومته بعد الاستقلال . وقد صورت أجهزة الاعلام الغربية هذه الثورة فى البداية على انها مقتل أمة عربية بل قال عنها الكثيرون انها مذبحة المسلمين فى زنزبار .

وكان الأمر ابعد ما يكون عن ذلك ، فجميع سكان زنزبار من المسلمين وبالتالى لا يمكن لهذه الثورة أن تكون ضد المسلمين . ولكنها فى حقيقة الأمر كانت ثورة اجتماعية ، ثورة ضد السلطان والطبقة الحاكمة التى تراكمت فى يدها ثروة البلاد . وكانت هذه الطبقة التى قامت ضدها الثورة تتكون فى معظمها من العرب . فالسلطان من أصل عربى منذ بسطت عمان فى عهد أسرة اليعاربة سيطرتها على الجزيرة فى أوائل الثلاثينات من القرن الثامن عشر بعد أن خلصتها من الحكم البرتغالى .

أما غالبية الشعب فى زنزبار فهم ممن اختلطت فيهم الدماء الفارسية بقبائل البانتو الافريقية منذ ان خضعت الجزيرة لدولة الزنج التى أسسها الفرس عام ٩٧٥ ميلادية على ساحل افريقيا الشرقى متخذين من كلوة عاصمة لهذه الدولة . كما اختلطت فيهم أيضا الدماء العربية اختلاطا كبيرا نتيجة اختلاط العرب الذين جاءوا الى هذه الجزيرة كتجار واختلطوا بأهلها منذ فجر التاريخ .

وكانت سيطرة القلة الحاكمة التى كانت تزهو بأصلها العربى من الاسباب الرئيسية التى أدت الى ظهور الافروشيرازية كانتماء واصل جذب

الاغلبية العظمى من شبه الجزيرة فى مواجهة هذه القلة . حدث ذلك رغم أنه من غير الممكن فى حقيقة الأمر وضع الحدود الفاصلة بين ما هو عربى وما هو شيرازى أو فارسى فى الشعب السواحيلى الذى تتكون منه الغالبية العظمى من سكان زنزبار والتى اختلطت فيها الأصول العربية والفارسية بأصل البانتو الافريقى .

ورغم ادراك القاهرة للأبعاد الاجتماعية لثورة زنزبار منذ البداية الا انها كانت قلقة خشية أن تتجاوز الثورة هذه الأبعاد فتتحول الى كراهية واضطهاد تنتقل من الجزيرة الى الساحل الافريقى ضد كل ما هو عربى ، خاصة وأن اذاعات معظم الدول العربية كانت قد بدأت حملة من الهجوم الشديد على الثورة فى الوقت الذى كانت المشاعر الافريقية فى دول الساحل تؤيدها وتباركها .

ورأى عبد الناصر أن اعتراف مصر السريع بثورة زنزبار من شأنه أن يضع حدا لعمليات القتل والاضطهاد ضد العناصر القديمة فى زنزبار ، كما انه يعطى الفرصة للثورة لكى تؤكد بعدها الاجتماعى وتكشف عنه فتعمل على وقف حملة الكراهية ضد العرب . وقرر ايفادى لمقابلة القادة الجدد فى زنزبار بقصد تحقيق هذه الاهداف .

وقد رحب النظام الجديد فى الجزيرة بخطوة مصر هذه واستقبلت بحفاوة بالغة . فكان فى استقبالى فى المطار أعضاء مجلس قيادة الثورة ووجدت اننى أعرف معظمهم والكثير منهم كان قد سبق له الاقامة فى مصر . وقد تأكد لنا ما كان قد سبق وصوله لنا من معلومات وما كان قد سبق وصولنا اليه من تقديرات بخصوص هذه الثورة التى شوهت أجهزة الاعلام الغربية وجهها فى الايام الأولى ، ولمسنا حرص النظام الجديد فى زنزبار على تعزيز صلته بالدول العربية وبمصر على وجه الخصوص .

وفى هذا الجو الجديد استطاعت مصر أن تبدى اهتمامها بسلامة الزعماء السابقين الذين كانوا قد اعتقدوا والذين كانوا على صلة سابقة بنا ومنهم السيد على محسن . وبعد أن استقرت الامور وأفرج عنهم حضر العديد منهم للاقامة فى القاهرة .

وكان من نتائج ثورة زنزبار اتحاد الجزيرة مع تنجانيقا فى دولة جديدة هى تنزانيا (زنزبار وتنجانيقا) وقد أيدنا هذا الاتحاد الذى رأى فيه البعض اختفاء دولة اسلامية ورأينا نحن فيه ازدياد نفوذ المسلمين فى شرق افريقيا .

فتعداد المسلمين فى تنجانيقا يفوق تعداد زنزبار كلها ، ولكن تأثيرهم كان محدود لتخلف مستواهم الثقافى ، فالتعليم كما سبق أن أوضحنا من قبل كان متروكا فى عهد الاستعمار الانجليزى للارساليات التبشرية فى معظمه ، بعكس زنزبار التى كان سكانها جميعا من المسلمين وحصلوا على نصيبهم من التعليم علاوة على جهود مصر الثقافية فى هذه الجزيرة والاعداد الضخمة التى كان يرسلها على محسن لتتعلم فى القاهرة . هذا علاوة على الارتفاع المستوى الحضارى للجزيرة التى كان يحكم منها الساحل الشرقى الافريقى فى وقت من الأوقات .

وبعد الاتحاد مع زنزبار استفادت تنزانيا بالكفاءات الموجودة فى الجزيرة وعين منهم الوزراء والمديرون والسفراء وحتى نائب رئيس الجمهورية أصبح يعين من المسلمين من ابناء زنزبار ، وانعكس ذلك كله على اوضاع المسلمين فى تنزانيا وزالت الحساسيات التى كانت تتواجد عادة ضد المسلمين فى الدول الافريقية التى تستقل بعد أن يصبح الحكم فيها للوطنيين من غير المسلمين . فقد سبق أن حاولت مصر على سبيل المثال اقامة مركز اسلامى فى دار السلام بعد الاستقلال مباشرة ولكنها لم تنجح فى الحصول على موافقة الحكومة الجديدة . أما بعد اعلان الاتحاد الجديد واقامة دولة تنزانيا فقد انشأت مصر اكبر مركز اسلامى لها فى افريقيا فى دار السلام العاصمة التنزانية بعد أن أصبح المسلمون هناك يتمتعون بمكانة خاصة .

وهكذا بعد أن كان الاسلام فى منطقة شرق أفريقيا محصورا فى دويلة صغيرة لم يتعد عدد سكانها المليون نسمة تحيطها دول تتربص بها وتخشى نفوذها الاسلامى فى المنطقة حيث تنتشر الاقليات المسلمة،اصبح تأثير الاسلام ونفلذه عظيما فى دولة اكبر تعدادا (عشرة ملايين فى ذلك الوقت) قادرة بدورها على التأثير فى منطقتها وفى افريقيا كلها . وقد انعكس ذلك بالتالى على العلاقة الوثيقة التى نشأت بعد ذلك بين عبد الناصر والرئيس نيريرى فزار عبد الناصر تنزانيا وجزيرة زنزبار وحضر نيريرى الى القاهرة وتوثقت الروابط بين البلدين الى حد بعيد .

ولم يقتصر تأثير ثورة زنزبار واتحادها فى دولة تنزانيا على هذا المجال الاسلامى فقط وانما تعداه الى أبعد من ذلك . فقد كان الاتحاد بداية التحول نحو الاشتراكية فى تنزانيا . فرغم أن الرئيس نيريرى عبر عن فكره الاشتراكى بعد ستة شهور فقط من الاستقلال فى تنجانيقا فى ورقته المشهورة التى عرفت باسم يوجاما « Ujama » اى اسس الاشتراكية

الافريقية الا أن الخطوات العملية لم تبـدأ الا بعد قيام الدولة الجـديدة وتشجيع شركاءه الجدد الذين كان حماسهم للتحول الاشتراكى كبيرا . فكان أعلان اروشا الشهير فى عام ٦٧ الذى أعلن فيه نيريرى ما سمى « اعلان السياسة الاشتراكية وسياسة الاعتمـاد على النفس » وكانت هذه هى الخطوات العملية نحو التحول الاشتراكى الحقيقى فى تنزانيا .

وكان من نتائج الاتحاد أيضـا فتور العلاقات بين تنزانيا واسرائيل التى كانت قد نجحت فى اقامة علاقات طيبة مع تنجانيقا عقب الاسـتقلال مباشرة فى الوقت الذى كانت فيه زنزبار ترفض اقامة أى علاقة مع اسرائيل وحاولت اسرائيل فتح قنصـلية لها فى زنزبار بعد الاتحاد الجـديد ولكنها قوبلت أيضا بالرفض كما رفضت محاولاتها فى اقامة أى علاقة من نوع أخر مع الجزيرة ، وكان على نيريرى والحكومة التنزانية مراعاة شعور شركاءهم الجدد وشعور المسلمين فى كل تنزانيا الذين تأثروا بموقف زنزبار فاصبحت تنزانيا بعد ذلك من الدول المؤيدة للحق العربى فى الأمم المتحـدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجميع المحافل الدولية ، وأدى ذلك الى فتور العلاقـات بين تنزانيا واسرائيل .

وهكذا نجد أن ثورة زنزبار كانت ثورة فى صالح الاسلام والمسلمين وفى صالح العرب واصبح لهـذه الثورة تأثير عظيم فى الدولة الجـديدة ، فقديما قالوا : « اذا دقت الطبول فى زنزبار رقصت شرق أفريقيا » .

وفى أرتيريا حيث الأغلبية الاسلامية ، كانت مصر أول دولة فى العالم تقف مع الشعب الارترى وتساعده على مقاومة اضطهاد حكم الأمبراطور هيلاسلاسى الرجعى وتعصبه ضد المسلمين .

فقد كانت ارتيريا ترتبط بأثيوبيا فى اتحاد فيدرالى اقرته الأمم المتحدة وكان هذا الاتحاد يسمح لارتيريا بأن تحتفظ بشخصيتها وكيانها حيث كانت لهـا لغتها الخاصـة وقوميتها كما كان لها برلمـانها وحكومتها . ولكن الامبراطـور هيلاسلاسى كان يسـير فى مخطط يهدف الى القضـاء على الشخصية الارتيرية تماما تمهيدا لاذابتها وجعلها مجرد أقليم من أقاليـم اثيوبيا ، وتركزت السلطة فى يد الحاكم العام لارتريا والذى كان يعينه الامبراطور وزاد عدد الموظفين الاثيوبيين بشكل جعلهم مسـيطرين على الجهاز الادارى سيطرة تامة هنـاك . ووصل الأمر الى حد الغاء اللغـة التجرينية لغة ارتيريا الأصلية وحلت محلها اللغة الامهرية التى اصبحت وحدها اللغة الرسمية لكل أثيوبيا .

وكان المسلمون الارتريون مضطهدين أيضا لكونهم مسلمين شأنهم فى ذلك شأن جميع مسلمى أثيوبيا الذين يشكلون أكثر من نصف السكان هناك . ورغم ذلك لم نكن نجد لهم أثرا فى المناصب الرئيسية للدولة وتركوا فى حالة من الفقر والتخلف يرثى لها .

وكان يحلوا لهيلاسلاسى أن يصف بلاده بأنها جزيرة مسيحية يحيط بها المسلمون من كل ناحية ، وهذا ما كان يقرأه القادم الى أديس ابابا فى كتيبات السياحة التى تقدمها الدولة متجاهلة بذلك نصف سكانها من المسلمين .

وكانت اثيوبيا منطقة نفوذ أمريكية ، وسمح هيلاسلاسى لأمريكا باقامة قاعدة جوية وقاعدة اتصال فى أسمرة العاصمة الارترية ، كما سمحت أثيوبيا لاسرائيل بعمل شركات فى ارتيريا كان أهمها شركة أنكودا توطئة لجعل ارتيريا قاعدة لتجارتها ونشاطها الاقتصادى فى شرق أفريقيا، واتخذت اسرائيل من اسمرة أيضا قاعدة لنشاط مخابراتها فى المنطقةكلها.

وقامت أثيوبيا أيضا بنشاط واسع فى السودان لحساب الولايات المتحدة الأمريكية يهدف الى محاربة فكرة الاتحاد بين مصر والسودان وكان ذلك فى فترة الانتقال التى حددتها الاتفاقية التى أبرمتها مصر مع انجلترا بشأن السودان فى فبراير سنة ١٩٥٣ ، وأصبح مكتب الاتصال الاثيوبى فى الخرطوم قاعدة أساسية من قواعد النشاط المناهض لمصر هناك .

وكان لأثيوبيا دور خطير فى تدعيم الحركات الانفصالية فى جنوب السودان كما عملت باعتبارها أحدى الدول المشتركة فى حوض نهر النيل على عرقلة أى اتفاقية جديدة خاصة بتوزيع مياه النيل . وكان الاتفاق بين مصر والدول المشتركة معها فى حوض النيل أمرا ضروريا فى ذلك الوقت حتى تستطيع مصر المضى فى تنفيذ مشروع السد العالى .

وذهب هيلاسلاسى فى عدائه للثورة المصرية الى حد العمل على فصل الكنيسة الاثيوبية واستقلالها تدريجيا عن كنيسة الاسكندرية التى كانت تعين بطريرك أثيوبيا وترسم مطارنة الكنيسة الأثيوبية وكانت تتمتع بمكانة ونفوذ عظيمين هناك .

ومن أجل ذلك كله أتخذت مصر موقفا واضحا من القضية الأرترية وفى بداية عام ١٩٥٥ اتخذت عدة قرارات متعلقة بهذه القضية وذلك بعد تقييم شامل لموقف أثيوبيا ودراسة الأوضاع فى أرتيريا وهى :

أولا : توجيه الاذاعة من القاهرة الى شعب ارتريا باللغة التجرينية لغة البلاد التى الغاها هيلاسلاسي — وخصصت هذه الاذاعة لفضح خطط أثيوبيا التى كانت تتخذها للقضاء على الكيان الارترى كما كان من أهداف هذه الاذاعة مواجهة ومهاجمة سياسة الأمبراطور المتخلفة والمبنية على التعصب الدينى .

ثانيا : فتح أبواب الأزهر الشريف والتعليم العام والجامعة فى مصر أمام الطلبة الارتيريين وعمل خطة لاستجلاب أعداد كبيرة منهم لشغل المنح التى تخصص لهم وذلك ردا على أهمال هيلاسلاسى لتعليم المسلمين هناك .

ثالثا : قبول اللاجئين السياسيين من أرتريا وأحتضانهم والسماح لهم بالعمل السياسى فى القاهرة . وقد حضر الى القاهرة الزعيم الارترى المعروف ولد آب ولد ماريام الذى نجا من سبع محاولات اغتيال دبرتها ضده السلطات الاثيوبية مما جعل منه أسطورة فى ارتريا . ثم جاء زعماء غيره هم ابراهيم سلطان وآدم أدريس وكثيرون أخرون بعد ذلك .

رابعا : تقديم المساعدات المادية للحركات الارترية التى تناهض هيلاسلاسى وسياسته .

ورغم أن مصر تقيدت فى سياستها الافريقية بعدم التدخل فى شئون اى دولة أفريقية مستقلة وقصرت مساعداتها لحركات التحرير على تلك الموجودة فى مناطق الاستعمار فقط حتى لا تضع أعباءا على الحكومات الافريقية ، الا أن الوضع بالنسبة لاثيوبيا كان مختلفا تماما لعدة أسباب : اولها لأن هيلاسلاسى هو الذى بدأ فى سياسته العدوانية ضد مصر وتحالف مع اسرائيل . وثانيها لأن الوضع فى ارتريا يختلف عن مجرد رغبة شعب او اقليم فى الانفصال كما حدث على سبيل المثال فى كاتنجا أو بيافرا أو جنوب السودان ، فقد كان شعب أرتريا يناضل من أجل الحفاظ على الأوضاع الدستورية التى أقرتها الأمم المتحدة وكان هيلاسلاسى هو المعتدى على هذه الأوضاع علاوة على الاضطهاد الدينى الذى قام على أساسه حكم هيلاسلاسى .

وعندما قامت منظمة الوحدة الافريقية فى عام ١٩٦٣ واتخذت اديس ابابا مقرا لها ، حاول هيلاسلاسى أن يغير من صورته أمام الافارقة، فعمل على الا يصطدم بالمشاعر الوطنية فى أفريقيا حتى ولو أدى الأمر الى الوقوف فى صف حركات التحرير فى كثير من الأحيان ، كما عمل الامبراطور

على الا ينحاز بصفة دائمة داخل منظمة الوحدة الافريقية الى القوى الرجعية التى كان هو بكل تأكيد جزءا منها ، فكانت سياسة هيلاسلاسي الافريقية لا تعكس بأى حال من الأحوال أوضاعه أو سياسته الداخلية بل على العكس من ذلك كان يحاول بسياسته الافريقية المتطورة أن يصرف الانظار عن حقيقة أوضاعه الداخلية المغرقة فى التخلف والرجعية والتعصب الدينى ، كما كان يحاول أيضا ان يصرف الأنظار عما يرتكبه من جرائم فى حق الشعب الارتيرى . وكان اخطر هذه الجرائم هو قراره بضم ارتريا نهائيا الى اثيوبيا مستندا الى تمثيلية جرت فى البرلمان الارترى اتخذ فيها هذا القرار المصيرى الخطير بالتصفيق وليس بأخذ الأصوات ودون سماع صوت المعارضة بعد أن كان قد أعد لهذه التمثيلية مزورا بذلك ارادة الشعب الارترى ، وبفعلته هذه كان هيلاسلاسى قد بذر بذور الثورة الارترية .

ولا شك أن قيام منظمة الوحدة الافريقية كان سببا فى الحد بعض الشىء من نشاطنا فى ارتريا ، على الأقل من الناحية الاعلامية والدعائية ، فرغم اننا رفضنا طلب هيلاسلاسى المتكرر بوقف الاذاعة التجريبية من القاهرة الا اننا اضطررنا الى وقف الهجوم الذى كانت تشنه هذه الاذاعة ولكن مجرد الاصرار على بقاء هذه الاذاعة كان يحدد بكل تأكيد موقف مصر المؤيد للكيان الارترى .

ويهمنى فى هذا المجال ان أشير الى نقطتين : الأولى اننا لم ننظر لمشكلة ارتريا كمجرد مشكلة دينية فقط بل اننا كنا نرى الأبعاد السياسية للقضية ونضعها فى المقدمة وهى تتلخص فى حق الشعب الارترى فى تقرير مصيره ، ولذلك حرصنا على ان يكون لنا اتصال أيضا بالعناصر المسيحية فى ارتريا من أمثال ولد آب ولد ماريام الذى كان يتولى الاذاعة التجريبية . والنقطة والثانية هى انه لم يكن وليس لنا اى مصلحة فى أن تستقل ارتريا بعيدا عن اثيوبيا ، فهذا شىء متروك للشعب الارترى نفسه . ولكننا كنا مع شعب ارتريا وهو يقاوم اضطهاد الامبراطور وقهره وحكمه الفاسد عندما أراد أن يعتدى على حقوق الشعب الارترى التى ضمنها له دستوره واقرتها الأمم المتحدة . واذا استطاع أن يعود الشعب الارترى فى يوم من الأيام الى الوضع الفيدرالى القديم أو الى وضع شبيه بذلك وحصل على ما يضمن له حقوقه فى وجود حكم وطنى فى اثيوبيا أعتقد ان ذلك سيكون فى مصلحة كل مسلمى اثيوبيا ويشد من أزرهم ويجعلهم اكثر قدرة

على التأثير فى اثيوبيا كلها خصوصا اذا أمكن القضاء على روح التعصب الدينى الذى توطد فى حكم هيلاسيلاسى ولن يكون ذلك بخلق تعصب مضاد من جانب المسلمين ، وأعتقد أن موقف الدول العربية من هذه القضية وطريقة معالجتها فى هذه الفترة بالذات سيكون له تأثير كبير فى حسم الموقف .

عبد الناصر يقدم المساعدة لنيجيريا لانهاء الحرب الأهلية فى بيافرا

فى شهر اغسطس ١٩٦٧ تسلم جمال عبد الناصر رسالة من الكولونيل جوان رئيس حكومة نيجيريا الفيدرالية ، ورئيس المجلس العسكرى هناك يعرض فيها الخطر الذى تتعرض له بلاده نتيجة غارات الطائرات التى أصبح يمتلكها الجوكو قائد الانفصال ببيافرا — والتى اصبحت تقصف العاصمة لاجوس يوميا دون أن تجد أى مقاومة الأمر الذى خلق حالة من الذعر اصابت الأهالى وسكان العاصمة على وجه الخصوص .

واوضح جوان فى رسالته انه استطاع الحصول على عدد من الطائرات الميج ١٧ أمدة بها الاتحاد السوفيتى ولكنه لا يجد الطيارين الذين يمكنهم العمل على هذه الطائرات . ومضى جوان يقول أنه يعرف الظروف العسكرية الصعبة التى تمر بها مصر كما يعرف انها تحتاج لكل مقاتل ولذلك فانه لا يرجو مساعدة منها ولكنه فقط يرجو عبد الناصر أن يستخدم نفوذه لاقناع الرئيس الجزائرى هوارى بومدين حتى يمده بعدد من الطيارين الجزائريين المدربين على طائرات الميج ١٧ الموجودة لديه حيث أنه فشل فى الحصول على طيارين من أى مكان آخر بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى ، وأوضحت الرسالة أن مسألة الحصول على هؤلاء الطيارين أصبحت مسألة حياة أو موت .

وكانت الحرب الأهلية فى نيجيريا قد اندلعت منذ أعلن الكولونيل اجوكو الحاكم العسكرى لاقليم شرق نيجيريا استقلال الاقليم باسم جمهورية بيافرا وذلك فى ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ ، والزم اجوكو شركات البترول بعدد من الرسوم الجمركية وعوائد البترول تدفع لحكومته الجديدة ، واستطاع الحصول على عدد من الطائرات يعمل عليها طيارون من المرتزقة الأوربيين أغلبهم من الذين كان قد استأجرهم تشومبى عندما قام بمحاولته الانفصالية فى اقليم كاتنجا ، وأصبح الخطر الذى تتعرض

له نيجيريا الفيدرالية بمحاولة انفصال اقليم بيافرا الغنى بالبترول شديد الشبه بذلك الخطر الذى سبق أن تعرض له الكونغو بمحاولات فصل اقليم كاتنجا الغنى بالمعادن .

وكان انفصال بيافرا يعنى تمزيق نيجيريا تماما واستقلال بقية الأقاليم النيجيرية الأخرى . وكان هذا بالفعل ما ينادى به اجوكو الذى كان يرى أن اسس الوحدة الفيدرالية قد انهارت تماما بعد المذابح التى اقامها الشماليون المسلمون لقبائل الايبو من سكان الاقليم الشرقى . كما كان يرى أن الحل الوحيد هو اقامة اتحاد (كونفدرالى) من أربعة دول مستقلة تماما هى الأقاليم الأربعة فى نيجيريا وأن يكون لكل منها جيش وبوليس مستقلين وسيطرة كاملة على مواردها الاقتصادية .

وكانت المشكلة فى حقيقتها ذات أبعاد دينية وقبلية وثقافية وسياسية فنيجيريا التى كان يبلغ تعدادها ٥٥٫٤ مليون نسمة (وفقا لاحصاء عام ١٩٦٣) مقسمة الى اربعة اقاليم متحدة فيدراليا علاوة على منطقة لاجوس العاصمة حيث توجد الحكومة الفيدرالية . وأكبر هذه الأقاليم هو الأقليم الشمالى الذى كان تعداده قد وصل الى ٢٩٫٨ مليون نسمة معظمهم (أكثر من ٧٥٪) من قبائل الهوسا المسلمة . والأقليم الغربى ١٤٫٤ مليون نسمة منهم حوالى ٥٠٪ من المسلمين ، أما الأقليم الشرقى وفقا لنفس الاحصاء — فيبلغ تعداده ١٠٫٣ مليون نسمة يكاد يكون جميعهم من المسيحيين ، وأخيرا الأقليم الغربى الأوسط وكان تعداده يبلغ ٢٫٥ مليون نسمة فقط غالبيتهم من المسيحيين .

وقد جاء تمركز المسيحيين فى شرق نيجيريا نتيجة للسياسة التى وضعها الانجليز أثناء الحكم الاستعمارى ، فقد أهتموا بتعليم قبائل الايبو التى لم يكن قد دخلها الاسلام وذلك عن طريق الارساليات التبشرية التى انتشرت فى كل مكان من شرق نيجيريا فتحولت هذه القبائل الى المسيحية وأرتفعت نسبة التعليم فيها فى الوقت الذى أهملت فيه المناطق الاسلامية من كل جهد حقيقى للتعليم . وأصبحت أهم المناصب الادارية فى نيجيريا فى يد المتعلمين من قبائل الايبو المسيحية وهى الأقلية التى أعتمدت عليها الادارة الانجليزية كعادتها فى الاعتماد على الأقليات اينما وجدت .

ثم ظهرت الثروة البترولية فى الاقليم الشرقى فتولد احساس لدى قبائل الايبو بأنهم أصحاب القوة الاقتصادية والثقافية وأنهم التعبير عن التقدم التكنولوجى . واتجه هؤلاء بأنظارهم الى الدول الغربية حيث الحضارة والمدنية التى بهرت مثقفيهم وجعلتهم يتصورون فيها الخلاص

من كل مشاكلهم خاصة وانهم كانوا قد ضاقوا بسيطرة الشمال المسلم رغم تخلفه كثيرا عن شرق نيجيريا .

فالشماليون المسلمون فى نيجيريا يسيطرون على الحكم الفيدرالى هناك بحكم الأغلبية والارتباط القبلى والاقليمى الذى تدور حوله الحياة السياسية . وهى سيطرة يكفلها لهم نظام الحكم الفيدرالى والديمقراطية الليبرالية التى نص عليها دستور البلاد الصادر عام ١٩٦٣ . . وقد زادت الممارسات الحزبية بعد الاستقلال من الاحساس بالمرارة الناتجة عن سيطرة الشمال وذلك لدى سكان المناطق الجنوبية فى نيجيريا بصفة عامة ولدى قبائل الايبو فى شرق نيجيريا على وجه الخصوص .

وكانت هذه هى الأسباب التى أدت الى الانقلاب الأول فى نيجيريا فى ١٥ من يناير سنة ١٩٦٦ حيث قام عدد من ضباط الجيش معظمهم من قبائل الايبو بتدبير مؤامرة اغتالوا فيها معظم الزعماء المرموقين للشمال المسلم وعلى رأسهم زعيم الشمال المعروف السردونا أحمدو بيللو رئيس الوزراء فى الاقليم الشمالى وتفاوا بالبوا رئيس الوزراء الفيدرالى . وتولى السلطة فى البلاد الجنرال ايرونسى وهو من الاقليم الشرقى . وعطل ايرونسى الدستور بعد ان خول جميع السلطات التنفيذية والتشريعية الفيدرالية وأصبح قائدا للقوات المسلحة ورئيسا للحكومة العسكرية التى تولت السلطة التنفيذية فى البلاد .

ثم أصدر الجنرال ايرونسى مرسوما بالغاء النظام الفيدرالى فى نيجيريا وجعلها دولة بسيطة موحدة والغى الاقاليم الاربعة . وكان القصد من هذه الاجراءات الجديدة القضاء على سيطرة المسلمين فى الشمال ، وصحب ذلك ازدياد أعداد المتعلمين من قبائل الايبو فى الجهاز الادارى والفنى فى شمال نيجيريا . وكانت هذه الاعداد قد استقدمت لتدعيم سيطرة النظام الجديد .

وقد أدت هذه القرارات والاجراءات الى مظاهرات واضطرابات عنيفة فى الاقليم الشمالى الذى وجد أبناءه ان النظام الجديد يسلبهم كل شىء بعد ان قتل قادتهم وزعمائهم الذين كانوا يتمتعون أيضا بمكانة دينية كبيرة . وخرجت الجماهير الغاضبة فى الشمال تطالب بالانفصال الفورى للشمال . ثم امتد هذا السخط الى العناصر الشمالية داخل الجيش فكان الانقلاب الثانى الذى تم فى أول أغسطس سنة ١٩٦٦ . وقتلت القوات الثائرة الجنرال ايرونسى وعددا كبيرا من ضباط وجنود الايبو انتقاما لمقتل زعماء الشمال فى يناير السابق . كما حدثت مذابح شعبية للعديد من أفراد قبائل الايبو الذين كانوا قد نزحوا للاقامة فى الشمال . وهرب أكثر من مليون ونصف مواطن من الشمال الى الشرق تاركين وظائفهم وأموالهم وممتلكاتهم .

وأعلن تعيين الكولونيل يعقوب جوان وهو ضابط من الشمال خلفا للجنرال ايرونسى . ثم أصدر جوان مرسوما أعاد فيه النظام الفيدرالى الى نيجيريا كما كان قبل الانقلاب الأول وبالتالى هدأت النفوس فى الاقليم الشمالى .

ورغم أن الجنرال الجديد كان شماليا الا انه اختير مسيحيا حتى تهدأ النفوس فى الاقاليم الاخرى ، وكان لذلك بالفعل اثره الطيب فى اقليمى الغرب والغرب الاوسط ، أما فى الاقليم الشرقى فقد كانت المرارة تملأ القلوب لما حدث لعناصر الايبو من مذابح وتشريد مضافة الى خيبة الامل الناتجة عن فشل الانقلاب الاول الذى وان كان قد انتهى الا أن أسبابه لم تكن قد انتهت وعادت لتفرض نفسها من جديد بعودة النظام الفيدرالى القديم .

وجاء رد الفعل لهذه المرارة من الحاكم العسكرى للاقليم الشرقى اجوكو الذى قاد الحركة الانفصالية هناك . فقد أعلن انه لا يعترف بالجنرال جوان رئيس الحكومة العسكرية الجديدة لأن ما تم ضد الجنرال ايرونسى أمر غير شرعى وانه من المستحيل أن يعمل افراد القوات المسلحة من الاقليم الشرقى فى جيش يضم الشماليين بعد المذابح التى قاموا بها ضد قبائل الايبو .

وطالب أجوكو بانشاء اتحاد كونفدرالى من الاقاليم الاربعة لتصبح دولا مستقلة تماما لكل منها جيش وبوليس واقتصاد مستقل على أن تجمعها منظمة خدمات مشتركة وسوق اقتصادية يكون مقرها لاجوس العاصمة .

وقد بذلت محاولات كثيرة لاعادة القانون والنظام الى نيجيريا كلها . وكانت هذه المحاولات تسعى الى تعديل الاوضاع بما يضمن حقوق الاقليات فى نيجيريا ، ولكن مع الابقاء على وحدة نيجيريا داخل الاطار الفيدرالى ، فقد تدخلت حكومة غانا للتوفيق بين القادة العسكريين والسياسيين ، ولكن كل هذه الجهود باءت بالفشل واعلن اجوكو استقلال الاقليم الشرقى تحت اسم جمهورية بيافرا فى ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ ، وذلك لأن فكرة الانفصال كانت قد اختمرت فى ذهنه بعد أن وجد العون والتشجيع من بعض الدول الغربية التى رأت فى مصلحتها قيام دولة جديدة من عناصر الايبو المسيحية التى يتوفر لديها الكوادر الفنية الادارية بالاضافة الى الثروة البترولية فمن الطبيعى أن يكون ارتباط هذه الدولة المسيحية الجديدة بالدول الغربية وبالتالى يمكن تسليحها واستخدامها لاخضاع هذه المنطقة الاسلامية . وكان يشجع على هذا الاعتقاد وجود العداء القبلى التقليدى بين قبائل الايبو

فى الشرق وقبائل الهوسا فى الشمال . هذا العداء الذى عمقته الاحداث الاخيرة التى سالت بسببها الدماء من كلا الطرفين بما يؤكد استمرار العداء بينهما ووجوده بالقدر الذى يضمن مصالح هذه القوى .

وقد كان على راس هذه القوى صاحبة المصلحة فى الانفصال والتى شجعت أجوكو الولايات المتحدة الامريكية التى كانت استثماراتها فى نيجيريا قد بلغت ٢٠٠ مليون دولار معظمها فى ميدان البترول الموجود فى هذا الاقليم الشرقى. ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الامريكية تهتم بالسيطرة على منابع البترول فى هذه المنطقة التى يصل بترولها الى العالم الغربى دون المرور فى قناة السويس أو دول منطقة الشرق الاوسط الملتهبة بأوضاعها السياسية المضطربة .

وكانت شركات الاستثمار والمؤسسات ذات النفوذ القوى فى غرب افريقيا وأهمها المؤسسات الانجليزية والالمانية تجد هى الاخرى مصلحتها فى انفصال الاقليم الغنى وتجد فى خلق كيان جديد على هذا النحو فى بيافرا امرا يمكن أن يحمى مصالحها فى المنطقة كلها .

ولهذه الأسباب تدفقت على اجوكو كميات كبيرة من الاسلحة وحصل على الطائرات التى كانت تغير على لاجوس العاصمة حيث توجد الحكومة العسكرية الفيدرالية كما وصل بيافرا المرتزقة الاوربيون من الذين يؤيدون كل انفصال يحدث فى الاقاليم الافريقية الغنية والتى تتركز فيها رؤوس الأموال والسيطرة الاوربية . وكانت المؤسسات الاوربية والامريكية ذات المصالح فى هذه المنطقة تشارك فى تمويل عمليات التسليح وتسهل وصول الاسلحة الى الاقليم الشرقى .

وكانت قد توفرت لدينا فى ذلك الوقت معلومات تفيد بتدفق كميات كبيرة من الاسلحة الاسرائيلية الى بيافرا . وقد يكون ذلك أيضا من تخطيط السياسة الامريكية الا ان اسرائيل نفسها كانت لها مصلحة فى تفتيت نيجيريا التى تضم اكبر تجمع اسلامى فى أفريقيا . كما كان لاسرائيل استثمارات هى الاخرى فى نيجيريا وتطمع فى أن يكون لها وضع مميز فى الدولة الجديدة الغنية ، لذلك شجعت الانفصال وقدمت مساعداتها الى اجوكو .

كان هذا هو الوضع فى نيجيريا عندما تسلم جمال عبد الناصر طلب رئيس الحكومة العسكرية فى نيجيريا التوسط لدى بومدين من أجل ارسال الطيارين القادرين على التصدى لغارات اجوكو الجوية .. وكان ذلك أيضا

بعد أسابيع قليلة من هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وفى الوقت الذى يستعد فيه عبد الناصر لحرب الاستنزاف وتهيئة الجيش لتحرير أرض مصر المحتلة ولكنه لم يكن قد انتهى بعد من تهيئة الاوضاع الداخلية ــ بمشاكلها المترتبة على هزيمة يونيو العسكرية ــ لمواجهة المرحلة الجديدة . فقد كان المشير عبد الحكيم عامر مازال فى بيته بالجيزة ، وقد حوله الى قلعة عسكرية ويحاول الاتصال بضباط الجيش والوحدات لتعزيز مركزه من جديد .

وفى ٢٥ أغسطس طلبنى عبد الناصر ليبحث معى موضوع رسالة الكولونيل جوان . وقال عبد الناصر انه يعرف جيدا أن الحكومة العسكرية فى نيجيريا لن تحصل على طيارين لا من الجزائر ولا من أى مكان آخر . فقد تعرضنا فى مصر لموقف مشابه فى يونيو سنة ١٩٦٧ ولم يستجب أحد لندائنا ، فارسال طيارين أمر يختلف كثيرا عن مجرد ارسال معدات عسكرية .

وقال عبد الناصر انه لا يريد أن يلقى الحكم فى نيجيريا نفس الصدمة التى لقيناها فى مصر لأن هذا الحكم العسكرى قد يضعف أمام صدمة مماثلة فيذعن لقوى الانفصال والقوى المحركة له . وهذا ما تريده أمريكا التى يهمها ارهاب الحكومات الافريقية حتى تخضع لسيطرة وحكم المؤسسات والشركات الرأسمالية والاحتكارات المرتبطة بالامبريالية .

وقال عبد الناصر اننا لا نريد أن تنتكس أفريقيا بما حدث لنا فى يونيو ١٩٦٧ . يجب أن يكون هذا أساسنا واضحا فى استراتيجيتنا .

وكان من الواضح أن استقلال بيافرا بهذه الطريقة هو خلق لكيان جديد فى هذه المنطقة يمكن أن يلعب لحساب أمريكا والدول الاستعمارية دورا مماثلا لذلك الدور الذى تلعبه اسرائيل فى الشرق الاوسط .

ولهذه الاعتبارات كلها قرر عبد الناصر مساعدة الحكومة الفيدرالية فى نيجيريا لمقاومة الحركة الانفصالية فى بيافرا والابقاء على وحدة نيجيريا . وكان ذلك بالاستجابة لطلب الكولونيل جوان بارسال الطيارين المطلوبين . ونظرا لأن الظروف وقتها لم تكن تسمح للقوات الجوية المصرية بالاستغناء عن أى طيار مقاتل فقد كلفنى عبد الناصر بأن يكون ذلك من بين الطيارين الذين تركوا الخدمة بالقوات الجوية لأية أسباب .

وقام مكتب الشؤون الافريقية بمصر بحصر هؤلاء الضباط واستدعائهم على دفعات وتم الاتفاق مع السلطات النيجيرية على أن تأخذ العملية

شكل التعاقد الفردى بين الأفراد والحكومة النيجيرية وذلك لتجنب التعقيدات الدولية الناتجة عن تدخل مصرى مباشر . أى انها اتخذت فى مظهرها شكل المرتزقة الاوربيين ، ولكن فى حقيقة الامر كان هؤلاء ابعد ما يكونوا عن أن يوصفوا بهذا الوصف . فقد كانت الحكومة المصرية هى االتى تكلفهم وتنظم هذا التعاقد معهم وتستدعى منهم من تريد . كان هناك ضابط اتصال مصرى فى لاجوس على اتصال مباشر بمكتب الشؤون الافريقية يتم عن طريقه كل ما يتعلق بشؤون هؤلاء الضباط ويقوم بالتنسيق مع السلطات النيجيرية .

وكان دافع هؤلاء الضباط هو خدمة الاهداف الوطنية المصرية فى المقام الأول ، تلك الأهداف التى اتفقت مع مصلحة نيجيريا الفيدرالية . ولازلت اذكر لقائى مع الدفعة الأولى من الطيارين الذين استقبلتهم لاكلفهم بهذه المهمة وكيف تركز اهتمامهم كله على الرغبة فى معرفة مدى وكيفية تأثير نتائج هذه الحرب النيجيرية علينا وأهمية ذلك بالنسبة لمعركتنا الأساسية التى مع اسرائيل دون أن يسأل احد عن قدر المرتب أو المكافأة والامتيازات التى سوف يحصل عليها . وكنت سعيدا لمشاهدة هذا الحماس قبل أن أبلغهم بالمرتبات العالية التى كانت الحكومة النيجيرية قد قررت دفعها للطيارين المقاتلين . وقد اعيد معظم هؤلاء الطيارين بعد ذلك الى الخدمة فى القوات الجوية المصرية مكافأة لهم على اعمالهم فى نيجيريا ، وكان ذلك كله فى واقع الأمر يبعد عنهم صفة المرتزقة تماما . ولكننا فى ذلك كنا نحارب القوى الاستعمارية بأحد اساليبها التى استخدمتها ضد قوى التحرير فى الكونغو وجنوب السودان وفى أماكن كثيرة من افريقيا لضرب حركات التحرير .

ووصلت الدفعة الأولى من الطيارين المصريين بقيادة المقدم الطلياوى الى لاجوس بعد أيام قليلة ، وقام هؤلاء فى نفس يوم وصولهم بالطيران الواطى بطائرات الميج فى سماء العاصمة النيجيرية ، وكان ذلك ايذانا بانهاء غارات اجوكو الجوية بصفة نهائية حيث لم تكن انواع الطائرات التى يستخدمها بقادرة على مواجهة طائرات الميج الروسية والتى كان يستخدمها الطيارون المصريون . وقد استقبل سكان العاصمة لاجوس ظهور طائرات الميج فى سماءهم بالفرح والتهليل حيث كانوا يعيشون فى رعب من هذه الغارات ومن القصف الجوى الذى كانت قد زادت حدته فى الفترة الأخيرة .

وكان الواجب الذى كلف بنه الطيارون المصريون هو الدفاع عن سماء نيجيريا فى المناطق التى تحدد لهم وكذلك ضرب المطار الذى كانت

تمتلكه بيافرا وجعله غير صالح للعمل بصفة دائمة ، وكان معنى ذلك وقف الامداد العسكرى الى بيافرا والذى كان معظمه يصل عن طريق الجو .

وزاد عدد الطيارين المصريين فى نيجيريا بتقدم الحرب وانشاء كلية طيران فى لاجوس لتدريب الضباط النيجيريين واضطررنا الى الاستعانة بطيارين من القوات الجوية المصرية لاستكمال الأعداد المطلوبة وكذلك اطقم الصيانة والخدمة الأرضية والاتصال اللاسلكى . ولم يكن من السهل وقتها اقناع الفريق فوزى وزير الحربية بذلك الا بعد قبول شروطه وقتها فى ان يتغير الأفراد كل ٣ شهور وان يكون له الحق فى استدعاء جميع الأفراد التابعين للقوات الجوية المصرية الموفدين فى هذه المهمة وذلك فى ظرف ٤٨ ساعة من ابلاغى بهذا الطلب . وقد حدث بالفعل ان استخدم الفريق فوزى حقه فى هذا الاستدعاء عندما تصاعدت حرب الاستنزاف . وقد كانت الصعوبة فى استعواض الفنيين من غير الطيارين لأن عددهم كان كبيرا . ولكن امكن استعواضهم جميعا خلال ٤٨ ساعة عن طريق الحصول على كشوفات بأسماء المسرحين من القوات الجوية المصرية من الفنيين واطقم الصيانة واللاسلكى والخدمات الأرضية الأخرى ، ثم تم الاتصال بهم والعمل على اخلاء سبيلهم من الجهات التى كانوا يعملون بها فى الوزارات المختلفة، وبذلك لم تتوقف العمليات الجوية فى نيجيريا .

أما بالنسبة للطيارين فقد بقى منهم من كان خارج قوة السلاح الجوى المصرى وكان عليهم القيام بمجهودات مضاعفة . واستمرار بقاء هؤلاء الطيارين الى ان تحقق النصر لقوات نيجيريا الفيدرالية وهرب اجوكو الى ساحل العاج واستسلمت قواته وتم القضاء نهائيا على محاولة الانفصال فى بيافرا . ومما لا شك فيه ان قرار عبد الناصر الثورى بارسال الطيارين المصريين الى نيجيريا كان له فضل كبير فى حسم المعركة لصالح القوات الفيدرالية »

وحتى لا أدع مجالا لما قد يراود القارىء من تساؤلات حول الأعباء الاضافية التى تكون قد تحملتها مصر نتيجة لموقفها من مساندة الحكومة الفيدرالية فى هذا الوقت ، أوضح ان مصر لم تتحمل أى عبء مادى . فقد كانت الحكومة النيجيرية تدفع ثمن المعدات التى تحصل عليها من مصر بالعملات الصعبة ، وقد كانت هذه المعدات فى اغلبها قطع غيار وبعض الطائرات التى كانت تستغنى عنها القوات الجوية المصرية وذخيرة وقنابل طائرات وبعض المعدات الأخرى التى كان من السهل استعواضها من الاتحاد السوفيتى . وكان الثمن يدفع فور الاستلام لحساب وزارة الحربية المصرية التى كانت تستخدم هذه الحصيلة فى شراء بعض مستلزماتها من الاسواق

الاوربية التى تحتاج الى العملة الصعبة مثل الجنازير اللازمة لصناعة المدرعة التى تنتجها مصر والتى تشترى من أسبانيا .

وقد دفعت حكومة نيجيريا أجور ومرتبات جميع الطيارين والفنيين المصريين الذين اشتركوا فى هذه المهمة وكذلك أجر النقل الجوى الذى كانت تستلزمه عمليات الاستعواض السريعة . وكان ذلك كله يدفع بالعملة الصعبة . فقد كان الاتفاق مع حكومة نيجيريا على ان تتحمل جميع الأعباء المالية المترتبة على المساعدات المصرية وذلك نظرا للظروف التى كانت تمر بها مصر من اعادة بناء لقواتها المسلحة وحاجتها الى تعبئة كل مواردها من اجل معركتها مع اسرائيل ولأن نيجيريا كانت قادرة على الدفع الذى لم يكن مشكلتها .

وكانت اهم مشاكل نيجيريا فى حربها هذه تتركز أولا فى الحصول على الطائرات وما يلزمها من اسلحة ومعدات وهذه حصلت عليها من الاتحاد السوفيتى بعد أن فشلت فى شرائها من اسواقها التقليدية التى كانت تتعامل معها قبل الحرب الاهلية . فقد فرضت الدول الغربية حظرا على نيجيريا فى الوقت الذى كان اجوكو يحصل فيه على ما يريد من الطائرات والاسلحة التى كان يصله بعضها على طائرات الصليب الاحمر وذلك على حساب ما كان يؤكده المسؤولون فى حكومة نيجيريا الفيدرالية . أما المشكلة الثانية فكانت الحصول على الافراد المدربين للعمل على هذه الطائرات والمعدات الجديدة وكانت مصر هى الدولة الوحيدة التى استجابت لنداء نيجيريا فى الوقت المناسب ثم كانت مشكلة الاستعواض السريع للذخيرة وقطع الغيار ووصولها فى الوقت المناسب وهذا ايضا ما قدمته مصر .

ولا بد لنا من وقفة أمام الظروف التى اتخذ فيها عبد الناصر قرار تقديم المساعدة . فهذا القرار وان لم يكلف مصر أعباءا مالية الا انه دون شك كان يحمل معنى التحدى للقوى التى تقف خلف حركة الانفصال فى بيافرا . وكان يعنى أن عبد الناصر رغم هزيمة يونيو العسكرية ورغم مشاكله الداخلية التى كان يواجهها فى ذلك الوقت لم يتحول عن سياسته المناهضة للاستعمار والامبريالية وانه كان مازال يؤمن بوحدة النضال بين الشعوب التى تقاوم نفس العدو كما كان يؤمن بأن انتكاسة اى شعب من هذه الشعوب لابد وأن تؤثر على نضال الشعوب الأخرى ، ولذلك احس عبد الناصر بمسؤوليته حيال أحداث نيجيريا باعتبارها بداية لهجمة جديدة يقوم بها الاستعمار والولايات المتحدة الأمريكية لارهاب الشعوب الافريقية فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ .

ولنفس هذه الأسباب كانت فرحة عبد الناصر بثورة السودان وبثورة ليبيا من بعدها لانها كانت تعنى فى نظرة عودة المد الثورى الى العالم العربى والى القارة الافريقية من جديد .

وقد ترتب على موقف مصر من المساعدة النيجيرية ان اصبحت نيجيريا من الدول المؤيدة للقضية الفلسطينية والحق العربى وذلك فى جميع المجالات الدولية والافريقية بعد أن كانت من الدول المتحفظة فى ذلك .

وقد أيدت معظم الدول الافريقية حكومة نيجيريا فى موقفها من اجوكو وطريقة معالجتها لمشكلة الانفصال . فموضوع الانفصال بصفة عامة موضوع كريه عند معظم الدول الافريقية خصوصا تلك التى يهددها شبح الانفصال دائما وهى كثيرة فى افريقيا — وذلك لوجود تقسيمات قبلية غير منسجمة أو وجود مناطق داخل الدولة لم تنصهر بعد فى الوطن الجديد .

أما الدول الافريقية التى أيدت الانفصال فى نيجيريا ودافعت عن حق بيافرا فى الاستقلال فكان عددها قليلا كما كانت فى معظمها من بين الدول التى عرفت بارتباطاتها بدول غربية مثل ساحل العاج وملاوى ولم يكن لرأى هذه الدول وزن كبير او تأثير داخل منظمة الوحدة الافريقية .ولكن المشكلة الحقيقة كانت فى موقف الرئيس نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا من هذه القضية .فقد كان يرى هو الآخر ان من حق بيافرا ان تنفصل عن نيجيريا وان تحصل على استقلالها . وكان نيريرى يقف موقفه هذا من منطلق مختلف تماما عن موقف الدول التى ايدت الانفصال لمجرد انه يخدم السياسة الغربية فى افريقيا . فثورية نيريرى واحساسه بالانتماء الافريقى وتقدميته كلها ليست موضع الجدل أو نقاش . فكان نيريرى يقول انه يرفض الوحدة اذا كان ثمنها ارواح المواطنين . وهو بذلك يعارض العنف الذى كانت تقوم به الحكومة الفيدرالية فى مواجهة الحركة الانفصالية فى نيجيريا . واعتقد ان وراء منطق نيريرى هذا كانت هناك ايضا اسباب دينية فالرئيس نيريرى كاثوليكى متدين ويبدو انه تأثر كثيرا بحملة الدعاية الواسعة التى قامت فى أوربا واشتركت فيها جميع أجهزة الاعلام الغربية لصالح اجوكو واستقلال بيافرا مصورة المشكلة على انها صراع بين أقلية مسيحية فى مواجهة الأغلبية المسلمة التى تريد أن تقضى على كيان هذه الاقلية وتنتقص من حقوقها . وبالغت هذه الدعاية كثيرا فى تصوير المجاعات والأخطار التى تعرض لها سكان بيافرا حتى انها نجحت فى هز مشاعر أوربا كلها وتحريك الكنيسة الكاثوليكية . وقد تناست هذه الدعاية ان اجوكو ورفاقه هم السبب فى هذه الكارثة وان القتل والعنف بدأ أولا من الاقليم الشرقى عندما قامت مجموعات من قبائل الايبو بذبح الزعماء المسلمين فى الشمال واستولت على السلطة فى الانقلاب العسكرى الأول .

وكان الرئيس كاوندا رئيس زامبيا المتدين يقف هو الآخر موقفا مشابها لموقف نيريرى ولكن ربما بدرجـة أقل حماسا . ولذلك كنا فى مصر حريصين على الا يتسبب موقفنا فى قضية بيـافرا المخالف لموقف نيريرى وكاوندا فى تمكر العلاقات الطيبة والوثيقة التى كانت تربطنا بكل من تنزانيا وزامبيا . كما كنا نخشى أن تمتد آثار الحرب النيجيرية ــ اذا فهمت على أنها مجرد حرب دينية بين الشمال المسلم والشرق المسيحى ــ لتصبح حربا أو صراعا بين المسيحيين والمسلمين فى أفريقيا كلها فتكون وبالا على الاقليات الاسـلامية فى بعض بلاد القارة . ولذلك فقد كلفت بالذهاب الى دار السلام ولوساكا فى زامبيا لأشرح لـكل من الرئيسين نيريرى وكاونـدا دوافـع مصر وراء مساعدة نيجيريا ولاوضح لهما أننا نعالج هذه المشكلة من منطلق بعيد كل البعد عن أى نظرة دينية متعصبة .

وبعد انتصار الحكومة الفيدرالية واستعادة نيجيريا لوحدتهـا أراد جوان أن يعبر عن شكره وتقديره للرئيس جمال عبد الناصر وذلك بأن جعل القاهره أول عاصمة يزورها بعد انتهاء الحرب الأهلية وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، حيث حضر الى القاهرة فى زيارة رسمية وكان أول لقـاء بين عبد الناصر وجوان . وأبدى الرئيس النيجيرى رغبته فى توثيق عرى الصداقة بين البلدين وخاصة فى ميدان العلاقات التجارية والتبادل الفنى . وكانت هذه العلاقات قد قطعت بالفعل شوطا كبيرا أثناء الحرب النيجيرية ، فعلى سبيل المثال وصل عدد الأطبـاء المصريين الذين تم لهم التعاقد مع الحـكومة والمستشفيات النيجيرية خلال هذه المـدة أكثر من ٣٠٠ طبيب بالمستشفيات النيجيرية علاوة علـى عـدد من أساتذة الجامعات أعيروا لجامعة ابادان فى نيجيريـا .

كما زاد نشاط شركة النصر للتصدير والاستيراد المصرية فى نيجيريا وامتد عملها الى الاشتراك فى تسويق المحاصيل النيجيرية الى جميع انحاء العالم سواء عن طريق العمليات الثلاثية أو مباشرة . هذا علاوة على زيـادة حجم التبادل التجارى بين البلدين زيادة ملحوظة .

وهكذا نجد أن الموقف المبدأى الذى وقفتـه مصر بمساعدتها نيجيريا الفيدرالية لانهـاء الحرب الأهلية فى بيافرا فتـح أمام مصر أيضا افاقا جديدة لعلاقاتها الاقتصادية والثقافية مع نيجيريا .

الفصل الخامس

عبد الناصر وأزمة الكونغو

- بداية الازمة الكونغولية واسبابها .
- ارسال قوات مصرية الى الكونغو .
- مهمة خاصة لمقابلة لومومبا .
- مقتل لومومبا واندلاع الثورة فى الكونغو .
- رد عبد الناصر على مقتل لومومبا .
- عودة الحكم المركزى وانهاء الانفصال فى كاتنجا .
- اشتعال الثورة من جديد .
- موقف عبد الناصر من الغزو البلجيكى الامريكى للكونغو .
- نهاية الازمة الكونغولية ونتائجها .

كانت ازمة الكونغو فى بداية الستينات علامة بارزة فى تاريخ النضال الافريقى ادت الى صراع عنيف بين قوى الاستعمار والامبريالية من ناحيـــة وقوى التحرر الوطنى فى افريقيا تساندها قوى التقـــدم العالمية من ناحية أخرى .

وقد كشفت ازمة الكونغو عن ابعاد جديدة لهذا الصراع ، حيث كانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها الولايات المتحدة الامريكية بثقلها فى مجال السياسة الافريقية . وكان هناك قبل ذلك من يعتقد فى تعاطف أمريكا مع الامانى الوطنية للشعوب وانه فى مقدور الحركات الوطنية الاستفادة من هذا التعاطف فى معركتها للتخلص من الاستعمار والاحتلال الأجنبى ، ولم يكن قـــد سبق لأحـــد من الزعماء الافريقيين أن أصطدم اصطداما فعليـــا بالسياسة الأمريكية سوى جمال عبد الناصر الذى كان قد خاض معـــركة الأحلاف العسكرية عندما حاولت امريكا فرضها على المنطقة .

لقد كانت ازمة الكونغو صراعا تجسد فيه امـــام الافريقيين المعنـــى الحقيقى للاستعمار الجديد . وقد لعبت مصر دورا هاما ورئيسيا فى هـــذا الصراع ، وقفت فيه الى جانب القوى الوطنية . وكان لدورها هذا أثر كبير فى سير الأحـــداث ليس فى الكونغو فقـــط ولكن فى افريقيـــا كلها التى تأثرت كثيرا بازمة الكونغو وبالصراع الدائر بسببها .

وقد أحدثت أزمة الكونغو انقسامات خطيرة بين دول افريقيـــا وقامت بسببها تكتلات سياسية فى القارة أدت فى النهاية الى قيام منظمة الوحدة الافريقية بمجرد انفراج هذه الأزمة . ولكن سرعان ما عادت أزمـــة الكونغو من جديد لتعيد الانقسام والتكتل مرة ثانية بين دول القارة ولكن داخل المنظمة الجديدة هذه المرة . وكادت الانقسامات إن تعصف بمنظمة الوحدة الأفريقية الوليدة لولا تدخل الحـــكماء من رؤساء الدول الافريقيـــة الذين استطاعوا

ان يوجدوا الصيغة الملائمة للتعايش بين الاتجاهات المختلفة للدول الافريقية ووضع الحدود لهذا الصراع التى لا يجوز الخروج عنها .

بداية الأزمة الكونغولية واسبابها

بدأت قصة الكونغو والازمة التي القت بظلالها على القارة الافريقية كلها وشغلت العالم لاكثر من خمس سنوات فى ٨ يوليو ١٩٦٠ بعد ثمانية ايام من اعلان الاستقلال . وكان ذلك عندما تمرد الجيش الكونغولى بتحريض من ضباطه وكانوا جميعا من البلجيك — ووزع الجيش اسلحته على المدنيين البلجيك فعمت الفوضى فى البلاد وانهار القانون والنظام .

بعد ثلاثة ايام من هذا التمرد اعلن مويس توشمبى حاكم اقليم كاتنجا انفصال الاقليم الذى تتركز فيه معظم ثورات الكونغو . وكان ذلك بتحريض من البلجيك الذين سارعوا بارسال خمسة آلاف جندى الى الكونغو ، رغم اعتراض رئيس الوزراء وحكومته التى أعلنت أن تصرف بلجيكا هذا عدوان على سيادة الكونغو .

واتضحت المؤامرة الاستعمارية التى استهدفت الاستيلاء على المناطق الغنية فى الكونغو وذلك باختلاق بلجيكا للظروف والاسباب التى تبرر عودتها ثانية للسيطرة على مقدرات الكونغو من جديد . وقد جاء ذلك بعد أن كانت قد فشلت خطتها فى السيطرة على الأحزاب الكونغولية حيث استطاع لومومبا ان يكتل عدة أحزاب ويكسبها الى جانبه فحصل على الاغلبية البرلمانية التى تؤهله للحكم . ولم تجد بلجيكا مفرا من اسناد رئاسة الحكومة اليه .

وكان هذا مخالفا تماما لما أرادته بلجيكا ومخالفا لتقديراتها عندما سبق أن سمحت بتكوين الاحزاب فى الكونغو علي أساس قبلى . فقد كانت تتصور حينئذ أن فى استطاعتها — بواسطة المستوطنين البلجيك وامكانياتهم الضخمة — السيطرة على هذه الاحزاب التى ستبقى محصورة فى اتجاهاتها القبلية وانتماءاتها الاقليمية .

ولكن لومومبا الذى كان يدعو الى اقامة حكومة موحدة مركزية على غرار حكومة الرئيس انكروما فى غانا ، حقق بدعوته هذه نجاحا لم يكن يتوقعه البلجيك الذين كانوا يساعدون الزعماء القبليين للابقاء على النفوذ القبلى فى الاقاليم حتى يسهل لهم استمرار السيطرة . ومن المعروف أن بلجيكا طوال حكمها للكونغو لم تقم بأى محاولة جدية لتأهيل الوطنيين

أو تدريبهم لتسلم السلطة أو الاشتراك فيها . ففى يناير سنة ١٩٦٠ عندما تقرر استقلال الكونغو بعد ستة شهور وكان ذلك فى ما عرف باسم مؤتمر المائدة المستديرة ، لم يكن هناك افريقى واحد من الوطنيين يشغل منصبا هاما فى الحكومة المحلية . وكان عدد الوطنيين فى الجهاز الادارى كله ٦٤٠ افريقى جميعهم فى الوظائف الدنيا من ١٠,٠٠٠ اجمالى عدد المشتغلين فى هذا الجهاز . كما لم يكن هناك اعداد تذكر من الافريقيين خريجى الجامعات. ولم يكن هناك وطنيا واحدا برتبة الضابط فى الجيش الكونغولى حيث اقتصرت هذه الرتب على البلجيك وحدهم .

وبناء على حالة الفوضى والنهب والسلب التى سادت العاصمة بعد انهيار الأمن فى البلاد ، طلب لومومبا — فى ١١ يوليو سنة ١٩٦٠ — من الأمم المتحدة ارسال قوة دولية لحفظ القانون والنظام فى الكونغو . وكان يبغى من وراء ذلك وقف التدخل البلجيكى ومنع بلجيكا من العودة للسيطرة من جديد على مقدرات البلاد . وابدى لومومبا رغبته لبعض الدول الافريقية فى ان تشترك فى هذه القوة وكانت مصر من بين هذه الدول .

وكانت القاهرة على صلة قديمة بلومومبا حيث كانت تقدم لحركته بعض المساعدات المادية وذلك منذ عام ١٩٥٨ عندما قابلت لومومبا لأول مرة فى اكرا فى مؤتمر الشعوب الافريقية . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يخرج فيها لومومبا ليلتقى بعدد من الزعماء والساسة الافريقيين الذين حضروا هذا المؤتمر . ونشأت بيننا منذ ذلك الوقت علاقة قوية اساسها من جانب لومومبا انبهاره الشديد بما حققه عبد الناصر لتخليص بلاده من الاحتلال الانجليزى وتأميمه لقناة السويس الأمر الذى يعنى الكثير من الأمل بالنسبة لبلد غنى مثل الكونغو تمتلك الشركات الاوروبية كل ثرواته ، وكذلك لموقف عبد الناصر فى مساندة حركات التحرير الافريقية ومساعداته الفعالة لها . أما من ناحيتنا فقد كنا نعلم أن حزب لومومبا « الحركة الوطنية الكونغولية » Mouvement National Congalese « M.N. C. » هو انسب الحركات والاحزاب الوطنية فى الكونغو لقيادة الحركة الوطنية واكثر هذه الأحزاب وضوحا فى مقاومة الاستعمار البلجيكى . كما كان لومومبا هو الزعيم الكونغولى الوحيد الذى تمتد شعبيته ويتواجد اتباعه خارج نطاقه الاقليمى والقبلى ، بعكس بقية الزعماء الذين كانت تنحصر زعامتهم داخل الحدود القبلية فقط .

وكنت اراسل لومومبا قبل الاستقلال على عنوان صندوق بريد فى برازافيل الخاضعة للاستعمار الفرنسى ويفصلها عن ليوبولدفيل (كينشاسا حاليا) نهر الكونغو ويبدو انه اختار هذا العنوان لأن السلطات البلجيكية

لم تكن لتسمح بمثل هذه الاتصالات أو لأنـــه اراد أن يخفي هذه الصلة عن الادارة البلجيكية .

ومما لا شك فيه أن سرعة تطور الحركة الوطنية فى الكونغو خلال السنتين الاخيرتين قبل الاستقلال كانت مثيرة للدهشة . فقد كان هناك اعتقاد بتخلف الحركة الوطنية هنـــاك عنها فى أى مكان اخر من القـــارة بسبب أسلوب الحكم البلجيكى الذى كان يؤمن بسياسة « ملء البطـــون وقفل العقول » كما كانوا يســـمونها . فقد كانت ثروات الكونغو الهائلة والعائد الكبير الذي يحصل عليه البلجيكيون يسمح لهم بأن يرتفعوا نسبيا بمستوى معيشة الوطنيين الافريقيين الذى يعملون معهم ولكنهم فى نفس الوقت لا يسمحون لهؤلاء الوطنين بأى مشاركة فى الحياة السياسية .

وقد كان الذهن البلجيكى بطيئـــا فى هضـــم فـــكرة التخلص من المستعمرات حتى ان أحـــد البلجيـــك « A. A. J. Von Bilsen » وهـــو استاذ فى معهد انتويرب « Antwerp Overseas » كتب فى عام ١٩٥٥ يدعو الى استقلال الكونغو فى خلال ثلاثين عاما ، وطالب الحكومة البلجيكيـــة بعمل خطة تستهدف تدريب الوطنيين وتأهيلهم للأشتراك فى الحكم قبـــل انتهاء هذه المدة ، فأعتبرت هذه الأفكار ــ وقتها ــ افكارا ثورية هاجمها الكثير من البلجيك .

وقد سبق لشعب الكونغو أن تعرض لابشـــع أنواع الاســـتعمار والاستغلال الذى لم يتعرض له شعب اخر فى افريقيا عنـــدما كان تحت الحكم الشخصى للملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا . ففى خلال ١٥ ســـنة من حكمه قضى هـــذا الملك الذى كان يدعى دائما تحمسه للنزعة الانسانية والذى كان يعتبر أحـــد عمد الكنيسة ــ على حوالى احـــد عشر مليونا من سكان مملكته الافريقية البالغ عددهم وقتئذ ٢٠ مليون نســـمة بحيث لم يبق سوى تسعة ملايين فقط . ولكل هذه الأسباب كان هناك اعتقاد بأن الحركة الوطنية فى الكونغو متخلفة جـــدا وأن ــ الكونغو سيكون من أواخر الدول الافريقية فى الحصول على استقلاله .

ولكن رياح التغيير كانت قد هبت على أفريقيا وحدث من الأحـــداث ما هز الوجـــدان الأفريقى والهب الشـــعور الوطنى فى القـــارة . ففشل العـــدوان الثلاثى على مصر عـــام ١٩٥٦ وخروج عبد الناصر منتصرا ، والتقدم المستمر فى ثورة الجزائر ثم استقلال غانا وغينيا ووقوف انكروما

وسيكوتورى بجانب عبد الناصر فى تأييد حركات التحرير الافريقية واعلان وحدة النضال ضد الاستعمار والامبريالية . غير ذلك كله من ايقاع مسيرة التحرير فى القارة الافريقية وامتد التأثير الى أعماق الكونغو .

ولاشك أيضا أن الحركة الوطنية فى الكونغو قد تأثرت بشكل مباشر بالتطور الذى حدث فى الكونغو الفرنسى وفى المستعمرات الفرنسية الاخرى المتاخمة للكونغو التى كانت قد حصلت على الحكم الذاتى . ثم جاء اعلان ديجول لسياسته الجديدة فى المستعمرات الفرنسية ودستوره الجديد الذى اعطى هذه المستعمرات حق الاختيار بين الاستقلال التام أو الدخول فى الرابطة الفرنسية ، وجاءت فى أعقاب هذا الاعلان زيارة ديجول الى برازافيل (عاصمة الكونغو الفرنسى) والتى لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغو . حدث هذا فى عام ١٩٥٨ ، وكانت له اثاره فى الهاب الشعور الوطنى فى الكونغو البلجيكى حيث ادرك الوطنيون مدى تعنت الحكم البلجيكى بمقارنته بموقف ديجول المتطور .

وبعد أن حضر لومومبا مؤتمر الشعوب الافريقية الذى عقد فى أكرا عام ١٩٥٨ والتقى بالثوار الأفارقة من كل انحاء القارة ، عاد الى بلاده ليعلن التزامه بقرارات المؤتمر الذى كان قد قرر تصفية الاستعمار من افريقية بصفة نهائية . وطالب لومومبا بالاستقلال الفورى للكونغو استنادا الى هذه القرارات . واستجاب الشعب الكونغولى الى نداء لومومبا بالاستقلال استجابة واسعة وبطريقة لم تكن متوقعة . وحاولت السلطات البلجيكية قمع الحركة الوطنية بالعنف والقوة التى عرفت بها ، الا ان الأمر كان قد خرج من يدها تماما ، واضطرت بلجيكا الى الدخول فى محادثات المائدة المستديرة مع الزعماء الكونغوليين كما اضطرت الى تحديد تاريخ لاستقلال الكونغو (بعد ستة شهور فقط) . وأعلن هذا التاريخ تحت الضغط المتعاظم للحركة الوطنية دون أن تكون السلطات البلجيكية قد استعدت استعداد حقيقيا لمثل هذه الخطوة .

جمال عبد الناصر يرسل قوات مصرية الى الكونغو :

بناء على طلب لومومبا قوات من الأمم المتحدة اجتمع داج همرشولد السكرتير العام للمنظمة الدولية بمندوبى الدول الافريقية فى الأمم المتحدة طالبا مساهمة هذه الدول فى القوة اللازمة لحفظ الأمن والنظام فى الكونغو . وكان الاتجاه فى بادىء الأمر الى قصر تشكيل هذه القوة على الدول الأفريقية وحدها .

ووصل عبد الناصر طلب الامم المتحدة كما كانت قد وصلته رغبة لومومبا فى أن تشترك مصر فى القوة التى سترسلها المنظمة الدولية الى الكونغو . ولم يتردد عبد الناصر فى الموافقة على هذا الطلب ، واشتركت مصر بالفعل بقوة قوامها كتيبة من قوات المظليين بقيادة العقيد سعد الشاذلى (الفريق رئيس الأركان بعد ذلك) ووضعت تحت القيادة العسكرية للأمم المتحدة فى الكونغو .

وقد جاءت موافقة عبد الناصر السريعة على هذا القرار لأسباب عديدة اهمها :

اولا : كانت هذه هى المرة الأولى التى يلجأ فيها زعيم افريقى الى الدول الافريقية الأخرى لحماية استقلال بلاده والحفاظ على وحدة اراضيها ، ورغم أن ذلك كان عن طريق الأمم المتحدة فان تخلى الدول الافريقية وخاصة مصر عن تلبية رغبة لومومبا كان يعتبر فى رأى عبد الناصر تجريدا للوحدة الافريقية من مضمونها الايجابى .

ثانيا : كان عبد الناصر يدرك تمام الادراك أن معركته ضد الاستعمار والامبريالية ليست باى حال من الأحوال معركة محلية وانما هى معركة ممتدة الى اعماق القارة الافريقية كما هى ممتدة على طول الوطن العربى والى كل مكان يقاوم الاستعمار والسيطرة الأجنبية . وقد كان هذا خطا رئيسيا فى فكر عبد الناصر ، كما كانت المواجهة الجريئة لقوى الامبريالية والاستعمار الجدية منهجا ثابتا فى سياسته باعتبار ان هذه القوى تشكل الخطر الاكبر الذى يهدد البلاد المستقلة حديثا .

ثالثا : اهمية الموقع الجغرافى فى الكونغو بالنسبة لمصر . فتأمين منابع النيل هدف من اهداف الاستراتيجية المصرية تضمنته سياسة حكام مصر منذ عرف التاريخ ومنذ عرفت عبارة هيرودوت الشهير « مصر هبة النيل » فقد كان عبد الناصر يعرف جيدا ان تأمين منابع النيل لا يتأتى الا باستقلال الدول المشتركة معنا فى نهر النيل وتخليصها من السيطرة الاستعمارية حتى نستطيع أن نقيم معها علاقات الصداقة وحسن الجوار .

رابعا : متاخمة الكونغو لجنوب السودان تجعل له اهمية خاصة . فمشكلة الجنوب فى السودان والمحاولات المستمرة للانفصال كان يغذيها الوجود الاستعمارى فى المناطق المحيطة به . وكان حل هذه المشكلة مرهون بوقف النشاط المعادى للسودان فى الدول المتاخمة .

ولم يمض وقت طويل على وصول قوات الامم المتحـدة الى الكونغو حتى ظهر خلاف شديد بين لومومبا وبين قيادة هذه القوات . وارسل لومومبا الى همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة فى ١٤ اغسطس ١٩٦٠ يتهمه باستخدام القوات الدولية للتاثير فى الصراع الدائر بين كاتنجا والحكومة المركزية ، وان قيادة الامم المتحدة فى الكونغو لم تأخذ راى الحكومـة فى احلال قوات اوروبية محل بعض القوات الافريقية التابعة للامم المتحدة ، وانها بتصرفها هذا تحاول ان تجعل نفسها صاحبة السلطة الشرعيـة فى البلاد ، كما هاجم لومومبا السكرتير العام علنا متهما اياه بأنه ينفذ سياسة الدول الاستعمارية .

وكان هـذا الخلاف مثيرا لقلق عبد الناصر . فهو خلاف بين قيـادة الامم المتحدة التى تتبعها القوة المصريـة فى الكونغو والتى تتلقى الأوامر منها وبين لومومبا الذى ذهبت هذه القـوات من أجله وبنـاء على طلبه . وزاد قلق عبد الناصر عنـدما اصبح واضحا ان لومومبا يريـد المسـاعدة العسكرية من الدول الافريقية ولكن بصفة مباشرة هذه المرة وخارج نطاق الامم المتحـدة .

واتجه لومومبا الى الدول الافريقية طالبا عقد مؤتمر قمة افريقى بصفة عاجلة فى ليوبولدفيل . وبناء على هـذا الطلب تقرر عقد مؤتمر تحضيرى من وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة فى المدة من ٢٥ ـــ ٣١ اغسطس ١٩٦٠ فى ليوبولدفيل للتمهيد لمؤتمر القمة .

مهمة خاصة لمقابلة لومومبا :

فى مساء يوم ٢٢ اغسطس ١٩٦٠ استدعيت لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان وقتئذ فى الاسكندرية ، وبعد بحث شامل للموقف فى الكونغو كلفنى عبد الناصر بالسفر الى ليوبولدفيل عاصمة الكونغو لمقابلة الرئيس لومومبا وحملنى رسالة الى لومومبا الذى كنت على صلة سابقة به ، كما سبق ان اوضحت ، ولم تكن القاهرة قد اقامت تمثيلها الدبلوماسى فى الكونغو حتى ذلك الوقت .

وقد وجدت جمال عبد الناصر فى قلق شديد على الأوضاع فى الكونغو . فلم يكن سعيدا بتطور العلاقة بين لومومبا والسكرتير العام للأمم المتحـدة وكان يرى ان ارسال قـوات عسكرية افريقية الى الكونغو خارج نطاق الأمم المتحـدة كما يريد لومومبا سوف يعطى الفرصـة لعودة القـوات البلجيكية والتدخل السافر من جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

وبسبب الخلاف الذى نشأ بين القيادة العسكرية للأمم المتحدة فى الكونغو وبين لومومبا لم يعد عبد الناصر مطمئنا حتى للقوات الافريقية الموجودة هناك والتى مازال معظمها يحتفظ بالقيادة العسكرية الاوروبيين . فغانا على سبيل المثال التى كانت أكثر الدول تحمسا فى تأييد لومومبا — كانت قوتها الموجودة فى الكونغو تضم قادة انجليز من الذين كانوا فى جيش غانا قبل الاستقلال .

وكان عبد الناصر يعتقد ان اجتماع مؤتمر القمة الافريقى فى ليوبولدفيل بسرعة وعلى الوجه الذى يريده لومومبا سوف يسفر عن انقسامات خطيرة بين صفوف الافريقيين ولن يستفيد منه لومومبا ، بل انه قد يشل حركته السياسية لأن مواجهة خطيرة قد بدأت بين لومومبا وقوى الاستعمار والامبريالية وهناك دول افريقية لن تستطيع أن تقف فى وصف لومومبا وكان عبد الناصر يرى انه بدلا من الاعتماد على مؤتمر القمة الأفريقى يستطيع لومومبا الاعتماد فى حركته السياسية على مجموعة من الدول الافريقية الثورية مثل غانا ومالى وغينيا ومصر .

وكان واضحا ان مشكلة الكونغو أصبحت تشغل حيزا كبيرا من تفكير جمال عبد الناصر بعد ان تواجدت لنا قوات عسكرية فى الكونغو ومطلوب تأمين سلامتها وضمان عدم استخدامها أو تكليفها بواجبات تتنافى مع الأهداف التى ارسلت من اجلها وهى مساندة القوى الوطنية بزعامة باترس لومومبا المحافظة على استقلال الكونغو ووحدة أراضيه .

كان عبد الناصر مدركا لأبعاد هذه المشكلة فى ذلك الوقت المبكر . وأذكر انه قال يوما أن لومومبا سوف يواجه معركة شرسة وسيحاول الاستعمار أن يجعل من حكومته أمثولة بقصد إرهاب الدول الافريقية التى استقلت والتى يريدون لها أن تكتفى بعلم ونشيد الاستقلال وأن تعرف انه غير مسموح لها أن تفكر فيما هو أبعد من ذلك .

وكان عبد الناصر محقا فى قوله . فقد كان عدد الدول التى استقلت فى هذا العام (١٩٦٠) ثمانية عشرة دولة معظمها من الدول التى كانت تحتلها فرنسا ، وقد وضع هذا التطور الفجائى افريقيا كلها فى وضع ومزاج يشجعها على التحرك نحو مزيد من التحرر . وتنشطت بالفعل حركات التحرر فى المستعمرات الافريقية وارتفع صوتها . وأصبح هناك اعتقاد بأن كل شئ بات ممكنا أمام القوى الوطنية ، وأن الاستعمار فى طريقه الى الزوال تماما .

وكان الكونغو بثرواته الضخمة معقلا للاحتكارات الاستعمارية الامبريالية ونموذجا لتشابك المصالح ورؤوس الأموال الاوروبية والامريكية .

وكان ضرب الحركة الوطنية فى الكونغو معناه تغيير الوضع والمزاج الذى وضعت فيه أفريقيا ليتناسب من جديد مع المصالح الاستعمارية والامبريالية التى تريد بقاء قبضتها وسيطرتها على مقدرات أفريقيا وان كانت لا تمانع فى رفع أعلام الاستقلال .

وكلفنى عبد الناصر أن أنقل مخاوفه هذه الى لومومبا وأن أتعرف على وجهة نظره مع ابلاغه ان القاهرة تقف معه بكل ما تستطيع كما كلفنى بأن أبحث معه ما يمكن أن نقدمه له من مساعدة .

ولم ينس عبد الناصر أن يطلب ابلاغ لومومبا بأن القاهرة ترحب بأولاده وعائلته فى أى وقت يراه وانهم سيكونون تحت رعايته شخصيا . فقد كان عبد الناصر مدركا للخطر الذى تتعرض له حياة لومومبا وأراد بهذه الدعوة أن يحرر لومومبا من عبء القلق على مصير عائلته . وقد حضر أولاد لومومبا وزوجته بالفعل الى القاهرة ولكن بعد فترة وبعد أن ساءت الاحوال حتى اننا اضطررنا الى تهريبهم بواسطة السفارة المصرية فى ليوبولدفيل وبصحبة أحد الدبلوماسيين المصريين (المرحوم عبد العزيز اسحق) وبجوازات سفر مصرية على انهم أبناء هذا الدبلوماسى . وادخل أولاد لومومبا المدارس المصرية واستمروا تحت رعاية جمال عبد الناصر وعلى صلة مستمرة بعائلته .

وصلت مطار ليوبولدفيل على طائرة خاصة صباح يوم ٢٧ أغسطس وكان على نفس الطائرة السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت والذى جاء لاعداد كل ما يتعلق بالشؤون الادارية الخاصة بزيارة عبد الناصر الى ليوبولدفيل فى حالة اصرار لومومبا على عقد مؤتمر القمة الذى كان قد دعى اليه .

واتضح لنا بمجرد الوصول أن الحكومة الكونغولية لا سيطرة لها على المطار . فكانت هناك قوات تابعة للأمم المتحدة تعسكر داخل المطار ولكنها لا تتدخل فى حركة الطائرات ولا حركة المسافرين من والى المطار . والى أن أصبحنا خارج ليوبولدفيل لم نقابل مسؤولا واحدا يسأل عن جوازات السفر أو اجراءات الجمارك أو غيرها من الاجراءات التى يقابلها أى مسافر عند الوصول الى مطار من المطارات الدولية .

كان الشعور بمجرد أن وطئت أقدامنا مطار ليوبولدفيل ان هناك حالة من الفوضى ، لدرجة أن قائد الطائرة وطاقمها اضطروا للبقاء فى المطار لحراسة الطائرة لحين انتهاء مأموريتنا ونقلع عائدين ، وافترشوا الارض تحت ظل جناح الطائرة احتماء من حرارة الشمس المحرقة .

وهكذا كان حال الكونغو كله ، حالة من الفوضى ، فالأجهزة الادارية والفنية ما زال يرأسها ويتحكم فيها الاداريون والفنيون البلجيك وهـم لا يتعاونون مع السلطة الشرعية . والوطنيون تسلموا الحكم ولكن الخيوط اللازمة لتشغيل دقة الامور لم توضع في أيديهم ، وهكذا أراد البلجيكيون للبلاد أن تصل الى حالة من الشلل والفوضى .

استقبلنى لومومبا فى مكتبه بمبنى رئاسة الوزراء بعد فترة وجيزة من الوصول الى ليوبولدفيل ، وكان يصحبنى السيد عبد المجيد فريد . وأبلغت لومومبا برسالة جمال عبد الناصر ثم بحثت معه النقاط التى كلفت بها . وقد بدت على ملامحه السعادة والارتياح لاهتمام عبد الناصر بقضيته وتأييده له . وتكلم لومومبا كثيرا عن الوحدة الافريقية بمناسبة المؤتمر الذى كان مقررا عقده فى ليوبولدفيل وأوضح أن هذه الوحدة تعنى لديه أول ما تعنى وحدة النضال من أجل تخليص أفريقيا من السيطرة الاجنبية .

وتعرض لومومبا للمشاكل الرئيسية التى يعانى منها الكونغو . فشرح حالة الخراب التى ترك فيها البلجيك خزينة الدولة وعمليات النهب التى تمت فى الشهور القليلة التى سبقت الاستقلال ، وكيف سحب البلجيك الاطباء والمعلمين حتى يظهر عجز الحكومة الوطنية فى الوقت الذى يتصور فيه كل مواطن كونغولى ان الاستقلال يعنى أن تتحسن حالته ومستواه المعيشى فـوراً .

وشرح لومومبا موقف الامم المتحدة وخلافه مع السكرتير العام وقيادة قوات الامم المتحدة التى احتلت المطارات دون أن يطلب منها ذلك . ثم انها تغير القوات الافريقية التى يطمئن اليها والموجودة فى بعض المناطق الحيوية وتضع بدلا منها قوات أوروبية لا يثق فيها . وقال لومومبا ان ذلك كله يتم دون علمه أو استئذانه . وقال انه أصبح متأكدا من أن الامم المتحدة تعمل فى مخطط يبغى ابقاء السيطرة البلجيكية على بلاده ، وانها لا تريد المساعدة الحقيقية فى انهاء الانفصال فى اقليم كاتنجا ، وهاجم لومومبا السكرتير العام للأمم المتحدة هجوما عنيفا أدركت معه أن العلاقة بينهما قـد وصلت بالفعل الي نقطة اللاعودة .

وقال لومومبا انه لا يواجه الاستعمار والامم المتحدة فقط ولكن هناك شخصيات كونغولية رسمية تعمل لحساب الاستعمار وأمريكا بالاتفاق مـع قيادة الامم المتحدة ، وان هذا هو أخطر ما يواجهه فى الوقت الحالى .

ورغم أن لومومبا لم يفصح عن أسماء هذه الشخصيات الا انني كنت اعلم أنه يقصد كازافوبو رئيس الجمهورية . فقد كان الخلاف قد احتدم بينهما . فهدف كازافوبو البعيد هو اقامة حكومة اقليمية فى « باكونجو » منطقة نفوذه . وهو لذلك يرتاح لوجود الاتجاهات الانفصالية فى الكونغو وكان يدرك فى قرارة نفسه أن نجاح تشومبى فى الانفصال بكاتنجا يمكنه من تحقيق هذا الهدف .

وكان هذا الخلاف بين لومومبا وكازافوبو — يعيد الى الاذهان الخلاف القديم الذى كان قائما بين الزعيمين قبل الاستقلال مباشرة . فقد كان كازافوبو يطالب باقامة حكومة فيدرالية على غرار حكومة نيجيريا تسمح للاقاليم بالتمتع بالحكم الذاتى . وكان ذلك يتمشى مع عقليته وطبيعته القبلية وهو أيضا ما كان يريده البلجيك . أما لومومبا فكان يريد دولة موحدة وحكومة على غرار حكومة الرئيس انكروما فى غانا ، وهذا ما استطاع ان يحققه لومومبا بالفعل عند الاستقلال ، وهو أيضا ما كانت تقاومه بلجيكا .

ورغم أن كازافوبو وقف مع لومومبا فى بداية الازمة عندما قطعت حكومة لومومبا علاقاتها مع بلجيكا والغت معاهدة الصداقة التى كان قد اتفق عليها وعقدت قبل الاستقلال مباشرة ، نجد تحولا واضحا فى موقفه هذا بعد وصول قوات الامم المتحدة وتأييدها له . وتحالف كازافوبو من جديد مع المصالح البلجيكية والامريكية التى وجدت فيه أداتها للقضاء على لومومبا وافكاره الثورية .

أما لومومبا فقد كان شخصية مختلفة تماما عن كازافوبو ، فهو عنيد الى أبعد الحدود ، لا يقبل الحلول الوسط . وكان لومومبا يطالب منذ عام ١٩٥٩ بنظام اقتصادى سليم لا يسمح بالاستغلال ، فاتهمه البلجيك بالشيوعية . كما كان دائب التصريح بضرورة التخلص من كل سيطرة أجنبية بما فيها الارساليات التبشيرية التى كان يطالب بضرورة ابعادها عن ميدان التعليم .

ومن مواقف لومومبا المعروفة خطابه الشهير عندما وقف يرد على ملك بلجيكا الذى كان قد القى كلمة بمناسبة الاحتفال باستقلال الكونغو فى ليوبولدفيل ذكر فيها الاصلاحات التى قامت بها بلجيكا فى الكونغو ، فرد عليه لومومبا مشيرا بكل وضوح الى ما فعلته بلجيكا بالكونغو والكونغوليين من قتل وتعذيب وسخرة وظلم جاوز كل الحدود،وكانت هذه الكلمات بالنسبة لبلجيكا تجاسرا لا يغتفر .

كان هذا هو لومومبا . يريد كل شيء للكونغو ويطالب به فى جراة وعناد وشجاعة نادرة ، ولكنه للاسف لم يكن على دراية كافية بالاعيب الاستعمار ودسائسه .

كان هذان الزعيمان ، كازافوبو وباتريس لومومبا ، نموذجين مختلفين ولكنهما صورتان متكررتان للزعامات التى وجدت فى افريقيا فى ذلك الوقت . كازافوبو يمثل هؤلاء الذين اختاروا الطريق السهل واكتفوا باعلام الاستقلال وللاسف كان هذا هو النموذج الاكثر تكرارا . أما النموذج الآخر من أمثال لومومبا فقد كان قليلا نادرا فى ذلك الوقت ، كان عبد النـاصر وسـكوتورى وانكروما كل من هؤلاء واجه ظروفا صعبة ، وكلهم يقاومـون السيطـرة الاجنبية بكل أشكالها فى اصرار عظيم حتى اثاروا حفيظة الاستعمار وتكتلت ضدهم قوى الامبريالية . ولكن هذه النماذج على قلتها كانت قادرة على تعبئة الجماهير وراءها ، ليس فى بلادها فقط ، وانما فى القارة كلها لانها كانت تعبر عن أمانى الشعوب الافريقية واستطاعت أن تعكس نبضـها الحقيـقى ، فالهبت المشاعر الوطنية واشعلت روح المقاومة فى القارة كلها ، ولكنها لهذا السبب أيضا تعرضت لكثير من المخاطر والمؤامرات .

وأعود مرة ثانية لمقابلتى مع لومومبا ، فقـد خرجت بانطباع جديد عن مدى الخطورة التى يتعرض لها لومومبا ، وخاصة لعبة الشرعية التى يحاول الاستعمار لعبتها للتخلص من زعيم الاغلبية وذلك باستخدام كازافوبو رئيس الجمهورية بدلا من استخدام القوة المباشرة .

وكان تطور الاحداث يؤكد خطورة الدور الذى يمكن أن تلعبه القوات التابعة للامم المتحدة اذا استمر السكرتير العام فى موقفه المعادى للومومبا . وكان هذا ما نقلته لجمال عبد الناصر عند عودتى الى القاهرة وأبديت تخوفا من أن تستغل قواتنا الموجودة هناك والتابعة للامم المتحدة فى غير ما ذهبت من اجله هذه القوات .

وفى هذه المقابلة أيضا طلب لومومبا مبلغا محددا (عشرين الف جنيه استرلينى) بصفة عاجلة كسلفة لحزبه «حزب الحركة الوطنية الكونغولية» « M. N. C. » حيث كانت الظروف تحتاج الى تحريك بعض انصاره الى مناطق معينة لمواجهة التكتلات الاخرى ، وضرورة توافـر المال اللازم لاعاشتهم والانفاق عليهم ، وقد ارسل عبد الناصر هذا المبلغ الى لومومبا بعد أيام قليلة مع السفير مراد غالب أول سفير لمصر فى الكونغو .

وطلب لومومبا أيضا أن تمده مصر ببعض الخبراء والفنيين ـــ الذين تم ارسالهم الى الكونغو فورا ـــ وأخيرا أبلغنى لومومبا انه لن يدعو الى مؤتمر قمة افريقى فى ليوبولدفيل الا اذا جاءت نتائج مؤتمر وزراء الخارجية مشجعة .

وقد تم خلال هذه الرحلة اقامة اتصال لاسلكى مباشر بين ليوبولدفيل والقاهرة بواسطة جهاز وصل معنا على نفس الطائرة . منذ ذلك الوقت بدأت العلاقة بين القاهرة وقوى التحرير الوطنى فى الكونغو بزعامة لومومبا تدخل مرحلة جديدة من الدعم والتأييد زادت بعد وصول السفير المصرى مراد غالب . واستمرت هذه العلاقة بعد مقتل لومومبا ، وظلت القاهرة لفترة طويلة هى السند الرئيسى للثورة الكونغولية ونافذتها على العالم الخارجى .

مقتل لومومبا واندلاع الثورة :

عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية الذى دعى اليه لومومبا فى ليوبولدفيل فى المدة من ٢٥ ـــ ٣١ اغسطس سنة ١٩٦٠ بقصد التحضير لمؤتمر قمة افريقى ليحث مشكلة الكونغو ، وقد تحققت مخاوف عبد الناصر . فقد ظهر الانقسام بين الدول الافريقية قبل أن تبدأ جلسات المؤتمر حيث لم يحضر هذا الاجتماع سوى ١٤ وفدا فقط من بينهم الحكومة المؤقتة للجزائر ، وتغيبت معظم الدول الافريقية التى كانت تستعمرها فرنسا (حضرت منها الكاميرون وتوجو فقط) .

وكان معنى ذلك أن هذه الدول التى لم تحضر المؤتمر لا تؤيد لومومبا .

ومن بين الحاضرين كان هناك مجموعة ثورية من بينها مصر تعتبر مشكلة الكونغو مشكلة افريقيا كلها ، وان ما حدث فى الكونغو يمكن أن يتكرر فى أى دولة من دول القارة ، ولذلك كانت هذه الدول مستعدة لتحمل نصيبها فى هذه المعركة باعتبارها معركة بين قوى التحرير من جانب وبين الاستعمار والامبريالية من جانب آخر ، كما كان فى المؤتمر مجموعة دول أخرى وان كانت تتعاطف مع لومومبا وتؤيد وحدة أراضى الكونغو ، الا انها كانت لا تريد أن تزج بنفسها فى هذا الصراع .

ورغم أن قرارات المؤتمر النهائية كانت مؤيدة للحكومة المركزية فى الكونغو وادانت الحركة الانفصالية فى كاتنجا ادانة صريحة ، الا ان هذا

المؤتمر كان مخيبا لرجاء لومومبا . أولا لان تغيب الاغلبية العددية للدول الافريقية قد حال دون تحقيق الهدف الرئيسى من الاجتماع وهو الضغط على الامم المتحدة والسكرتير العام لتغيير سياسته فى الكونغو . وعلى العكس من ذلك فان النتيجة ربما تكون قد شجعت الامم المتحدة على التمادى فى مخططها والوقوف بشكل سافر بجانب كازافوبو رئيس الجمهورية . وثانيا لانه اتضح جليا للومومبا انه لا يستطيع الحصول على المساعدة العسكرية المباشرة من الدول الافريقية حيث لم تجد الفكرة الحماس الكافى حتى بين الدول التى حضرت المؤتمر .

ورغم أن وزراء الخارجية أوصوا بعقد مؤتمر قمة للدول الافريقية قبل دورة الامم المتحدة التى تبدأ فى سبتمبر ، الا أن لومومبا كان قد اقتنع بعدم جدوى ذلك وصرف النظر عن هذه الفكرة .

وبعد أيام من انتهاء وزراء الخارجية من مؤتمرهم الذى عقد فى ليوبولدفيل فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٠ على وجه التحديد — فوجىء العالم بقرار من كازافوبو رئيس الجمهورية يعزل فيه باتريس لومومبا رئيس الوزراء ويكلف ايليو رئيس مجلس الشيوخ بتأليف الوزارة .

ويبدو أن كازافوبو فى قراره هذا كان معتمدا على تأييد موبوتو قائد الجيش وحاميته الموجودة فى ليوبولدفيل ، كما كان كازافوبو يعلم أيضا أن القيادة العسكرية التابعة للأمم المتحدة فى الكونغو والتى كانت قواتها تحتل المطارات ودار الاذاعة الكونغولية سوف ترتاح لهذا القرار .

وقد رفض لومومبا زعيم الاغلبية البرلمانية هذا القرار واعتبره غير دستورى ، وأقر البرلمان وجهة نظر لومومبا فى رفض هذا القرار . ولكن الكولونيل موبوتو قائد الجيش (رئيس الجمهورية بعد ذلك) أعلن استيلاءه على السلطة وحل البرلمان وأعلن انه انهى الخلاف القائم بين كازافوبو ولومومبا بطرد كليهما .

ثم سرعان ما وجدنا كازافوبو يعود من جديد ولكن فى انسجام وتعاون كامل مع موبوتو ، كما وجدنا الامم المتحدة تتعامل مع كازافوبو وكأنها اعترفت بهذا الوضع الجديد رغم اعتراض لومومبا الذى استمر فى موقعه مصرا على الاحتفاظ بالرئاسة للحكومة الشرعية .

واصبح فى الكونغو سلطتان تدعى كل منهما الشرعية ، هذا بالاضافة

الى السلطة العسكرية بقيادة موبوتو ، وسرعان ما انتقل هذا الانقسام من الكونغو الى الدول الافريقية نفسها عندما أرسل كل من كازافوبو ولومومبا وفدا يمثل الكونغو الى الامم المتحدة . فقد انقسمت الدول الافريقية هناك الى مجموعتين الاولى ومنها مصر والدول الثورية تؤيد وفد لومومبا وتعتبره الوفد الشرعى والثانية ومعظمها من الدول الناطقة بالفرنسية وتؤيد وفد كازافوبو .

واخيرا جاء قرار الامم المتحدة باعتبار الوفد الاخير ـ وفد كازافوبو هو الوفد الرسمى والممثل المعترف به لدولة الكونغو ليوبولدفيل . واصبح هناك وضعا غريبا ، فقد صوتت معظم الدول الافريقية التى لها قوات فى الكونغو ومنها مصر ضد هذا القرار ولصالح وفد لومومبا . وكان معنى ذلك أن قوات هذه الدول موجودة فى الكونغو لمساندة سلطة لا تعترف بها . أصبحت هذه القوات معرضة لان تقوم بتنفيذ سياسة تتعارض مع سياسة دولها وكان ذلك بطبيعة الحال مصدر قلق شديد لهذه الدول ، ومن هنا جاءت دعوة الملك محمد الخامس ملك المغرب لعقد مؤتمر يحضره رؤساء الدول الافريقية التى تؤيد لومومبا وذلك لبحث موضوع الكونغو بصفة اساسية .

وعقد مؤتمر الدار البيضاء فى المدة من ٣ ـ ٧ يناير سنة ١٩٦١ وحضره الرئيس جمال عبد الناصر ، والملك محمد الخامس والرئيس الغانى كوامى انكروما والرئيس الغينى أحمد سيكوتورى ، والرئيس المالى موديبوكيتا ، ورئيس حكومة الجزائر المؤقتة ، ووزير خارجية ليبيا ، كما أرسلت سيلان مراقبا . وقد أسفر هذا الاجتماع عن قيام تكتل سياسى أفريقى جديد حيث وقع ميثاق منظمة الدار البيضاء وعرفت مجموعة هذه الدول بعد ذلك باسم مجموعة الدول الثورية . أو دول الدار البيضاء .

وكان أهم ما أثار الجدل فى هذا المؤتمر هو موضوع بقاء قوات هذه الدول فى القوة العسكرية التابعة للامم المتحدة فى الكونغو . فقد كانت كل من مالى وغينيا قد سحبت قواتها بالفعل بعد أن اتضح موقف الامم المتحدة من معاداة لومومبا . ولكن انكروما كان متحمسا لبقاء هذه القوات وعدم سحبها حتى لا يترك المجال خاليا أمام أعداء لومومبا .

وفى الحقيقة كان عبد الناصر يميل فى ذلك الوقت الى سحب القوات وخاصة أن شكوكه فى القادة العسكريين لبعض هذه القوات كانت قد تأكدت . فالجنرال كتانى Kattani القائد المغربى كان مستشارا

عسكريا لموبوتو قائد الجيش الذى أيد كازافوبو عندما عـزل لومومبا . واتضح بعد ذلك أن هذا القائد كان على صلة مريبة بجهات أمريكية وبلجيكية ، وأثيرت كثير من الشكوك حول تواطؤه مع هـذه الدول رغم سياسة المغرب الواضحة والتى كانت فى ذلك الوقت تقف مع لومومبا . ورغم ذلك فقد وافق عبد الناصر على البقاء للقوات بعض الوقت وذلك تحت الحاح انكروما . وكان ذلك ما اتفق عليه الرؤساء ولكنهم اعلنوا فى قـرارات المؤتمر عن نيـة الـدول المجتمعة فى سحب قواتها الموضوعة تحت قيادة الامم المتحدة فى الكونغو ، الا اذا عدلت الامم المتحدة سياستها وقامت فورا بتأييد الحكومة المركزية فى سحب الاسلحة من جيش موبوتو وتمكين البرلمان الكونغولى من العودة للاجتماع .

واستمر الصراع بين كازافوبو ولومومبا ، الاول تؤيده الامم المتحـدة والجيش بقيادة موبوتو كما يؤيده البلجيك والاوروبيون الذين يسيطـرون سيطرة فعلية على الجهاز الادارى ، أما لومومبا فقد أصبـح وضعـه فى ليوبولدفيل غريبا هو وحكومته بعد أن فقد كل الخيوط التى يستطيـع بها تصريف الامور داخل عاصمته ولكنه كان فى نفس الوقت يتمتع بنفوذ قوى فى استانلى فيل التى انتقلت اليها اعداد كبيرة من أنصاره وكان هذا النفوذ هو مصدر قوته الذى يعتمد عليه أساسا .

وانقسمت السفـارات فى ليوبولدفيل ، بعضهـا يعترف بكازافوبـو والبعض الآخر يعترف بلومومبا ، ومن بين هـذه المجموعـة الاخيرة دول الدار البيضاء بطبيعة الحال ، والتى كان سفراءها على صـلة مستمـرة ببعضهم البعض ويقومون بتقديم المشورة والعـون للومومبا وحكومته .

وكان لومومبا قد طلب من القاهرة مستشارين عسكريين ، فبعثنـا اليه اثنين من الضباط الاركان حرب هما العميد أحمد اسماعيـل (المشير ووزير الحربية بعد ذلك) والمقدم ممدوح جبه (السفير بعد ذلك) ولكنهمـا الحقا على السفارة المصرية فى ليوبولدفيل .

وكانت الاوامر لدى القوة المصرية التابعة للامم المتحدة فى الكونغو هى تنفيذ تعليمات القيادة العسكرية للامم المتحـدة الا فيما يضر بموقف لومومبا حيث كانت مصر على استعداد لسحب قواتها فورا اذا شعـرت بأن قواتها ستستخدم ضد لومومبا بأى شكل . وكان وجود المستشارين العسكريين فى ليوبولدفيل وعلى صلة بلومومبا وبقواتنا فى الكونغو فى نفس الوقت هو الضمان لتنفيذ هذه التعليمات . ولم يحدث أن كلفت قواتنا بأى

شيء يثير الشكوك ، ولكن الأمم المتحدة أيضا كانت حريصة على ان تضع القوات المصرية فى أماكن وتكليفها بمهام لا تستطيع من خلالها تقديم اى عون مباشر للومومبا .

اما موقف الأمم المتحدة بصفة عامة فقد أستمر معاديا للومومبا ومتعاطفا مع كازافوبو . فعلى سبيل المثال احتلت الأمم المتحدة الاذاعة الكونغولية (بواسطة قوات اوروبية) وحرمت كلا الطرفين لومومبا وكازافوبو واعوانهما من استخدام هذه الاذاعة ، حدث ذلك فى الوقت الذى كانت الأمم المتحدة تعلم جيدا ان كازافوبو يستخدم اذاعة برازافيل التى لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغو . وعلى ذلك فقد كان هذا الاجراء موجها ضد لومومبا وحده الذى حرمته الأمم المتحدة من وسيلة الاتصال السريع بالجماهير من خلال الاذاعة فى الوقت الذى لم تتأثر فيه مصالح كازافوبو . وحدث أيضا أن احتلت قوات الأمم المتحدة المطارات ومداخل ومخارج المدينة وقطعت الاتصال بين العاصمة والأقاليم فعزلت لومومبا عن منطقة نفوذه وعن أعوانه الموجود غالبيتهم خارج العاصمة فتركت لومومبا وحيدا فى العاصمة فى الوقت الذى بقى فيه كازافوبو بين مؤيديه فى داخل العاصمة .

واخيرا وجد لومومبا أن بقاءه فى ليوبولدفيل أصبح مستحيلا فأراد الانتقال الى استانلى فيل حيث يوجد أنصاره وحيث يستطيع أن يجد حرية العمل . وكان عليه ان يخترق الحصار الذى فرضته عليه قوات كازافوبو ، ولكن كازافوبو تمكن من القبض على لومومبا فى ١٧ يناير سنة ١٩٦١ وهو يحاول الهرب الى استانلى فيل وكان ذلك بواسطة قوات موبوتو . ثم أمر كازافوبو بتسليم الزعيم لومومبا الى أعدائه مويس تشومبى قائد الانفصال فى كاتنجا . وقام تشومبى بقتل لومومبا على الفور ثم أدعى انه هرب من سجنه .

وبعد فترة قصيرة أصدر تشومبى بيانا سخيفا لم يصدقه أحد . فقد أعلن أن القرويين الغاضبين على لومومبا قد هاجموه واردوه قتيلا . وتصور كازافوبو وتصور تشومبى معه انهما بذلك قد تخلصا من مشكلة الشرعية التى كان ـــ يستند اليها لومومبا وان الأمر قد أستتب لهما ان هما اتفقا .

ولكن الأمر سار على غير هواهما ، فقد تمكن عدد من وزراء لومومبا ومعاونيه من الوصول الى ستانلى فيل . وبدأ جيزنجا نائب رئيس الوزراء وأحد المخلصين للومومبا فى تنظيم اللومومبيين وتنظيم المقاومة فى أنحاء كثيرة من الكونغو . وظهرت الميليشيا التابعة للثورة واشتعلت المشاعر

الوطنية فى الكونغو وقامت ثورة حقيقية كرد فعل لمقتل لومومبا . وأعتبر الثوار الكونغوليين أن الشريعة أنتقلت من لومومبا الى نائبه جيزنجا وهى وان لم تكن شرعية دستورية فهى بكل تأكيد شرعية ثورية .

رد عبد الناصر على مقتل لومومبا :

أصبح لومومبا بعد مقتله رمزا للثورة والوحدة الوطنية ، ليس فى الكونغو فقط ، ولكن فى أفريقيا كلها بعد أن هز هذا الحدث وجدان الشعوب الافريقية كلها وعمق فيها الاحساس بالتمرد والكراهية ضد الاستعمار والامبريالية .

ومازلت أذكر — كما يذكر الكثيرون غيرى بكل تأكيد — منظر لومومبا وهو يساق الى حتفه ، وكانت شاشات التليفزيون قد عرضت فيلما أستطاع أحد المصورين التقاطه للومومبا بعد القبض عليه ، كان مقيد اليدين يدفعه حراسه ويضربونه بكعوب بنادقهم فيسقط على الأرض ثم يجذبونه من شعر رأسه ليقف فيلاقى الضرب والركل من جديد . ولكن نظرات لومومبا وملامح وجهه كانت تعكس كل معانى التحدى والشموخ والكبرياء ، وان كان قد بدأ على شاشات التليفزيون صامتا مستسلما لمصيره . وفى هذه اللحظات التى كنت أشاهد فيها هذه المأساة ، كنت أشعر أكثر من أى وقت مضى بالاعجاب والتقدير لهذا الرجل العظيم الذى أستطاع أن يجسد معنى الاصرار والتضحية من أجل تحقيق الأهداف السامية التى يؤمن بها الانسان . وكان هدف لومومبا هو الاستقلال الكامل لبلاده وانهاء السيطرة الأجنبية والاحتفاظ بوحدة الأراضى الكونغولية .

أن مقتل لومومبا الذى أعتبر فى ذلك الوقت انتصارا كبيرا لتشومبى وكازافوبو والقوى التى كانت تحركها ، لم يكن الا انتصارا مؤقتا فقط . فقد كان مقتل لومومبا فى حقيقة الأمر وقودا للحركة الوطنية فى الكونغو ومبررا لكثير من الدول — ومنها مصر — لكى تعلن عن وقوفها مع حكومة جيزنجا وتأييدها لها وللحركة اللومومبية وأن تقدم لها كل المساعدات الممكنة بدلا من المساعدات المحدودة التى كانت تقدم للومومبا على استحياء حتى لا تتجاوز هذه المساعدات الحدود الى ما يمكن اعتباره تدخلا فى الشئون الداخلية للكونغو . فمهما كانت النظرة السابقة لشرعية وضع لومومبا قبل مقتله ، فقد كان من الصعب تجاهل شرعية كازافوبو .

وكرد فعل لمقتل لومومبا سحبت دول كثيرة — ومنها مصر — اعترافها

بحكومة ليوبولدفيل واعترف بحكومة ستانلى فيل باعتبارها الحكومة الشرعية . أما رد الفعل الشعبى فقد كان عنيفا فى معظم عواصم العالم . فقد هوجمت السفارات البلجيكية فى باريس ولندن وبلغراد وطوكيو وموسكو ، كما هوجمت فى القاهرة حيث زحفت الجماهير الغاضبة معتدية على مبنى السفارة وأدى ذلك الى قطع بلجيكا لعلاقاتها مع مصر .

وفور مقتل لومومبا قرر جمال عبد الناصر سحب القوات المصرية التابعة للأمم المتحدة فى الكونغو . كما عين سفيرا لمصر فى استانلى فيل هو السيد ممدوح جبه الذى كان عليه أن يقوم هو وطاقم سفارته بمغامرة مثيرة للوصول الى مقر عمله . فلم يكن أمامه الا اتخاذ الطريق البرى من جنوب السودان والمرور بمناطق لم يكن معروفا وقتها مدى سيطرة حكومة جيزنجا عليها . وهكذا كانت السفارة المصرية من أول السفارات التى تواجدت فى استانلى فيل واستطاعت هذه السفارة أن تقوم بدور هام فى مساعدة الحركة الوطنية هناك بقيادة جيزنجا . وأقامت السفارة اتصالا لاسلكيا بين استانلى فيل والقاهرة بمجرد وصول السفير ، وكانت بذلك — ولفترة طويلة — وسيلة حكومة الثورة فى الاتصال بالخارج .

ووصل الى القاهرة بعد مقتل لومومبا مباشرة احد الزعماء الكونغوليين البارزين وهو بيير موليلى الذى كان وزيرا للتربية والتعليم فى حكومة لومومبا . وكان موليلى مع لومومبا عندما قبض عليه وهو يحاول مغادرة ليوبولدفيل ولكن موليلى استطاع أن يفلت من الاعتقال كما استطاع الوصول الى استانلى فيل . وحضر موليلى الى القاهرة على رأس لجنة ثورية كلفت بالاقامة فى العاصمة المصرية لتكون حلقة الاتصال بين حكومة الثورة فى استانلى فيل والعالم الخارجى كما كانت هذه البعثة مكلفة باعداد كل ما يلزم الثورة من الخارج . وكان موليلى يستقبل الوفود الأجنبية والسفراء الذين لم يكن من السهل عليهم القيام بهذا الاتصال فى استانلى فيل نفسها .

واصبحت القاهرة القاعدة الأساسية التى ترتكز عليها الثورة الكونغولية سواء فى تدريب الكوادر العسكرية والامداد بالسلاح أو التحرك الدبلوماسى أو الاعلامى ، وخصصت اذاعة موجهة من القاهرة الى الكونغو كانت تذيع باللغات الرسمية للبلاد ، وكان لهذه الاذاعة دورا هاما فى تعبئة الشعور الوطنى فى الكونغو .

وكان طبيعيا أن تختار الثورة الكونغولية القاهرة لتجعل منها قاعدة ارتكازها حيث كانت مصر فى ذلك الوقت أهم قاعدة للنضال الثورى فى

افريقيا وتساند جميع حركات التحرير الافريقية وفى مقدمتها الثورة الجزائرية، وفى ذلك الوقت أيضا لم تكن العواصم المحيطة بالكونغو بقادرة على تقديم العون للثورة ، فتنجانيقا واوغندا لم يكونا قد حصلا على استقلالهما بعد . أما برازافيل القريبة من ليوبولدفيل فكان بها حكم شديد الرجعية برئاسة الأب يولو . وهذا يجعلنا ندرك أهمية الدور الذى لعبته القاهرة فى مساندة الثورة الكونغولية .

ولم يكن هذا هو رد الفعل الوحيد الذى قام به عبد الناصر بعد مقتل لومومبا . فقد أعلن عبد الناصر عن تأميم المصالح والأموال البلجيكية فى مصر . وقد جاء هذا القرار ردا بليغا من جانب عبد الناصر باعتبار أن المسئولية الأولى عن أحداث الكونغو ترجع الى الاحتكارات الرأسمالية هناك . والتى هى أوربية أمريكية وان كانت بلجيكية فى معظمها . وهى أيضا التى لعبت دورا خطيرا فى نهب الكونغو وتخريب اقتصاده وتوصيل هذه البلاد الغنيه الى حافة الهاوية .

وقد ظهر هذا الدور التخريبى بوضوح قبل وعقب الاستقلال مباشرة ، فقد كانت الادارة البلجيكية فى الكونغو قبل الاستقلال تمتلك جزءا كبيرا من رأس مال الشركات والمشروعات الخاصة ، وهو وضع ورثته الادارة البلجيكية منذ كان الكونغو ملكا خاصا للملك ليوبولد الثانى . كما كان هناك كثير من الأجهزة ذات الطابع الشبه حكومى تستطيع عن طريقها الحكومة ان تؤثر فى الاقتصاد الكونغولى وتوجهه . كما كانت الحكومة تتمتع ببعض الحقوق التى تزيد من قدرتها فى توجيه الاقتصاد مثل حق ترشيح مجالس الادارات وحق التصويت عند اختيارهم وذلك حتى فى المشرروعات التى لم تكن الادارة البلجيكية تساهم فى رؤوس أموالها .

ورغم هذه السلطات الواسعة التى كانت تتمتع بها الادارة فى الكونغو فقد كانت الشركات الكبرى بدورها تسيطر على الادارة البلجيكية نفسها سيطرة شاملة بعد أن تمكنت هذه الشركات من أن تخصص مزايا مادية ضخمة لممثلى الدولة من البلجيك فأصبحوا بذلك تحت أمرتها .

وقبل استقلال الكونغو مباشرة خشيت الشركات أن تنتقل تلك السلطات الى الحكومة الافريقية الجديدة والتى قد يصعب السيطرة عليها بنفس الطريقة ، فعجلت هذه الشركات بمناورتها حتى تمنع الشعب الكونغولى من ان يسيطر على ثرواته وأمكن هذه الشركات الموجودة ان تحمل الحكومة البلجيكية على اتخاذ العديد من الاجراءات بقصد حرمان الحكومة الوطنية الجديدة من أدوات السيطرة القوية على اقتصاديات الكونغو .

ولايضاح هذه الصورة نذكر على سبيل المثـال شركة C. N. K. I. وكان يطلق عليها اسم « اللجنة الوطنية لكيفو » وكانت مؤسسـة شبه حكومية تمتلك الكثير من العقارات والمناجم والأراضى الواسـعة . وفى ٣٠ مايو ١٩٦٠ أى قبل الاستقلال بشهر واحد صدر مرسوم تم بمقتضاه انهاء وضع حكومة الكونغو البلجيكى كشريكة فى الامتياز بانسحابها وتنازلها عن حقها فى المؤسسـة .

وهكذا بجرة قلم فقدت الشركة وضعها كمؤسسة شبه حكومية ، وقرر حملة أسهمها تحويلها الى شركة مساهمة عامة باسم « شركة كيفو البلجيكية الافريقية » .

وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لشركة C. S. K. التى كانت أيضا مؤسسة شبه حكومية تمتلك غالبية أسهم اتحاد المناجم الشهير . وكان من حق هذه الشركة التى تسيطر عليها الحكومة تعيين المجلس الادارى لاتحاد المناجم وتعيين عدد من المديرين ، وفى ٢٧ يونيو ١٩٦٠ — أى قبل اعلان الاستقلال بثلاثة أيام — صدر مرسوم يقضى بحل هذه الشركة وتقسـيم أصولها بين شركتين من بينهما شركة كاتنجا . ومنح نفس المرسوم شركة كاتنجا فوائد ومزايا اضافية ضخمة ، واستولت هذه الشركة بناء على ذلك على ثلث الأراضى التى استصلحتها شركة C. N. K. I. كما استولت على عقاراتها وأموالها فى المصارف ، كما استولت أيضا على حق حصولها على ثلث الايجارات التى كان ينتظر أن تحصل عليها شركة C. S. K. من امتيازات التعدين فى المستقبل .

وهكذا تمكن البلجيكيون بالاعيب بهلوانية ومناورات وتحايل ، يدخل فى عداد النصب ، من حل الشركات شبه الحكومية وحرمان الحكومة الوطنية من الكثير من الامتيازات التى كانت ستمكنها على الأقل من الاشتراك فى توجيه الاقتصاد القومى للكونغو .

لقد أرادت بلجيكا أن تكون السلطة الحقيقية والسيطرة الكاملة لرأس المـال والشركات ، وبذلك تستمر سيطرتها الفعلية على البلاد وأن تغير وجه الحكومة بعد رفع اعلام الاستقلال .

ويلاحظ أن بلجيكا والشركات الأجنبية فى الكونغو عملت على جـذب المزيد من رؤوس الأموال الأمريكية للمساهمة فى الاستثمارات الكونغولية وذلك قبل الاستقلال مباشرة .

فقد حصل بنك أمريكا منذ عام ١٩٦٠ على ٢٠٪ من مجمــوعة بنك لامبرت (سوكوبانك) ، وقام فورد بتأسيس شركة فورد موتورز بالكونغو وقام عام ١٩٦٠ أيضا باستغلال منجم الكلور الحرارى . وقد قــام روكفلر بجولة فى الكونغو عام ١٩٥٩ قامت جماعته بعدها مباشرة بشراء ١٠٣٠ سهما من أسهم شركة البحوث والتنقيب عن البوكسيت فى الكونغو (بوكسيكونجو) وفى يونيــو ١٩٦٠ أعلن على عــزمه شراء ٨٪ من رأس المــال البالــغ ٦٥ مليون دولار الخاص بشركة الكونغو للتجارة الصناعية . هذا علاوة على نشاط شركة « يور أمريكان الأمريكية » وشركات استثمــار أمريكية أخرى بدأ نشاطها فى الشهور القليلة قبل استقلال الكونغو .

وهكذا وجد التشابك فى المصالح الرأسمالية البلجيكية والامريكية علاوة على المصالح الاوربية الاخرى الموجودة من الاصل وخاصة فى اتحاد المناجم الذى توجد فيه نسبة كبيرة لرأس المال البريطانى . وهذا بالاضافــة الى الشبكة المعقدة التى تربط بين المصالح المصرفية فى أوربــا وأمريكــا وبين المشروعات الصناعية فى أفريقيا . وبذلك أصبح للولايات المتحدة الامريكية هى الاخرى مصلحة ذاتية فى حماية واستمرار سيطرة هــذه الاحتكــارات والشركات على مقدرات الكونغو .

ولم تكتف السلطات البلجيكية بذلك وانما اتخذت عــدة اجراءات من شأنها أن تجعل الكونغو غير قادر على الاستغناء عن معونة بلجيكا المالية . ومن هذه الاجراءات سحب مبالغ ضخمة من رؤوس الاموال الموجــودة فى الكونغو . وقد تعرض الرئيس كوامى نكروما فى كتابه « الاستعمــار الجديد آخر مراحل الامبريالية » الى الكثير من هذه الاجراءات التى أدت الى تخريب الاقتصاد الكونغولى قبل الاستقلال مباشرة . فعندما تسلم لومومبا الحــكم كانت خزينة البلاد خاوية ومثقلة بالتزامات كثيرة ، والاسواق المحلية خالية من كثير من السلع والاحتياجات الضرورية كما كانت الشركات والمؤسسات الاجنبية تمتلك ثروة البلاد وتتحكم فيها .

لذلك كله جاء تأميم عبد الناصر للمصالح البلجيكية فى مصر باعتبارها رمزا للاحتكارات الرأسمالية فى الكونغو . وكان ذلك يعنى ادانة هــذه الاحتكارات وتحميلها مسئولية ما حــدث فى الكونغو . وقد أراد عبد الناصر أيضا أن يلفت أنظار العالم والدول الافريقية على وجه الخصوص الى خطورة الاحتكارات الرأسمالية ودورها فى خدمة الاستعمار . وجاء هذا التأميم دعوة فى نفس الوقت الى ضرب هــذه الاحتكــارات باعتبارها أداة من أدوات الاستعمــــار .

عودة الحكم المركزى وانهاء الانفصال فى كاتنجا :

فى فبراير سنة ١٩٦١ تقدمت مصر التى كانت تشترك وقتئذ فى عضوية مجلس الأمن مع كل من سيلان وليبيريا ، بمشروع قرار الى المجلس يخـول قيادة الامم المتحدة فى الكونغو .. استخدام القوة اذا كان هذا ضروريا كملاذ اخير .. « وذلك بقصد تحقيق وحدة الكونغو » . وقد وافق مجلس الامن على هذا القرار بعد جهد شاق ونشاط واسع قامت به الـدول الافريقية الثورية والدول التقدمية فى الامم المتحدة . وقد ساعد أيضا على استصدار هذا القرار أن كينيدى كان قد استقر فى البيت الابيض وبدأت الولايات المتحدة تراجع سياستها الافريقية لتكون أكثر واقعية .

ورغم صدور هذا القرار الا انه مضت فترة دون أن تبدو أى بادرة من الامم المتحدة لتنفيذه . وفى نفس الوقت كانت هناك محاولات تؤيدها بلجيكا والمؤسسات الراسمالية فى الكونغو للتقريب بين تشومبى وكازافوبو على حساب استانلى فيل بطبيعة الحال .

ففى مارس ١٩٦١ عقد مؤتمر مائدة مستديرة فى تنناريف (عاصمـة مدغشقر) حضره كل من كازافوبو وتشومبى والرئيس سيرانانا رئيس جمهورية مدغشقر بدعوة من الاخير . وأعلن عقب هذا الاجتماع عن الموافقة على قيام اتحاد كونفيدرالى فى الكونغو . وكان معنى ذلك تأكيـدا لانفصال كاتنجا والتسليم لتشومبى بذلك .

وقد اثارت هذه المناورات هجوما عنيفا على السكرتير العـام للأمم المتحدة لتقاعسه عن استخدام القوة فى انهاء انفصـال كاتنجا . ففى نفس الشهر عندما اجتمع المؤتمر الثالث لكل الشعوب الافريقية فى القاهرة (المدة من ٢١ ـــ ٢٥ مارس ١٩٦١) والذى اشتركت فيه جميع التنظيمات والاحزاب الثورية فى أفريقيا ، كما حضرته جميع حركات التحرير الافريقية ، كان موضوع الكونغو وموقف الامم المتحدة فى مقدمة الموضوعات التى بحثها المؤتمرون . وصدر بيان يدين السكرتير العام للأمم المتحـدة داج همرشولد ويعتبره مسئولا عن مقتل لومومبا بجانب كازافوبو وتشومبى وموبوتو .

وفى مقابل هذا التيار الثورى المؤيد للثورة الكونغولية ظهر تكتل آخر يخشى هــذا المد الثورى ويعمل على وقفه . فقد اجتمعت عشرون دولة افريقية فى منروفيا (مايو ١٩٦١) وكان أهم الموضوعات التى بحثت فى هذا الاجتماع موضوع التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء وذلك بقصد وقف المساعدات التى تقدم لحكومة الثورة فى استانلى فيل واعتبار هــذه المساعدات تدخلا فى شئون الكونغو الداخلية .

وكان حماس كثير من الرؤساء المشتركين فى مؤتمر منروفيا لهــذا الموضوع راجعا الى وجود معارضة قوية داخل دولهم ، وخوفهم من اندلاع الثورة على غرار ما حــدث فى الكونغو ، خاصة أن بعض هذه الدول مثل النيجر والكاميرون كانت المقاومة فيها منظمة وعلى صلة بالقوى التقدمية الثورية فى العالم باعتبارها التنظيمات الرئيسية التى كانت تقف فى وجه الاستعمار الفرنسى قبل الاستقلال والتى كانت فى تقدير الكثيرين ما زالت تتمتع بتأييد الأغلبية فى بلادها .

وهكذا جاء مولد تكتل جديد فى أفريقيا وهو ما أطلق عليه مجموعة منروفيا ، تؤيد كازافوبو وتقف فى مواجهــة مجمــوعة الدار البيضــاء التى تؤيد ثوار استانلى فيل . المجموعة الأولى تضم الحكومات المحافظة التى تهادن الاستعمار والثانية تضم الحكومات التى تقود الثورة الافريقية ضد الاستعمار الامبريالى .

ورغم الانقسام الذى حدث بين دول افريقيا بالنسبة لقضية الكونغو الا أن أحدا منها لم يؤيد تشومبى حتى ذلك الوقت . فلم يكن هنــاك من يستطيع أن يقف علنا بجانب فكرة الانفصال ، فهو أمر يهدد الكثير من الدول الافريقية الحديثة الاستقلال ، والتى مازالت مجتمعاتها قبلية ، كمــا أن تشومبى كان قد أصبح مدموغا بالخيانة ووجهــا كريها أمام الشــعوب الافريقية كلها .. وحتى اتفاق المائدة المستديرة الــذى تم بين كازافوبو وتشومبى بحضور رئيس جمهورية مدغشقر كان قــد نسفه اجتماع آخر لاحق بعد شهرين اثنين .

وقد ازداد موقف الأمم المتحدة حرجا فى الكونغو بعد صــدور قرار مجلس الأمن بتخويل المنظمة الدولية حق استخدام القوة خاصة وانه كان قد مضى على وجود قواتها هناك وقت طويل دون أن تتمكن من تحقيق الأهداف

التى ذهبت من أجلها بل أن الموقف ازداد سوءا . فبعد أن كان الانقسام فى كاتنجا فقط — عندما ذهبت قوات الامم المتحدة الى الكونغو — أصبح هناك ثلاث حكومات فى استانلى فيل وليوبولدفيل واليزابث فيل (عاصمة كاتنجا) ثم أن أصابع الاتهام بدأت تتجه الى همرشولد السكرتير العام باعتباره متقاعسا ان لم يكن متواطئا .

وبازدياد ضغط الدول التقدمية على الامم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الامن أصبح من غير الممكن تجاهل هذا القرار . ومن هنا ظهرت فكرة التوفيق بين انصار لومومبا فى استانلى فيل بقيادة جيزنجا وبين كازافوبو على حساب تشومبى باعتبار ان ذلك أمر ضرورى للتمهيد لاستخدام القوة لانهاء الانفصال فى كاتنجا . وكان ذلك تحولا هاما فى سياسة الامم المتحدة شجع الدول الافريقية بمجموعتيها بل واشتركت دول أفريقية فى هذه الوساطة وبذلت جهودها من أجل التقريب بين الاطراف .

وفى ٢ أغسطس سنة ١٩٦١ اجتمع البرلمان الكونغولى بعد توحيده وانتخب سيرل أدولا رئيسا لحكومة الكونغو المركزية ، كما انتخب جيزنجا زعيم الثوار فى استانلى فيل نائبا لرئيس الوزراء .

وانتهت بذلك الازدواجية بين ليوبولدفيل واستانلى فيل . وأصبح هناك حكومة مركزية يؤيدها اللومومبيون ولكنهم لا يرأسونها وبقى تشومبى وحده داعية الانفصال فى كاتنجا والعميل الاول لبلجيكا والاحتكارات الاجنبية .

وجدت حكومة ليوبولدفيل المركزية ترحيبا من جميع الدول الافريقية وعملت دول الدار البيضاء على دعوة الحكومة الجديدة لحضور مؤتمر عدم الانحياز الاول الذى عقد فى بلغراد على مستوى الرؤساء فى المدة من ١ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ كدليل على ثقتها فى هذه الحكومة . وذهب الى بلغراد كل من سيرل أدولا رئيس الوزراء وانطوان جيزنجا نائب رئيس الوزراء . والقى كل منهما خطابا امام المؤتمر والتقى عبد الناصر بالزعيمين فى بلغراد كل على انفراد . وكانت أحاديثهما توحى بكثير من التفاؤل كما ابدى كل منهما ارتياحه للمصالحة الوطنية .

بعد قيام الحكومة المركزية فى ليوبولدفيل باشتراك جيزنجا وترحيب اللومومبيون بالمصالحة ، قامت مصر باغلاق سفارتها فى استانلى فيل

ونقلها الى ليوبولدفيل وأصبح تعاملنا مع الحكومة المركزية وفى نطاق العلاقات العادية .

وأسرعت حكومة الكونغو من جانبها باقامة تمثيل لها فى القاهرة . وقمنا بتصفية جميع العلاقات العسكرية التى كانت قائمة مع التنظيمات الثورية فى الكونغو . وأوقفنا كل نشاط آخر يمكن أن يثير شكوك الحكومة الجديدة فى ليوبولدفيل وذلك لرغبتنا فى اتاحة الفرصة كاملة لنجاح المصالحة الوطنيــــة .

وكانت حكومة الثوار فى استانلى فيل قد نقلت كمية كبيرة من الـذهب الى القاهرة لمواجهة المصروفات المتزايدة لتوفير احتياجاتها من الخارج .. وقد تم ايداع هذه الكمية من الذهب فى البنك المركزى المصرى فى القاهرة باسم حكومة الكونغو . وفتح حساب بضمان جزء من هذا الذهب باسم البعثة الكونغولية فى القاهرة برئاسة موليلى وذلك للانفاق منه حسب متطلبات حكومة الثورة .

وبعد المصالحة الوطنية تم تسليم كمية الذهب المودعة فى القاهــرة للحكومة الجديدة فى ليوبولدفيل عدا الجزء المحتجز مقابل المسحوبات . وأبدت القاهرة فى نفس الوقت استعدادها لتسليم هذا الجزء المحتجـز ، اذا قامت حكومة الكونغو بسداد المبالغ المسحوبة وفوائدها أو بيع هـذا الجزء — اذا رغبت حكومة الكونغو فى ذلك على أن يعــاد أى فائض الى حكومة الكونغو بعد سداد استحقاق البنك .

وقد اعترض موليلى فى بادىء الامر وطلب أن يبقى الذهب كلــه فى القاهرة لحساب الثوار احتياطا لما قد تتطــور اليه الامور ، ولكـن جمال عبد الناصر رفض باعتبار ان هذا الذهب هو ملك لشعب الكونغــو جاء باسم الحكومة التى كنا نعترف بها ، أما وقد أصبح فى الكونغو حكومة واحدة يعترف بها الثوار أنفسهم فيجب أن يعود الذهب فورا الى هــذه الحكومة التى نعترف نحن أيضا بها .

وسويت الحسابات بالفعل بعد فترة من الزمن ولكن بعد أن كانت الفوائد قد أوصلت الدين الى الحد الذى غطى فيه قيمة الجزء من الذهب المحتجز كله ، وكان قد زاد عنه بمبلغ بسيط . وكانت التسوية بأن تنازلت حكومة الكونغو عن هذا الجزء من الذهب للبنك المركزى المصرى مقابل

الدين ، وتنازل البنك عن الفرق بين ثمن الذهب والدين بعد تراكم الفوائد وما زال البنك المركزى فى القاهرة يحتفظ بكل الوثائق المتعلقة بهـــذا الموضـــوع .

وبعد أن تدعم موقف الحكومة المركزية أصبحت الامور مهيأة لتقوم الامم المتحدة باستخدام القوة لتعيد سيطرة هـــذه الحكومة على اقليـــم كاتنجا . وفى ديسمبر ١٩٦٢ قامت قوات الامم المتحـــدة باحتلال الاقليم وانتهت بذلك قصة الانفصال فى اقليم كاتنجا وعادت الى الكونغو وحدته ولكن بعد أن كان همرشولد قد فقد حياته أثناء عمليات الامم المتحدة وذلك فى حادث طائرة اكتنفه كثير من الغموض . وهكذا شـــاء القدر للسكرتير العام الذى كاد أن يفقد سمعته بسبب عدم استخدامه القـــوة فى اقليم كاتنجا ، ان يفقد حياته عندما استخدم هذه القوة وحقق المهمة التى كلفه بها المجتمع الدولى .

وبانتهاء الانفصال فى كاتنجا وعودة الوحدة الى الاراضى الكونغولية ، زالت أهم الاسباب التى قسمت أفريقيا الى مجموعتين ، مجموعة منروفيا ومجموعة الدار البيضاء . وكانت الجزائر قد حصلت على استقلالهـــا وبذلك أصبح من الممكن عقـــد مؤتمر قمة يضم جميـــع الـــدول الافريقية المستقـــلة .

واجتمع ثلاثون رئيس دولة أفريقية فى أديس أبابا حيث وقعوا ميثاق الوحدة الافريقية التى قامت بمقتضاها منظمة الوحدة الافريقية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ . ولم يثر موضـــوع الكونغو فى هـــذا الاجتماع فقد تحقـــق لمجموعة الدار البيضاء ما أرادته بالنسبة لانهاء الانفصال فى كاتنجا وعودة الوحدة للأراضى الكونغولية . كما أن مجموعة منروفيا كانت راضية هى الاخرى لوقف تدفق الاسلحة والمساعدات للثوار فى الكونغو وأيضا لبقاء كازافوبو رئيسا لجمهورية الكونغو الموحدة .

اشتعال الثورة الكونغولية من جديد :

بعد انتهاء الانفصال فى كاتنجا ، كان هناك اعتقاد بأن أزمة الكونغو قد انتهت كمشكلة أفريقية ، وأن ما تبقى من خلاف أو صراع بين الزعماء الكونغوليين انما هو من شئون الكونغو الداخلية .

وفى غمرة الابتهاج بعـودة الوحـدة للاراضى الكونغولية والترحيب الكبير الذى استقبلت به فى جميع أنحاء القارة الافريقية ، قام أدولا باخراج جميع أنصار لومومبا من حكومته .

ومرت فعلة أدولا هذه دون رد فعل يذكر سواء داخليـا أو خارجيا لان سقوط تشومبى وخروجه الى منفاه الاختيارى فى أوروبا قلل من أهمية هذه الخطوة رغم انها كانت فى واقع الامر نقضا صارخـا لروح اتفاق المصالحة الوطنيـة بين اللومومبيين وكازافوبو الـذى تم فى أغسطس سنة ١٩٦١ والذى أتى بأدولا الى الحكم .

ولكن الامور لم تقف عند هذا الحد ، ففى سبتمبر عام ١٩٦٣ قـام كازافوبو رئيس الجمهورية بحل البرلمان الكونغولى وفى اليـوم التـالى اجتمعت الاحزاب اللومومبية فى ليوبولدفيـل وأدانت حـل البرلمـان ، وشكلت تنظيما جديدا يضم هـذه الأحـزاب أطلق عليه اسم « المجلس الوطنى للتحريـر » « Conseil National de Liberation » وانتقـل قـادة هذا التنظيم الجديد الى برازافيل التى لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغـو .

واشتعلت الثورة من جديد فى الكونغو ، وظهرت حرب العصابات . وكانت البداية فى اقليم « كويلو » بقيـادة الزعيم « بيير موليلى » الـذى سبق له الاقامة فى القاهرة على رأس بعثة ثورية فى الفترة التى اعقبت مقتل لومومبا وطوال بقـاء حكومة جيزنجا فى استانلى فيل وكان قد غادر القاهرة عائدا الى بلاده بعد قيام حكومة أدولا المركزية .

وبنهاية عام ١٩٦٣ كانت حرب العصابات قد انتشر فى أماكن كثيرة من الكونغو . واستطـاع الثـوار الكونغوليون تحقيق انتصارات كثيرة فى الشهور الاولى من عام ١٩٦٤ وأمكن لهم السيطرة على اجـزاء كبيرة من الكونغو . وكانت قاعدة ارتكازهم هـذه المرة وحتى ذلك الوقت هى برازافيل حيث كان الحكم قد تغير هناك بقيام الثورة على حكم الاب يولو وقيام حكم وطنى بزعامة ماسيمباديبا وكان من السهـل تدفق الامدادات والمساعدات المطلوبة للثورة عبر نهر الكونغو .

وفى الوقت الذى كانت فيه الثورة تحقق نجاحا مستمرا وتسيطر كل يوم على أراضى ومناطق جديدة ، بدأت الحكومة البلجيكية بالتعاون مـع الولايات المتحدة الامريكية فى سلسلة من المناورات السياسية التى كانت

تبشر باستعدادها للتدخل من جديد فى شئون الكونغو بقصد عرقلة تقدم الثوار وفرض الاوضاع التى تلائم مصلحة هذه الدول . وظهر ذلك جليا عندما استطاعت الولايات المتحدة أن تؤخر تاريخ انسحاب القوات التابعة للأمم المتحدة فى الكونغو — والتى كانت قد انتهت مهمتها هناك — ولمدة ستة شهور تنتهى فى ٣٠ يونيو ١٩٦٤ وذلك عن طريق نفوذها وضغطها المستمر داخل المنظمة الدولية .

وفى فبراير سنة ١٩٦٤ قامت طائرات الامم المتحدة بمساعدة الجيش الكونغولى الذى يحارب الثوار وذلك بالمساهمة فى أعمال الامداد والتموين .

وبحلول شهر يونيو سنة ١٩٦٤ كان البلجيك قد تعهدوا لحكومة الكونغو ان يحلوا محل الامم المتحدة فى امداد الكونغو بالطيارين البلجيك وكذلك الافراد اللازمين لاعمال صيانة الطائرات .

ثم بدأت الصحافة ووسائل الاعلام البلجيكية والامريكية تهتم فجأة بتشومبى الذى كان قد نسى تماما وهو فى منفاه الاختيارى بأوروبا . وحاولت هذه الاجهزة تبرئته من دماء لومومبا ، كما استغلت رحلة فجائية قام بها تشومبى الى مالى فى يونيو سنة ١٩٦٤ بناء على دعوة الحزب الحاكم هناك ، لاقناع الرأى العام فى افريقيا بعودة الوجه الافريقى لتشومبى .. والذى سبق أن دمغته الشعوب الافريقية بالعمالة المطلقة للاستعمار .. حيث كانت مالى احدى الدول الثورية فى القارة .

والحق اننا فوجئنا فى القاهرة بهذه الزيارة وأرسلنا الى باماكو نستفهم عن هذه الزيارة وننبه الى ما قد تسفر عنه من تعزيز لمركز أحد عملاء الاستعمار وقبل أن يصلنا الرد أعلن الماليون فى باماكو أن تشومبى حاول خداعهم وخداع العالم بهذه الزيارة وهاجمته اجهزة الاعلام المالية باعتباره عميلا وعدوا لشعب الكونغو والشعوب الافريقية كلها .

وفى يوليو ١٩٦٤ فوجئنا فى القاهرة ، كما فوجىء الافارقة بتعيين تشومبى رئيسا لوزراء الكونغو . وكان من الواضح أن أصابع بلجيكا وامريكا وراء هذا التعيين . وقد أوضح كازافوبو أمام البرلمان الكونغولى بعد ذلك أن سبب تعيين تشومبى هو خوفه من عودة انفصال كاتنجا . وقال ان المرتزقة من الاوروبيين الذين حاربو مع تشومبى من أجل انفصال

كاتنجا ما زالوا تابعين فى اقليم مجاور هو أنجولا ، وأنهم يحملون سلاحهم ويتحينون الفرصة لمعاودة محاولاتهم لفصل اقليم كاتنجا من جديد . وأنه يرى أن تشومبى هو الرجل الوحيد القادر على أعادة هـــذه القوات الى صفوف الجيش الكونغولى .

والذى لم يقله كازافوبو ان هـــذه كانت رغبة بلجيكا وأمريكا وأنه بهذه الاستجابة كان يضمن مساعدة هاتين الدولتين له ولتشومبى فى وقف تقدم الثوار الكونغوليين الذى أصبح يشكل خطرا حقيقيا على حكمه .

لقد كان تعيين تشومبى رئيسا للوزراء فى هذا الوقت وبهذا الشكل تسليم من كازافوبو لبلجيكا والولايات المتحدة الامريكية بالتحكم من جديد فى مقدرات الكونغو ، كما جاء ذلك تحديا للمشاعر الافريقية وخاصة للدول التى وقفت بجانب لومومبا وبجانب أنصاره من بعد الى أن تحققت للكونغو وحدته . لقد أثارت عودة تشومبى الكثير من الشكـــوك لمـــا عـــرف به من عمالة مكشوفة للاستعمـــار البلجيكى والاحتكارات الاستعماريـــة التى كانت وراء كل مشاكل الكونغو .

ويجدر الاشارة هنا الى أن مصر ــ حتى ذلك الوقت ومـــنذ قيـــام حكومة أدولا ... ابتعـــدت عن أى تدخـــل فى شئون الكونغو ، ودعمت علاقتها بالحكومة المركزية . ولكن تعيين تشومبى جاء قبل انعقاد مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى القاهرة والذى كان قـــد حدد موعده فى يوليـــو سنة ١٩٦٤ . وكان معنى ذلك ان يحضر تشومبى الى القاهـــرة اذا عين فى وفد بلاده وهو ما لا يمكن أن يقبل به عبد الناصر الـــذى كـــان يـــرى فى حضور تشومبى مؤتمر القمة الافريقى المنعقد فى القاهرة نيلا من كرامة مصر التى سبق أن أرسلت قواتها تحت علم الامم المتحدة لمقاومة حركـــة تشومبى الانفصالية ، كما انه لم يكن يتصور أن يجلس تشومبى معه ومع الرؤساء الافارقة الآخرين لان معنى ذلك اذا حـــدث أن تقبـــل أفريقيا سياسة الامر الواقع التى يعمل الاستعمـــار على فرضهـــا . لقـــد رأى عبد الناصر أن حضور تشومبى الى القاهرة فيه تحد للشعـــور الافريقى وينسف كل ما يريد عبد الناصر أن يحققه من وراء هذا المؤتمر .

وبناء على ذلك قام الوفد المصرى فى مؤتمر وزراء الخارجية الـــذى عقد فى القاهرة قبل مؤتمر القمة الافريقى مباشرة ، باقناع الوفود الاخرى بأن ترسل برقية باسم المؤتمر الى الرئيس كازافوبو تطلب منه عدم اشتراك

تشومبى فى وفد بلاده ، وقد وافقت جميع الدول الافريقية على هذا الاقتراح عدا وفد الكونغو الذى انسحب وحده من المؤتمر احتجاجا على هذا القرار .

وأمكن بذلك تجنب الحرج ، فلم يحضر تشومبى المؤتمر كما لم يحضر كازافوبو . غير أن بعض الرؤساء الافريقيين فى مؤتمر القمة أبدوا عدم ارتياحهم للبرقية التى أرسلت الى كازافوبو باسم المؤتمر لمنع رئيس وزرائه من الحضور معتبرين ذلك تدخلا فى شؤون الكونغو .

وكان الرئيس سيرانانا رئيس مدغشقر هو الرئيس الوحيد الذى حاول الدفاع عن تشومبى . فجاء دفاعه بعيدا عن المنطق ومثيرا للضحك اذ قال : « لقد استنكرنا جميعا مقتل لومومبا ولكن هذا لا يعطينا الحق فى التدخل فى شؤون الكونغو وطالما نحن بهذا الصدد فلنسأل ضمائرنا ، من منا لم يوقع على وثيقة باعدام أحد مواطنيه ؟ لسنا جميعا ملائكة . فاذا كان تشومبى سيذهب الى الجحيم فمن المؤكد انه لن يكون وحده ، فالبعض سوف يكونون معه » وانتهى الأمر عند هذا الحد ومنع بذلك تشومبى من الاشتراك فى مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية .

ولا شك ان هذا الامر الذى حدث كان صفعة شديدة تلقاها تشومبى فى الايام الاولى من توليه رئاسة الحكومة .. وكان لذلك أيضا تأثيره على نظرة الشعب الكونغولى لتشومبى الذى رفض الرؤساء الافارقة اجلاسه معهم .

وفى الوقت الذى كان فيه الثوار الكونغوليون يحققون انتصارات متوالية وصلت ذروتها فى أغسطس سنة ١٩٦٤ ، بدأ تشومبى فى تجنيد اعداد كبيرة من المرتزقة الاوروبيين معظمهم من جنوب أفريقيا ، وتدفقت وراءهم المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة الامريكية .

وقد أثار تجنيد الاوروبيين ثائرة الكثير من الدول الافريقية وخاصة الدول المجاورة مثل الكونغو برازافيل وبورندى التى رأت فى ذلك تهديدا لامنها وسلامتها . وقد أسقط هذا العمل القناع الافريقى الذى حاول تشومبى أن يضعه بعد تعيينه رئيسا للوزراء فى الحكومة المركزية ، فها هو يعود الى نفس الاسلوب الذى سبق اتباعه عندما قام بحركته الانفصالية فى كاتنجا الا وهو استخدام المرتزقة . ثم انه فضح بذلك عمالته من جديد وكشف المخطط الاستعمارى الامبريالى للابقاء على سيطرة الاستعمار

والاحتكارات الرأسمالية على مقدرات الكونغو كله بعد أن فشلت فكرة الانفصال فى كاتنجا الغنية .

لقد كان تجنيد المرتزقة وخاصة من جنوب أفريقيا يعنى فى نظر الكثيرين ، استجلاب العنصريين أعداء الشعوب الافريقية ثم تسليحهم لقتل الافارقة الكونغوليين ، كما كان فى نظرهم عملا يدخل ضمن ابسادة الجنس الامر الذى تحرمه المواثيق والقوانين الدولية . وبناء على ذلك طلبت بعض الدول الافريقية ومنها مصر ، عقد اجتماع استثنائى لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية . وعقد المؤتمر فى أديس أبابا فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ رغم محاولات حكومة الكونغو اليائسة لتأجيل الاجتماع .

وصدر قرار عن المؤتمر أيدته الاغلبية الساحقة يقضى « بوقف تجنيد المرتزقة فورا وطرد الموجود منهم فى الكونغو مهما كانت جنسياتهم فى أسرع وقت ممكن » كما طالب القرار بالمصالحة الوطنية وانشأ لجنة من عشرة دول برئاسة الرئيس جومو كينياتا تكون مهمتها أولا العمل على عودة العلاقات العادية بين الكونغو ليوبولدفيل والدولتين المجاورتين له وهما بورندى والكونغو برازافيل وثانيا : مساعدة وتشجيع حكومة الكونغو فى تحقيق المصالحة الوطنية .

ورغم ان هذا القرار أغضب الحكومة الكونغولية لما جاء فيه عن المصالحة الوطنية وتشكيل لجنة العشرة التى أصبحت بعد ذلك سيفا مسلطا على رقبة تشومبى ، الا أن الاجتماع فى حد ذاته أعطى تشومبى شرعية التواجد فى المجتمع الافريقى حيث حضر هذا الاجتماع بصفته وزير الخارجية الكونغولية ولم يعترض أحد على حضوره . ووجد تشومبى فى ذلك ردا لاعتباره بعد أن كان قد منع من حضور مؤتمر القاهرة .

وفى نفس الوقت الذى اجتمع فيه مؤتمر وزراء الخارجية للدول الافريقية أعلن المجلس الوطنى للتحرير C. N. L. دستور جمهورية الكونغو الشعبية وأعلن حكومتها المؤقتة فى استانلى فيل . ولكن لم تسحب أية دولة اعترافها من ليوبولدفيل لتعترف باستانلى فيل ، كما سبق أن حدث عندما قامت حكومة استانلى فيل فى أعقاب مقتل لومومبا .

اجتمعت اللجنة الخاصة بالكونغو والسابق ذكرها برئاسة جومو كنياتا فى ١٨ سبتمبر وكانت مصر بين أعضاء هذه اللجنة ، وأعلنت اللجنة

انها لا تستطيع أن تجد الجو المناسب لتحقيق المصالحة الوطنية الا بعد وقف كل تدخل عسكرى أجنبى ، وبناء على ذلك قررت اللجنة ارسال وفد من خمس مندوبين من الدول العشر أعضاء اللجنة لمقابلة الرئيس جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية لحثه على وقف المساعدات الامريكية لحكومة تشومبى . وكان معنى ذلك أن اللجنة تتهم أمريكا بأنها العقبة الرئيسية التى تقف دون تحقيق المصالحة الوطنية .

وقد احتجت حكومة الكونغو على هذا الاجراء كما رفض الرئيس جونسون أن يستقبل الوفد باعتبار أنه لا يمكن بحث موضوع المساعدات الامريكية للكونغو وفى غياب ممثلى حكومة الكونغو التى طلبت هذه المساعدات. وهكذا عادت مشكلة الكونغو لتصبح مشكلة أفريقية ومشكلة دولية من جديد رغم انتهاء الانفصال فى كاتنجا . وعاد الانقسام الى أفريقيا من جديد بسبب هذه المشكلة التى كادت أن تعصف بالمنظمة الافريقية الوليدة .

تشومبى فى القاهرة :

فى اكتوبر سنة ١٩٦٤ وقبل انعقاد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز بالقاهرة واجهت مصر نفس المشكلة التى سبق أن واجهتها فى اجتماع مؤتمر القمة الافريقى فى يوليو من نفس العام الا وهى حضور تشومبى ، فقد وجهت الدعوة لجميع الدول الافريقية أعضاء منظمة الوحدة الافريقية ومنها الكونغو بطبيعة الحال لحضور هذا المؤتمر من ٥ — ١٠ أكتوبر وكان عبد الناصر مصرا على ألا يحضر تشومبى هذا الاجتماع أيضا .

وتكرر الاجراء السابق اتخاذه قبل مؤتمر القمة الافريقى ، فقد أرسل وزراء الخارجية الافارقة برقية بأسمهم الى الرئيس كازافوبو رئيس جمهورية الكونغو يطلبون فيها عدم تعيين تشومبى فى الوفد الكونغولى .

وكان من الصعب على تشومبى أن يقبل صفعة جديدة بالاستسلام لهذا الطلب ، خاصة وانه سبق له حضور أحد الاجتماعات الافريقية فكيف يسمح بضياع النصر الذى كان قد حققه من قبل . وأعلن فى ليوبولدفيل تشكيل الوفد الكونغولى فى مؤتمر عدم الانحياز برئاسة تشومبى .

ارسل تشومبى يطلب تأشيرة دخول الى القاهرة من السفارة المصرية فى ليوبولدفيل ، واعتذرت السفارة محتجة بأنها تنتظر رد القاهرة ، وقد

أثار هذا الموقف من السفارة غضب تشومبى الذى قرر السفر الى القاهرة دون أن ينتظر الاذن . وأخطرتنا سفارتنا فى ليوبولدفيل بقيام طائرة تشومبى متجهة الى القاهرة بالفعل .

وفى المساء حلقت طائرة تشومبى فى أجواء القاهرة ولكن لم يؤذن لها بالهبوط فاتجه تشومبى بطائرته الى أثينا . وفى فجــر اليوم التالى وصــل تشومبى والوفد المرافق له على متن احدى طائرات الخطوط العادية دون سابق اخطار وكان هذا التصرف متوقعا من تشومبى وأعد له مسبقا الترتيب الـــــلازم .

توجه السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية الى المطار لاستقبال تشومبى واصطحبه والوفد المرافق له بموكب عربات الرئاسة المعد لاستقبال الرؤساء واتجه به الى قصر العروبة الذى كان قد أعد لاقامته على خلاف جميع رؤساء الوفود الاخرى الذين كانوا يقيمون فى فندق الهيلتون .

وفى الصبـــاح وبناء على تكليف مـــن الرئيس جمال عبد الناصر اتجهت الى قصر العروبة لمقابلة مويس تشومبى الذى استقبلنى بحرارة رغم انهـــا كانت المرة الاولى التى التقى فيها به . وكان تشومبى شديد المرح ، أو هكذا أراد أن يبدو ، كما كانت خطواته وحركاته تعكس زهوا بالنفس ربما كـــان سببه نجاحه فى الوصول الى القاهـــرة رغم المحاولات التى بذلت للحيلولة دون ذلك . ولكنه فى نفس الوقت حاول أن يكون ودودا للغاية .

ولم تمضى دقيقة واحدة على هذا الجو المرح المفتعـــل حتى أبلغتـــه الرسالة التى جئت من أجلها والتى طالبته فيهـــا باسم الحكومة الا يغادر هذا القصر الى أن يقرر الرؤساء الافريقيون الموجودون فى المؤتمر ما اذا كان سيشترك هو فى أعمال هذا المؤتمر .

وضاعت الابتسامة من وجه تشومبى وتبدد جو المرح المفتعل وتغيرت ملامح وجهه لتكون أكثر جدية . وتســـاءل تشومبى بصوت خافت متـــداعى بعد أن صدمته كلماتى . . عما اذا كان يفهم من ذلك أنه معتقل .

فأخبرته بأنه ليس معتقلا لانه يستطيع فى أى وقت يشاء أن يتجه الى المطار ويغادر القاهرة . . وان اجراء منعه من الخروج الى أى مكـــان آخر يتعلق بأمنه وللمحافظة على حياته حيث أننا لا نضمن سلامته وسط جماهير القاهرة التى ما زالت تذكر ما حدث للومومبا .

وهنا حاول تشومبى أن يستجمع قواه من جديد وعلا صوته محتجا على هذا التصرف فوقفت على الفور معلنا انه ليس لدى ما أريد اضافته الى ما سبق ابلاغه به . وكنت على وشك الانصراف عندما عاد تشومبى الى لهجته الودية مرة أخرى ورجا أن أنتظر لان لديه هو ما يريد أن يقوله هذه المرة .

وقال تشومبى أنه لم يحضر الى القاهرة لحضور المؤتمر فقط ، ولكنه جاء أيضا برغبة صادقة لتدعيم العلاقات مع مصر وخاصة العلاقات الاقتصادية وانه جاء وهو مستعد وجاهز لعقد صفقات ستكون فى صالح مصر كثيرا .

وأخرج بعض الاوراق وأخذ يقرأ منها قائمة السلع التى يريد استيرادها من مصر ، كما قال انه يريد أن يجعل لمصر وضعا خاصا فى الكونغو وأنه مستعد لاعطاء مكاتبنا التجارية فى ليوبولدفيل امتيازات لم تأخذها دولة أخرى وانه جاهز لتوقيع ما يضمن لنا هذه المزايا وهو فى القاهرة ، ثم ختم حديثه بطلب مقابلة جمال عبد الناصر وألح فى هذا الطلب .

وقلت لتشومبى أن مصر ترحب وتسعى دائما لتدعيم علاقتها بالكونغو حكومة وشعبا ولكن ليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عن العلاقات المصرية الكونغولية فهناك أمور يجب تسويتها أولا . أما مقابلة عبد الناصر فهو أمر يصعب تحقيقه فى الوقت الحالى لانه قد كرس وقته كله للمؤتمر ، وأضفت قائلا اننى مع ذلك سوف أنقل لعبد الناصر كل ما دار فى هذا الحديث تفصيلا .

وخرجت وأنا أعجب لهذا الرجل الذى تصور انه بهذه الطريقة يستطيع شراء سكوت عبد الناصر ! ! ولكن هكذا كان تشومبى .

كان تشومبى داخل قصر العروبة يعامل معاملة رئيس حكومة ، ولكن وضعت حراسة مشددة على القصر لا تسمح له بمغادرته واحتشد القصر بعدد كبير من السكرتيرات البلجيكيات اللاتى اصطحبهن تشومبى معه ضمن الوفد المرافق ، وكانت هذه هى عادته اينما ذهب ، كما كان من بين أعضاء وفده عدد من الخبراء البلجيك .

وقد احضر تشومبى معه كميات كبيرة من المأكولات المعلبة ، وكان لا يأكل شيئا يقدم له من غير ما استجلبه معه حرصا على حياته ، ورغم

ذلك كانت تعد له مائدة الطعام بانتظام وفى كل وجبـــة ولكنه كان يعتمد فقط على معلباته حتى مياه الشرب أحضرها معه معلبة .

وفى المساء استطاع عبد الناصر أن يحصل على موافقة اجماعية من جميع رؤساء الدول الافريقية التى حضرت المؤتمر ، بأن تشومبى ليس له الحق فى حضور المؤتمر طالما ان اللجنة الخاصة بالكونغو التى يرأسهـــا جومو كيناتا بتكليف من منظمة الوحدة الافريقية لم تنتهى من مهمتها ، وكلفنى عبد الناصر مرة أخرى بأن أذهب لابلاغ تشومبى بهذا القرار وذلك بصحبة ديالوتيلى سكرتير منظمة الوحدة الافريقية .

وكانت صدمة جديدة لتشومبى وخاصة عندما عرف ان هذا القرار اتخذ بالاجماع ، وحاول ديالوتيلى أن يقنع تشومبى بمغادرة القاهرة حتى لا تتعقد الامور اكثر من ذلك ، ولكن تشومبى كان غاضبا واتهم ديالوتيلى بأنه يعمل لحساب دول الدار البيضاء وانه يساعد مصر على تحقيق أهدافها . وحاول ديالوتيلى أن يهدىء من روعه ولكن دون جدوى . وانصرفنا تاركين تشومبى وقد خرجنا بانطباع انه لم يستسلم بعد لقرار المنع من حضـــور المؤتمـــــر .

لم تمضى بضعة ساعات على اعلان قرار منع تشومبى من حضور مؤتمر القمة لعـــدم الانحياز حتى وصلتنا برقية من سفارتنا فى ليوبولدفيل تفيد بأن القوات الكونغولية تحاصر السفارة وتمنع الدخول والخروج . وان بعض افراد العائلات المصرية حاولوا احضار بعض الاطعمة والاحتياجات الضرورية اللازمة لهم ولاولادهم ولكنهم منعوا من ذلك .. وكانت السفارة تحتل مبنى كبيرا فى ليوبولدفيل يضم مكاتب السفارة وبعض ملحقاتها وكذلك يسكن فيه عدد من أعضاء السفارة وعائلاتهم .

بعد دقائق من وصـــول هـــذه البرقية كنت فى طريقى الى تشومبى مـــرة ثالثة بناء على تكليف جمال عبد الناصر . وعندما دخلت على تشومبى هذه المرة رفضت الجلوس وتحدثت واقفا وظل تشومبى واقفا ايضا يستمع الى ما اقول وقد بدأ على ملامح وجهه علامات التعجب وكأنه لا يصدق ما يسمع .

فقد أبلغت تشومبى بخبر الحصار الـــذى فرض على سفاراتنا فى ليوبولدفيل واضفت قائلا اننى أبلغه باسم الحكومـــة المصرية أنه لن يخرج من هذا المكان الا اذا خرج جميع أعضاء سفارتنا فى ليوبولدفيل وعائلاتهم وتواجدوا جميعا فى برازافيل سالمين .

بعد فترة صمت قصيرة تكلم تشومبى متساءلا عما يمكن أن ننتظره منه فى ذلك الوقت وأى شىء يستطيع أن يفعله وهو فى هذا المكان . فقلت له هذا شأنك فأنت رئيس الحكومة التى اصدرت تعليماتها بمحاصرة السفــارة وان كل ما استطيع ان افعله من جانبى هو أن أدبر له اتصــالا تليفونيــا بايوبولدفيل اذا رغب فى ذلك .

وبعد دقائق من مغادرة قصر العروبة استدعانى جمال عبد الناصر ، وعندما ذهبت لمقابلته كان معه الرئيس الجزائرى السابق احمد بن بللا الذى علمت منه أن سفارة الجزائر فى ليوبولدفيل هى الاخرى اصبحت محاصرة تماما كما حدث بالنسبة لسفارتنا هناك . وكلفنى عبد الناصر بالذهاب مرة رابعة لمقابلة تشومبى لاخبره بأن ما سبق قوله عن أعضاء السفارة المصرية وعائلاتهم ينطبق على اعضاء السفارة الجزائرية وعائلاتهــم ، بمعنى ان تشومبى لن يخرج من قصر العروبة الا اذا تواجد هؤلاء جميعا فى برازافيل .

وكان بن بللا ثائرا على تشومبى وتصرفاته وطلب بحماسه المعــروف من جمال عبد الناصر أن يسلمه تشومبى ليقوم بمحاكمته فى الجزائر عــلى جرائمه العديدة ومنها مقتل لومومبا ويخلص افريقيا من مشاكله ولكــن عبد الناصر لم يكن ليقبل بطبيعة الحال ان يقوم بمثل هذا العمل .

بعد ابلاغ تشومبى بهذه الرسالة الجديدة طلب التحدث تليفونيا الى مساعديه فى ليوبولدفيل وتم له ذلك مباشرة . وفى هذا الحديث قال تشومبى انه يعتقد ان القاهرة تدبر خطة لقتله ــ ويبدو انه كان مقتنعا بذلك واعطى محدثه التعليمات لفك حصار السفارتين فورا ونقل جميع أفرادها وعائلاتهم الى برازافيل وان تراعى كل الاحتياطات لوصولهم جميعا سالمين . كما طلب منه أن يستدعى عددا من الدبلوماسيين الاجانب المقيمين فى ليوبولدفيل ليكونوا شهودا على نقل اعضاء السفارتين وعائلاتهم ، لانه كما قال يخشى أن يدعى المصريون باختفاء واحد من هؤلاء ويتخذون من هذا الادعاء ذريعه لقتله هو .

كان هذا هو ما يفكر فيه تشومبى ولكن ذلك كان بعيدا عن تفكير اى احد فى القاهرة . فكل ما كان يهم عبد الناصر فى ذلك الوقت هو سلامة أعضــاء السفارتين المصرية والجزائرية . وقد استمر عبد الناصر يتابع بنفسه ساعة بساعة الموقف الى ان ابلغتنا سفارتنا فى برازافيل بوصول الجميع سالمين .

بعد ذلك أطلق سراح تشومبي ليعود الى ليوبولدفيل بعد أن مني بهزيمة سياسية جديدة بمنعه من حضور مؤتمر القمة لعدم الانحياز رغم مغامرته الجريئة ووصوله الى القاهرة دون اذن مسبق .

موقف مصر من الغزو البلجيكي الامريكي لستانلي فيل :

خلال شهر أكتوبر ١٩٦٤ كان المرتزقة الذين جندهم تشومبي يحرزون تقدما على الثوار الكونغوليين . وكان عدد هؤلاء المرتزقة يتزايد يوميا وتتدفق عليهم الاسلحة الامريكية الامر الذى دفع حكومة الثورة فى ستانلي فيل الى اعتقال جميع الرعايا البلجيك والامريكان الموجودين فى استانلي فيل وأعلنت الحكومة عن طريق اذاعتها فى استانلي فيل أنها سوف تحتفظ بهؤلاء الرعايا كرهائن الى أن يقف العدوان الاجنبي على الكونغو قاصدة بذلك العمليات التى يقوم بها المرتزقة وتدفق الاسلحة الامريكية على الكونغو .

حتى ذلك الوقت ومنذ المصالحة الوطنية التى تمت فى أغسطس سنة ١٩٦١ كانت القاهرة قد أوقفت مساعداتها المادية للثوار باعتبار أن ما كان يحدث خلال هذه الفترة فى الكونغو من صراع وقتال انما كان من شؤونه الداخلية ، كما كانت القاهرة تريد بذلك أيضا أن تعطى الفرصة كاملة لانجاح المصالحة الوطنية . واكتفت مصر فى هذه المرحلة بتحركها الدبلوماسى فى نطاق منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة محاولة ابعاد أى تدخل أجنبي فى الكونغو (٥)

وبعد ما حدث لتشومبي فى القاهرة وقفل سفارتنا فى ليوبولد فيل وجه جبينى رئيس حكومة ستانلي فيل الثورية نداءا من خلال اذاعة ستانلي فيل يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٦٤ طالبا من القاهرة أن تعترف بحكومتة ولكن مصر لم تستجب لهذا النداء الذى وجه فى نفس الوقت الى كل من الجزائر وغانا وغينيا ومالى . ولم تعترف مصر بحكومة جبينى حتى ذلك الوقت التزاما منها بسياسة عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للكونغو .

ولكن اعتقال الرعايا البلجيك والامريكيين فى ستانلي فيل كان بداية لتطورات خطيرة فى الكونغو ، فقد تدخل الرئيس جوموكنياتا على الفور لتهدئة الموقف المتأزم والناجم عن هذه الاعتقالات فأصدر كنياتا نداءا للاطراف المعنية يناشدها وقف العدوان فورا وطالب حكومة ستانلي فيل بتأكيد سلامة المدنيين من الاجانب المعتقلين .

وفى ٢٣ نوفمبر جرت مباحثات فى نيروبى عاصمة كينيا بين سفير الولايات المتحدة الأمريكية وبين وزير الخارجية فى حكومة ستانلى فيل « توماس كانزا » تمت تحت رعاية الرئيس كنينا شخصيا وديالوتيلى سكرتير منظمة الوحدة الافريقية ، وفى اليوم التالى كانت المباحثات قد قامت شوطا لا بأس به وصدرت تأكيدات من ستانلى فيل بتأمين سلامة الرعاية الأجانب، الأمر الذى اعطى الكثير من الأمل فى انفراج الازمة .

وفى نفس هذا اليوم ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤ ووسط هذا الجو الجديد من التفاؤل فوجىء العالم بعملية غزو مسلح لستانلى فيل قامت بها بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكة . فقد قامت قوات المظلات البلجيكية محمولة بطائرات أمريكية بغزو المدينة واحتلال المطار والمرافق الهامة .

والعجيب انه ازهقت فى هذه العملية أرواحا كثيرة من المدنيين البلجيك والأمريكيين المحتجزين كرهائن كانت قد تأمنت سلامتهم بعد تدخل كينياتا وتعهدات حكومة ستانلى فيل لولا هذا الغزو الذى ادعت بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية أن الغرض منه كان انقاذ حياة الرعاية المحتجزين .

اعتبرت القاهرة هذا العمل عملا عدوانيا سافرا من جانب الاستعمار البلجيكى وأمريكا على شعب الكونغو . كما اعتبرته سابقة خطيرة يمكن أن يتعرض لها أى شعب آخر يريد الاستقلال الكامل ويرفض السيطرة الأجنبية وكانت هذه هى المرة الأولى التى تشهد فيها أفريقيا غزوا استعماريا مسلحا بعد أن ارتفعت أعلام الاستقلال الكثيرة فى القارة الافريقية وما صاحب ذلك من اعتقاد بأن عصر الغزو قد انتهى الى الأبد باعتباره لونا من ألوان الاستعمار التقليدى القديم الذى انتهى عصره . كما فضح هذا العمل مرة أخرى السياسة الامريكية فى أفريقيا وفى الكونغو على وجه الخصوص .

وتغير الموقف فى الكونغو من وجهة نظر عبد الناصر بعد هذا الغزو . فلم تعد صرخة الثوار الكونغوليين واستغاثتهم بسبب حكم رجعى فاسد أو حتى بسبب عملاء تشومبى من المرتزقة العنصريين ، وانما أصبح الثوار يواجهون غزوا اجنبيا مباشرا لا يمكن السكوت عليه والا كان اهدارا للكثير من القيم والمبادىء التى لم يمض على اعلانها من القاهرة الا أياما عندما عقد مؤتمر عدم الانحياز الثانى وقبله مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية .

ومن أجل هذه الاعتبارات هاجم جمال عبد الناصر الولايات المتحدة الامريكية وبلجيكا هجوما عنيفا لقيامها بهذا الغزو ، وأعلن فى خطاب شهير على العالم أجمع أن مصر تقف مع الثورة الكونغولية ضد هذا الغزو وانها ستقدم العون لشعب الكونغو ممثلا فى قيـــادته الثورية التى تقف فى وجه الاستعمار البلجيكى والعدوان الأمريكى .

بدأت مرحلة جـــديدة فى علاقة مصر بالثورة الكونغولية بعد الغزو الأمريكى البلجيكى . فتحت القاهرة أبوابها من جديد للثوار الكونغوليين ليتخذوا منها مرة أخرى قاعدة لهم . وقد ساعد على ذلك قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ فى السودان التى كانت قد أطاحت بحكم اللواء عبود وشكلت حكومة سر الختم من تحالف القوى الوطنية السودانية التى كانت تشتمل على عناصر تقدمية عديدة . وأعلن النظام الجديد فى السودان وقوفه بجـــانب القوى التقدمية فى أفريقيا ومساعدة حركات التحرير فيها .

وأمكن للقاهرة باتفاق مع حكومة السودان تأمين طريق اتصال برى من جوبا فى جنوب السودان الى المناطق التى كان يسيطر عليها اللومومبيون فى الاقليم الشمالى الشرقى للكونغو المتاخم لحدود السودان . وقمنا بعمل مركز أمامى للاتصال والامداد فى جوبا وبدأت حركة مستمرة لطـــائرات النقل التابعة للسلاح الجوى المصرى بين القاهرة وجوبا . فتدفقت الأسلحة للحكومة السودانية التى كانت تخشى تسرب كميات من الأسلحة والذخيرة الكثيرة التى تمر عبر الجنوب الى ايدى المتمردين السودانيين لان ذلك كان يسبب مخاوف للحكومة السودانية . ولكن عبد الناصر كان يتدخل شخصيا كلما حاولت السلطات السودانية وقف هذا الطريق ، بعد التزامنا بوضع كل الضمانات التى تطمئن اليها الحكومة السودانية لتضمن أمنها وسلامتها دون أن تتوقف عملية امداد الثوار الكونغوليين باحتياجاتهم .

واستؤنفت فى القاهرة عمليات تدريب الكوادر العسكريـــة للثوار ووضعت الاذاعة الموجهة من القاهرة الى الكونغو باللغات المحلية مـــرة ثانية فى خدمة الثوار وعادت جميع المساعـــدات والتسهيلات التى كانت تقدمها القاهرة لهم من قبل .

وفى هذه المرة لم تكن القاهرة هى القاعدة الوحيدة التى ترتكز عليها الثورة فى الامداد والمساعدة،فقد كانت هناك برازافيل ودار السلام.وأصبح بالكونغو ثلاث جبهات يقاوم فيها الثوار . الجبهة الأولى فى وسط الكونغو

وترتكز على برازافيل والثانية فى الشرق وقاعدتها فى دار السلام عاصمة تنزانيا والثالثة فى الاقليم الشمالى الشرقى الذى اصبحت قاعدته القاهرة من خلال السودان .

وكانت هذه الجبهات الثلاث معزولة عن بعضها ، كما أن صفوف الثوار كان قد اصابها التفكك وظهرت بين قادتها الخلافات وذلك بعد النصر السريع الذى كانت قد احرزته قوات تشومبى من المرتزقة العنصريين وكذلك لغياب القيادة القادرة على تكتيل كل العناصر الثورية وخاصة العسكرية حولها . وفى اعتقادى أن الشخصية الوحيدة التى كانت تستطيع ذلك حينئذ هو بيير موليلى ، ولكنه كان معزولا فى وسط الكونغو حيث كانت هذه اصعب الجبهات الثلاث فى الاتصال بالخارج وتلقى الامداد ، لأن تشومبى سرعان ما سيطر بقوات المرتزقة على المناطق المتاخمة لنهر الكونغو على حدود الكونغو برازافيل واصبح الاعتماد فى الامداد والاتصال فقط على التسلل . ورغم ذلك كانت منطقة موليلى هى أول من أشعل الثورة بعد انهيار المصالحة الوطنية وكان ذلك فى اقليم كويلو (kuilu) كما كانت هذه المنطقة هى اخر المناطق التى القت السلاح فى الكونغو بعد ذلك .

كان عبد الناصر يعلم ان الموقف العسكرى فى الكونغو ليس فى صالح الثوار ، ورغم ذلك قرر الوقوف بجانب الثورة ومساعدتها . وأعلن عبد الناصر موقفه هذا على العالم كله لايمانه بأنه لا يجوز أن يقف شعب الكونغو وحده طالما هو مستمر فى المقاومة وحمل السلاح ضد غزو أجنبى مسلح بغض النظر عن النتيجة العاجلة . فهذا هو ما يفرضه التضامن بين القوى الثورية . ومهما يكن الأمر فان الشعوب تجنى دائما ثمار نضالها فى النهاية وان طال الانتظار . هذا بالاضافة الى أن عبد الناصر كان لا يريد أن تمضى بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية بفعلتها الشنعاء دون أن تجد رد الفعل الذى يتناسب مع هذه الفعلة داخل الكونغو وخارجه بغض النظر ايضا عن النتيجة المباشرة . فالمعركة اصبحت شاملة بين الاستعمار والامبريالية فى جانب وجميع الشعوب التى تقاوم السيطرة الأجنبية فى الجانب الآخر .

اما على الصعيد الدبلوماسى فقد احدثت عملية الغزو الأمريكى البلجيكى أصداءا واسعة . ففى الأمم المتحدة تقدمت ثمانية عشر دولة افريقية منها مصر بمشروع قرار لمجلس الآمن تدين فيه التدخل الأمريكى البلجيكى . وهنا حدث الانقسام مرة اخرى بين الدول الافريقية .

ففى الوقت الذى ظهر فيه حماس هـذه الدول الثمانية عشر ضد الغزو الآجنبى للكونغو ، كانت هنـاك حكومات افريقية أخرى قد ارتبطت باتفاقيات عسكرية مع الدولة التى كانت تستعمر بلادها قبـل الاستقلال . ومعنى ذلك ان هـذه الدول كانت على استعداد لدعوة قوات الدولـة الاستعمارية فى حالة حدوث اضطربات داخلية لا تستطيع قمعها . وهى لذلك لا تريد الاعتراض على هـذا الذى تسميه تدخلا أجنبيا فى الكونغو باعتباره قد تم بموافقة تشومبى رئيس الحكومة .

وازاء هذا الانقسام بين الدول الافريقية عقد اجتماع لمجلس وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية فى نيويورك فى المدة من ١٦ ـ ٢١ ديسمبر وبعد مناقشات حامية تم التوصل الى صيغة تطالب مجلس الأمن بادانة التدخل الأجنبى والتوصية بحل افريقى لمشكلة الكونغو .

واخيرا تمخضت هذه الجهود الافريقية عن صدور قـرار من الأمم المتحدة فى ٣٠ ديسمبر ولكنه جاء قرارا هزيلا اكتفى « .. بالأسف للأحداث الأخيرة فى الكونغو ، ويشـجع منظمة الوحـدة الافريقية لبذل جهودها من أجل تحقيق المصالحة الوطنية » .

وعملت الدولة الافريقية الثوريـة ومنها مصر على احيـاء اللجنة الخاصـة بالكونغو والتابعة لمنظمة الوحـدة الافريقية حيث كانت هـذه اللجنة بمثابة السيف المسلط على رقبة تشومبى . فهى مكلفة بالمصالحة الوطنية وعليها تقديم تقريرها الى مجلس رؤساء الدول الافريقية فى دورته التى كان قد تقرر عقدها فى أكرا (أكتوبر سنة ١٩٦٥) وكان معنى ذلك بحث مشكلة الكونغو فى اجتماع رؤساء الدول الافريقية وهو ما لا يريده تشومبى بطبيعة الحال .

وقد حاول تشومبى عن طريق بعض مؤيديه فى مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذى عقد فى نيروبى (٢٢ فبراير سنة ١٩٦٥ ـ ٩ مارس) ان يستصدر قرارا بالغاء هذه اللجنة الخاصة . ولكنه فشل فى الحصول على الأغلبية اللازمة لذلك .

ورغم أن هذه اللجنة كانت قد توقفت عن مباشرة اى عمل ، الا ان مجرد وجودها كان يزعج تشومبى . فعندما اتخذ الرؤسـاء الافريقيين

قرارهم فى القاهرة بمنع تشومبى من حضور مؤتمر عدم الانحياز ، تحججوا بأن هذه اللجنة الخاصة لم تنته بعد من مهمتها . ومعنى ذلك أن تشومبى قد يواجه نفس الموقف فى اجتماع اكرا .

لم يستطع تشومبى ان يحقق نصرا دبلوماسيا داخل المنظمة الافريقية رغم أن قواته كانت تتقدم داخل الكونغو وتحقق انتصارات سريعة ، واصبح واضحا أن مجموعة دول الدار البيضاء هى الأقدر على الحركة داخل المنظمة وهى القادرة على جذبها فى الاتجاه الذى تريده بعد أن انضمت اليها دول جديدة دخلت فى عداد الدول الثورية مثل الكونغو برازافيل وبورندى ثم معظم دول شرق افريقيا . وكانت دول هذه المجموعة تتشاور فيما بينها اثناء اجتماعات المنظمة ويجتمع مندوبوها بطريقة غير رسمية لتنسيق مواقفهم وخاصة بالنسبة للكونغو .

وقد بدأ هذا التقليد — الخاص بالتشاور — فى القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٦٤ أثناء انعقاد مؤتمر القمة لعدم الانحياز . اذ دعا جمال عبد الناصر رؤساء وفود الدول الافريقية الثورية التى لها مواقف متشابهة تجاه مشكلة الكونغو للاجتماع بشكل غير رسمى للتشاور . وتم الاجتماع الأول فى الجناح الذى كان يقيم فيه عبد الناصر بفندق الهيلتون حيث كان ينزل جميع الرؤساء . وكان الغرض من هذا الاجتماع تأكيد تضامن هذه الدول وهى تواجه التحديات المختلفة نتيجة تأييدها للثورة الكونغولية ، وهو أمر كانت تحتاج اليه الدول المتاخمة للكونغو والتى كانت ترى فى استخدام تشومبى للمرتزقة العنصريين تهديدا لامنها وسلامتها .

نهاية الأزمة الكونغولية ونتائجها :

كان من نتيجة الانقسام فى مواقف الدول الافريقية حيال مشكلة الكونغو داخل منظمة الوحدة الافريقية ان عادت دول المجموعة الفرنسية الى التكتل من جديد مكونة المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية .
(O. C. A. M) Organization Commune Africaine et Malagache

ولا شك ان تكتل هذه المجموعة من جديد وبالشكل الذى تم به كان على حساب الوحدة الافريقية الشاملة واضعف من تماسك المنظمة الافريقية .

وقد أعلن عن قيام المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية فى ١٢ فبراير سنة ١٩٦٥ فى نواكشوت (عاصمة موريتانيا) حيث أجتمع رؤساء هذه الدول وكان موضوع الكونغو هو أهم موضوعات بحثهم . وفى اجتماعهم الثانى فى ٢٦ مايو سنة ١٩٦٥ الذى عقد فى ابيدجان تمت الموافقة على ضم الكونغو ليوبولدفيل الى عضوية المنظمة ، وحضر تشومبى الجلسة الختامية لهذا الاجتماع . وتعهد المجتمعون بتقديم كل المساعدات الممكنة للكونغو ليوبولدفيل .

وقد اعتبر تشومبى دخوله هذه المجموعة انتصارا دبلوماسيا كبيرا . فقد حصل بذلك على اعتراف وتأييد جزء من أفريقيا وهو أمر يعزز انتصاراته العسكرية التى كان يحرزها ضد الثوار .

ومرة اخرى وبسبب الكونغو أصبحت أفريقيا منقسمة على نفسها انقساما خطيرا هدد منظمة الوحدة الافريقية وامكانية أستمرارها عندما اعلنت مجموعة دول المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية منذ اجتماعها الأول انها ستقاطع اجتماع الرؤساء لمنظمة الوحدة الافريقية والذى كان قد تقرر عقده فى أكرا متحججين بأن غانا تقوم بنشاط هدام فى بعض دول هذه المجموعة .

ورغم أن تشومبى كان قد نجح فى السيطرة على أهم المدن فى الكونغو الا انه كان غير قادر على القضاء نهائيا على الثورة . فالثوار يدخلون حدود الدول المجاورة فى تنزانيا وبرازفيل والسودان واوغندا ويتخذون منها قواعد لهجومهم ومنها ايضا تتسرب الأسلحة الى ايدى الثوار . وأصبح التسلل الى أى مكان فى الكونغو ، أمر عاديا يحدث كل يوم .

وأدرك كازافوبو رئيس الجمهورية ان مشكلة الكونغو لن يكون لها حل طالما هو يتحدى المشاعر الافريقية باستخدام المرتزقة الأوروبيين وبوجود تشومبى رئيسا للوزراء . كما أدرك أنه غير قادر على أخماد الثورة طالما بقيت مساعدة الدول المجاورة وأن عليه أن ينهى مشاكله مع هذه الدول اذا أراد أستقرار الأوضاع فى الكونغو .

وقبل انعقاد مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية فى أكرا (أكتوبر ١٩٦٥) بأيام قليلة قام كازافوبو بعزل تشومى تمهيدا للتخلص

من المرتزقة الاوروبيين وأصبح بذلك قادرا على حضور اجتماع أكرا دون أن يواجه المتاعب التى كانت تنتظره .

وحضر كازافوبو بالفعل اجتماع الرؤساء الافريقيين فى اكرا بعد أن اشترط حذف موضوع الكونغو . وقد فسر الرؤساء الافريقيون موقف كازافوبو الجديد من عزل تشومبى والاعلان عن نيته فى التخلص من المرتزقة الاوروبيين ، على انه تحول من ناحيته نحو سياسة وطنية افريقية وهكذا استقبل الرئيس الكونغولى فى الاجتماع استقبالا حسنا واصبح مقبولا على المستوى الافريقى كله . وانتهت بذلك مشكلة الكونغو داخل منظمة الوحدة الافريقية كما انتهت كمشكلة أفريقية قسمت القارة فترة من الزمن .

واستطاع كازافوبو بهذا التحول فى سياسته ان يعيد علاقته بكثير من الدول الثورية فى افريقيا — وخاصة الدول المجاورة للكونغو — الى حالتها الطبيعية وخصوصا بعد أن بدأ فى الاستعانة بكثير من العناصر اللومومبية فى أجهزة الدولة .

وكانت القيادات اللومومبية نفسها قد تبعثرت ، بعضها تعاون مع كازافوبو واعتبر انه بذلك يعود الى وضع المصالحة الوطنية التى سبق التوصل اليها عام ١٩٦١ . والبعض الآخر تواجد خارج الكونغو رافضا كل الحلول الوسط ولكن بعد ان كان قد فقد فاعليته فى الداخل ، والقليل مثل بييرموليلى الذى بقى فى داخل البلاد يقاوم حكم كازافوبو .

ولكن الثورة الكونغولية كانت قد فقدت الدوافع الاساسية التى كانت تحرك بواسطتها جماهير الشعب الكونغولى . فوحدة الكونغو لم تعد مهددة وتشومبى اختفى من المسرح السياسى واصبح يعيش فى منفاه فى أوروبا . كما ان وجود المرتزقة الاوروبيين لم يعد مشكلة بعد أن وعد كازافوبو بالتخلص منهم جميعا .

ولكن الاحوال لم تستقر كما اراد لها كازافوبو ، ففى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ قام الجنرال موبوتو قائد الجيش بعزل كازافوبو ونصب نفسه رئيسا للجمهورية . واعتبرت معظم الدول الافريقية ومنها مصر أن هذا الحدث من شؤون الكونغو الداخلية ، وخاصة ان موبوتو حاول منذ البداية

التأكيد على الوجه الافريقى للكونغو ، كما أنه لم يكن هناك فى افريقيا من يتباكى على اختفاء كازافوبو .

وفى نهاية الحديث عن الكونغو لنا أن نتساءل عما اذا كانت الاهداف التى من اجلها تدخل عبد الناصر فى مشكلة الكونغو قد تحققت . فالمعروف ان لومومبا الذى ذهبنا لنجدته قد قتل ، كما أن القوى الثورية فى الكونغو لم تحقق نصرا حاسما .

والحقيقة ان لومومبا وان كان قد قتل فقد انتصرت مبادئه دون شك ، وبقيت هذه المبادىء انشودة تتغنى بها أفريقيا الى يومنا هذا ، وأصبح لومومبا اسطورة تتحدث عنها أفريقيا كلها وكرم الزعيم الكونغولى بعد مماته فى كل انحاء الدنيا كما لم يكرم زعيم أفريقى قبله .

أما على صعيد الكونغو فقد تحققت له وحدة الارض وانتهت فكرة الانفصال أو البلقنة وهى أخطر ما واجهه لومومبا . ولولا وقفته الشجاعة منذ البداية وتضحياته التى توجها استشهاده لكان انفصال كاتنجا حقيقة قائمة الآن .

أما الاستقلال الذى أراده لومومبا للكونغو بعيدا عن أى سيطرة أجنبية فانه وان لم يكن قد تحقق حتى الآن ، الا أن شعب الكونغو ما زال يناضل فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وهو فى ذلك شأنه شأن الكثير من الشعوب التى تقاوم الاستعمار الجديد وتقاوم السيطرة الاجنبية فى جميع أشكالها وصورها من أجل أن تعود ثروة البلاد الى الشعب مالكها الاصلى . ولا شك أن ثورة لومومبا ستبقى دائما وقودا ومحركا لكل الثوار فى الكونغو وفى كل مكان آخر .

والغريب أن موبوتو نفسه — وكان هو قائد الجيش الذى قبض على لومومبا وسلمه الى تشومبى — قد بالغ فى تكريم ذكرى لومومبا بعد أن أصبح هو نفسه رئيسا للجمهورية ، فأقام له تمثالا ضخما لتخليد ذكراه . وقد حضرت بنفسى الاحتفال بوضع اساس هذا التمثال ، وحضره عدد كبير من رؤساء الدول الافريقية حيث كان ذلك اثناء انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى كينشاسا فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

وقد تكلم موبوتو فى هذه المناسبة عن لومومبا وبطولته فوضعه فى صف الانبياء والقديسيين واعتبره أعظم زعيم انجبته الكونغو وأفريقيا

كلها ، وكان ذلك أمرا مثيرا للدهشة ، الا ان موبوتو كان له تفسيره الذى كان يردده دائما ، فهو عندما قبض على لومومبا كان مجــرد رجل عسكرى ينفذ تعليمات رئيس الجمهورية (كازافوبو فى ذلك الوقت) وهذا ما كان يحتمه عليه — كما يدعى — واجبه العسكرى . اما وقد أصبح رئيســا يتحمل المسؤولية كاملة يجب حسب قوله — أن نفتح له صفحة جديدة .

وقد بالغ موبوتو عقب توليه الرئاسة فى التاكيد على الملامح الافريقية الخالصة لبلاده ، بعكس ما كان يسعى اليه تشومبى الذى كان يريد أن يسود كل ما هو اوروبى . ولكن موبوتو اهتم فى ذلك بالشكــل دون ان يهتم بالجوهر . فقد غير موبوتو اسم الكونغو لياخذ اسما افريقيا خالصا هو زائير كما غير اسم العاصمة ليوبولدفيل لتأخــذ اسما افريقيا هو كينشاسا وامتدت الافرقة الى اسماء كثيرة اخرى من بينها أسمه هو شخصيا . فقد تخلص من اسمه المسيحى الاوروبى « جوزيف » ليصبح اسما افريقيا هو « سيسى سيكو » Sese Seko وتصور انه يرضى القوى الوطنية فى الداخل بهذه التغيرات الشكلية كما أرضى المجتمع الافريقى الذى أدان تشومبى من قبل ورفض سياسته .

ونحن وان كنا نرى فى ذلك شيئا من السذاجة أو الاستخفاف بعقول الآخرين ، الا انه دون شك يوضح اتجاه الشعور الوطنى فى الكونغــو وفى افريقيا ، ذلك الشعور الذى كان يرفض السيطرة الاوروبية ويتطلع الى تأكيد ذاته الافريقية وهو ما ناضل من أجله لومومبا ومات فى سبيله ، ولا شك أن الشعب الذى رحب يوما من الايام بالتغيير الذى أصاب الشكل ، ما زال ينتظر التغيير الحقيقى الذى يمتد الى جوهر الامور .

لقد مات لومومبا ولكنه دخل عالم الخلود واصبح رمــزا للنضــال والثورة وحقق لبلاده وحدة الارض ، أما تشومبى الذى أصبح رمزا للخيانة والعمالة فقد ظلت فعلته الشنعــاء تطارده الى أن لقى حتفه فى معتقله بالجزائر ، فقد ضلت طائرته الطريق ودخلت خطأ فى الاجواء الجزائرية فأجبرت على الهبوط وتم القبض عليه .

واحتارت حكومة الجزائر فى كيفية التصرف معه فهى أن تركتــه ادانتها الشعوب الافريقية الساخطة على تشومبى وفى مقدمتهــا شعب الجزائر نفسه . وان سلمته لحكومة الكونغو التى كانت تلح فى طلبه تكون قد خالفت العرف والاصول الدولية ، لان معنى ذلك انها كانت ستسلمه لجلاديه وهى تعرف أن مصيره الاعدام حيث كان موبوتو يريد ذلك . فقــد

كان تشومبى يعمل من أجل الاطاحة بحكم موبوتو وينفق فى سبيل ذلك بسخاء من ملايينه التى هربها الى الخارج .

وانتهت حكومة الجزائر الى الابقاء على تشومبى محددة اقامته فى احد المنازل الى أن مرض ومات دون أن تشفع له ملايينه التى حاول دون جدوى أن يدفعها مقابل حريته .

وما لا شك فيه أن موقف جمال عبد الناصر من مشكلة الكونغو ومساندته الصريحة المخلصة لقوى الثورة هناك ، كان له الاثر الكبير فى ايجاد علاقات وروابط قوية بيننا وبين عدد من الدول الافريقية الاخرى التى كانت قد بدأت ثورتها على السيطرة الاجنبية بكل أشكالها واجبرت على خوض معارك ضارية مع الاستعمار مثل غينيا ومالى وغانا . وقد كان تعاون مصر مع هذه الدول فى مساعدة الثورة الكونغولية هو البداية الحقيقية لايجاد مقاومة جماعية فعالة ضد الاستعمار فى أفريقيا ، الامر الذى أقرته منظمة الوحدة الافريقية بعد ذلك فى اجتماعها الاول عندما أقرت تشكيل لجنة التنسيق أو لجنة تحرير أفريقيا ، مع تسع دول تعمل على تقديم العون المادى والمعنوى لحركات التحرير الافريقية باسم افريقيا كلها ومساهمة جميع دولها . وقد جاءت فكرة انشاء هذه اللجنة أساسا من الدول التى عملت متعاونة فى تأييد ثورة الكونغو ومنها مصر كما جاء تشكيلها فى معظمه من هذه الدول وكان ذلك بطبيعة الحال انتصارا لقوى التحرر والثورة فى افريقيا .

كان أيضا من النتائج المباشرة لما حدث فى الكونغو ، انتقال الثورة الى انجولا . فقد بدأت الشرارة الاولى لحرب التحرير الانجولية فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١ أى بعد مقتل لومومبا بأقل من شهر واحد ، وقد قامت بها الحركة الشعبية لتحرير أنجولا M. P. L. A. وهى الحركة التى تسلمت الحكم بعد الاستقلال وكان ذلك فى لواندا العاصمة . ثم امتدت الثورة فى أول مارس ١٩٦١ لتشمل مناطق انجولية جديدة وكانت هذه المرة بواسطة حركة أخرى برئاسة روبرتو هولدن الذى قاد حملة ناجحة من حرب العصابات متخذا من الكونغو نفسه قاعدة للهجوم والامداد بالسلاح مستفيدا بصلة القربى التى كانت تربطه بموبوتو قائد الجيش الكونغولى فى ذلك الوقت .

وهكذا أراد الاستعمار أن يكون لومومبا امثولة لمن تحدثه نفسه بالتمرد على الاستعمار والقوى التى يؤيدها ولكن الامر جاء على عكس ذلك فقد أصبح لومومبا مثلا يقتدى به وشجعت مواقفه البطولية على اسراع خطى التحرير فى أفريقيا .

ولقد أحست النظم العنصرية فى افريقيا بخطورة الموقف بعد احداث الكونغو لاقتراب الثورة من حدودها وفشل قوى الاستعمار التقليدى فى احتواء هذا التطور السريع للثورة الافريقية ، كما فشلت فى مواجهته بالعنف. فقام تحالف خطير بين الانظمة العنصرية الثلاثة فى جنوب أفريقيا والمستعمرات البرتغالية وروديسيا لمقاومة هذا التيار التحررى الجامح فى القارة . ولكن ذلك كله لم يمنع امتداد المقاومة الى داخل هذه المناطق نفسها . وانتهى أمر التحالف تماما بسقوط النظام الدكتاتورى فى البرتغال وتحرر المستعمرات البرتغالية . ولقد لعبت المقاومة الافريقية فى هذه المستعمرات دورا هاما فى تقويض دعائم النظام البرتغالى نفسه .

وهكذا كان الدور الذى قامت به مصر وموقف جمال عبد الناصر من مشكلة الكونغو دورا وموقفا ايجابيا ساهم فى دفع حركة التحرر الوطنى فى افريقيا نحو التخلص من السيطرة الاجنبية ومقاومة سياسة البلقنة التى يتبعها الاستعمار ضد الدول حديثة الاستقلال .

الفصل السادس

جمال عبد الناصر والوحدة الافريقية

* مفهوم الوحدة الافريقية .
* مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة .
* ميثاق الدار البيضاء ومرحلة التكتلات السياسية فى أفريقيا .
* قيام منظمة الوحدة الافريقية .
* أين تقع الوحدة الافريقية من الوحدة العربية ؟ !

كانت الوحدة الافريقية من أهم الموضوعات التى شغلت أفريقيا فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، وملأت عقول الشعوب والحكام على حد سواء ، والهبت مشاعر الجميع فى افريقيا كلها ، وتركت اثرها العميق فى تطورات الاحداث خلال هذه الفترة .

وقد كان لمصر بزعامة جمال عبد الناصر دورا تاريخيا بارزا فى بلورة مفهوم الوحدة الافريقية والطريق اليها . فعندما وقفت مصر بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ مع حركات التحرير وساعدت الثورات الافريقية وفتحت القاهرة ابوابها لتكون قاعدة للنضال الثورى فى القاهرة كلها ، كانت هذه هى أولى الخطوات الايجابية والعملية نحو وحدة القارة والاساس الذى قام عليه بعد ذلك بناء الوحدة الافريقية ، هذا البناء الذى ارتفع عام ١٩٦٣ ليصبح منظمة للوحدة الافريقية تضم جميع دول القارة . فقد كان موقف مصر هذا هو فى واقع الامر تجسيدا لوحدة العمل الثورى فى افريقيا .

مفهوم الوحدة الافريقية :

تكلمنا من قبل عن منبت هذه الظاهرة — ظاهرة الوحدة الافريقية — عندما كانت مجرد أفكار فى عقول المثقفين من الافارقة والزنوج الذين عاشوا فى امريكا وانجلترا وفرنسا ، واقصد بذلك حركة « البان افركانزم » او الجامعة الافريقية كما اصطلح على تسميتها ، وسلسلة المؤتمرات التى عقدت بأسمها فى عواصم هذه الدول .

وظلت هذه مجرد حركة فكرية الى أن استقلت غانا عام ١٩٥٧ ثم استقلت بعدها اعداد كبيرة من الدول الافريقية عام ١٩٦٠ . فأصبحت هذه الحركة الفكرية حركة افريقية جماهيرية لها أبعادها السياسية والاجتماعية وانطلقت فى جميع انحاء القارة الافريقية فى شكل ثورة عارمة .

ورغم هذه الثورة من أجل الوحدة الافريقية ، والتى تعلقت بها جميع شعوب القارة ، فقد بقى مفهوم الوحدة غير محدد . وتعددت الآراء بالنسبة لها وبالنسبة للطريق اليها .

فظهرت كلمات واصطلاحات جديدة مثل « القومية الافريقية » و « الوطنية الافريقية » و « الشخصية الافريقية » عرفت بأنها مرادفات او مشتقات لهذه الوحدة الافريقية ، ولكنها كلها لم تكن أقل غموضا من المدلول الذى كانت تتركه عبارة الوحدة الافريقية فى الاذهان .

فلا يمكن أن تكون هناك قومية قارية تشمل أفريقيا كلها بطبيعة الحال ، فاللغات واللهجات الموجودة فى القارة يتراوح عددها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ لغة ولهجة أى أكثر من نصف اللغات التى عرفت فى العالم كله .

واذا كان من المعروف أن القوميات هى المحرك الاول لقيام الوحدات السياسية واقامة الاوطان ، فالعكس كان هو الصحيح بالنسبة لافريقيا ، فالاوطان والدول الافريقية رسم حدودها الاستعمار دون اعتبار للتوزيع البشرى او مصلحة السكان . فأصبح الوطن الواحد يضم العديد من القبائل التى تختلف فى لغاتها وعادتها ودياناتها وأحيانا التكوين الانثربولوجى نفسه . وفى نفس الوقت نجد أيضا الكثير من الحدود السياسية التى أقامها الاستعمار وقد قسمت بين ابناء القبيلة الواحدة ليعيشوا فى دولتين مختلفتين او اكثر . لذلك أصبحت الاوطان الجديدة واللغات الجديدة التى أدخلها الاستعمار هى الوعاء الاساسى لخلق الوطنية والقومية الجديدة فى هذه القارة .

والعجيب أن المشاكل الناتجة عن هذه الاوضاع ــ وأقصد بها تعدد الدول واختلاف القوميات وحالة البلقنة التى فرضها الاستعمار على القارة ــ لم تكن عبئا على الوحدة الافريقية بمفهومها القارى ، بل على العكس من ذلك فقد كانت هذه نفسها من أسباب تعلق الافارقة بالوحدة الافريقية الشاملة وتطلعهم اليها باعتبار أن فى وحدة القارة حل لجميع هذه المشاكل بل ولمشاكلهم الاخرى كما يتصورون .

ففى وحدة القارة حل للمشاكل القبلية والمشاكل الناتجة عن بلقنة القارة وحدودها المصطنعة ، كما يجدون فيها حلا لمشاكل التفرقة العنصرية ،

وقبل كل شيء يجدون فيها القوة التى تجعل أفريقيا قادرة على مواجهـــة الاستعمار والتخلص من سيطرة الرجل الابيض .

ورغم أن بعض الزعماء الافارقة من أمثال انكروما وسيكوتورى كانوا ينظرون الى الوحدة الافريقية منذ البداية باعتبارها حركة تدخل فى صميم الثورة الافريقية ووضعوا تصوراتهم للوحدة فى شكل مشروعات محدده كما فعل انكروما حين طالب بمشروع الحكومة الواحدة لكل أفريقيا ، فقد ظل البعض الآخر وهو لا يرى من الوحدة الافريقية الا ذلك الجانب الرومانسى والذى يجعله يردد ــ دون تفسير أو تحديد ــ شعار « الاتحاد قوة » . ومن هؤلاء الرئيس توبمان الرئيس الراحل لجمهورية ليبيريا والذى عبر عن هذا المعنى عندما وقف فى جلسة افتتاح مؤتمر الدول الافريقية المستقلة فى أكرا عام ١٩٥٨ ليقص علينا قصة قديمة عبر بهـــا عن مفهومه للوحـــدة الأفريقيـــة .

ويتلخص مضمون هذه القصة انه حدث أن جلس احد زعماء القبائل الافريقية مع حكماء القبيلة فاقتحم مجلسهم ثعبان كبير الحجم ، فقاموا جميعا وتعاونوا على قتله ، وما أن فرغوا من هذه المعركة حتى تساءل الزعيـــم الافريقى اذا كان احدهم يستطيع أن ينبئه عن السبب الذى ادى الى مقتل الثعبـــــان .

وبعد أن فشل جميع الحاضرين فى اعطاءه الاجابة التى ترضيه قـــال متساءلا عما كان يحدث، لو أن الثعبان دخل عليهم ومعه عدة ثعابين أخرى .

فقالوا جميعا انه لو كان ذلك حدث لكانوا تركوا المكان فارين . وهنا قال الزعيم الافريقى : « اذن قتل الثعبان كونه وحيدا وبمفرده » .

وكان هذا المفهوم البسيط بجوانبه الرومانسية هو فى حقيقة الامر الذى حرك الافارقة جميعا وآثار حماسهم للوحدة الافريقية ــ واقصد مفهـــوم الوحدة التى تعطى القوة لمواجهة جميع متاعبنا والتغلب عليها .

ولكن الامر لم يكن بهذه البساطة عندما تعدت الامور مجرد الامانى ، وعقدت المؤتمرات الافريقية وبـــدأ المسؤولون من الزعمـــاء الافريقيين والحكومات الافريقية يضعون تصوراتهم ومشروعاتهم لهـــذه الوحدة ، فتصارعت الافكار وتضاربت الآراء نحو تحديد مفهوم هذه الوحدة الافريقية وطريقة تحقيقها وممارستها .

وكانت التساؤلات كثيرة وتعكس هذا التضارب . فهل تكون وحدة العمل الثورى هى المحرك الاول للوحدة الافريقية ؟ وبالتالى هل تكون الوحدة هى وحدة الدول الثورية القادرة على تدعيم الثورة فى افريقيا حتى تتحرر القارة من جميع الوان السيطرة الاجنبية ؟ واذا كان الامر كذلك الا يؤدى ذلك الى الصدام مع الحكومات الافريقية التى لا تستطيع أن تسير فى ركب الثورة ؟ وما هو الموقف بالنسبة للحركات الثورية فى مثل هذه الدول ؟ وما هى حدود التدخل فى شؤون الغير ؟ .

أم أن الوحدة الافريقية تعنى مجرد تجمع الدول المستقلة فى القارة والتحالف فيما بينها فقط فى حدود ما يمكن أن تتفق عليه جميع الدول الافريقية؟ واذا كانت هذه هى الوحدة ، الا يكون ذلك تفريغا للوحدة من مضمونها الثورى فى سبيل التمسك بالشكل فقط ؟ !

وما هو الموقف بالنسبة للوحدات الاقليمية ؟ أهى معاكسة للوحدة الشاملة أم أنها خطوة نحوها ؟ ثم ما هى الوحدة التى نريدها لدول أفريقيا أهى وحدة دستورية ؟ وهل توجد المقومات الكافية بين الشعوب الافريقية لقيام مثل هذه الوحدة وضمان استمرارها ؟ ومئات الاسئلة الاخرى التى لم يكن من السهل أن نجد لها الاجابة التى يقبلها جميع الافارقة .

واستمرت هذه التساؤلات والتناقضات والصراعات حول الوحدة الافريقية ومفهومها الى أن استطاع الافارقة فى مايو سنة ١٩٦٣ أن يتوصلوا الى صيغة قبلها الجميع وأصبحت هذه الصيغة دستورا للوحدة الافريقية الا وهى ميثاق منظمة الوحدة الافريقية .

والى أن تم ذلك شهدت القارة العديد من الاجتماعات والمؤتمرات بعضها على المستوى الرسمى وبعضها على المستوى الشعبى كما شهدت قيام التكتلات والتنظيمات السياسية التى تكونت كلها باسم الوحدة ومن اجلها .

ورغم أن هذه الحركة الواسعة من المؤتمرات والتكتلات أظهرت الكثير من التناقضات والصراعات الموجودة فى افريقيا ، الا انها كانت ضرورية لبلورة الصيغة النهائية للوحدة ، كما كانت ضرورية لتحطيم الكثير من الحواجز التى اقامتها الانظمة الاستعمارية المتباينة بين شعوب القارة .

وقد شاركت مصر وشارك عبد الناصر مشاركة ايجابية وفعالة فى الجهود التى بذلت من أجل بلورة الوحدة الافريقية وكان دور مصر دورا بارزا

ومؤثرا فى جميع المراحل التى ادت فى نهاية الامر الى قيام منظمة الوحدة الافريقية .

مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة :

كانت مرحلة هامة فى تاريخ الوحدة الافريقية تلك المرحلة التى تمت فيها عدة لقاءات عرفت « بمؤتمرات الدول الافريقية المستقلة » C.I.A.S. وكان أهمها أول هذه المؤتمرات الذى دعى اليه كوامى انكروما وعقد فى اكرا فى ابريل سنة ١٩٥٨ .

وجاء هذا الاجتماع ايذانا بنقل الحركة الافريقية أو حركة « البان افريكانزم » من عواصم اوروبا وامريكا الى قلب القارة الافريقية نفسها . كما كان أول دعوة عملية لفكرة الوحدة الافريقية ارتفع فى أعقابها شعار هذه الوحدة التى خفقت لها قلوب الافارقة فى كل مكان .

ورغم ان هذا المؤتمر شانه فى ذلك شان الاجتماعات المنبثقة عنه ، لم يحدد المفهوم الكامل أو العملى للوحدة الافريقية ، الا أنه نجح فى تاكيد معانى معينة ربطت بصفة نهائية بمفهوم هذه الوحدة .

فقد جاء هذا المؤتمر بمثابة الضربة القاضية لفكرة الفصل بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء . وسقطت الصحراء كعازل اريد له أن يفصل بين شمال القارة وجنوبها . واخذت الوحدة الافريقية المفهوم القارى ، او وحدة القارة بجميع اجزائها ، وذلك عندما اجتمعت الثمان دول الافريقية المستقلة فى ذلك الوقت وكان بينها خمس دول عربية . وانقذت بذلك الحركة الافريقية والوحدة الافريقية وبصفة نهائية من أن تكون مجرد رد فعل لما يلاقيه الافارقة من مرارة التفرقة والاضطهاد العنصرى .

وقد ذهب انكروما الى حد بعيد فى محاولة ابعاد شبهة التعصب العنصرى عن الحركة الافريقية عندما وجه الدعوة أيضا الى حكومة اتحاد جنوب أفريقيا لحضور هذا المؤتمر . الا أن جنوب افريقيا اشترطت دعوة الدول الاستعمارية أيضا باعتبارها « قوى مسؤولة فى أفريقيا » فأسقط انكروما دعوته التى لم تتكرر بعد ذلك .

والمعنى الآخر الذى تاكد منذ المؤتمر الاول للدول الافريقية المستقلة والتصق بصفة نهائية بمعنى الوحدة الافريقية هو العمل الافريقى المشترك من أجل انهاء الاستعمار وتحميل الدول الافريقية المستقلة مسؤولية خاصة

نحو المساعدة فى تحرير الشعوب الافريقية التى ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار ، سواء كان ذلك عن طريق الامم المتحدة أو عن طـريق تقديـم المساعدة المباشرة . وكان هذا المفهوم هو أبرز الجوانب الايجابية الملموسة فى مفهوم الوحدة الافريقية . واعطى هذا المفهوم الدول الافريقية المستقلة الحق والشرعية فى المطالبة باستقلال هذه الدول وتبنى قضاياها فى المحافل الدولية وخاصة فى الامم المتحدة .

واذا كان لنا أن ترجع الكثير من الفضل فى تحقيق هذه المفاهيم لرئيس غانا الراحل كوامى انكروما الذى وجه الدعوة للدول العربية لحضور أول مؤتمر يأخذ الصفة الرسمية فى أفريقيا باعتباره اجتماع حكومات ، فلابد لنا أن نذكر ان الجهود التى كانت قد بذلتها مصر لتأكيد وجهها الافريقى وحركة عبد الناصر الواسعة فى المجال الافريقى هى التى جعلت دعوة انكروما على هذا النحو أمرا ممكنا . ولذلك فقد جاءت نتائج هذا المؤتمر نجاحا لسياسة عبد الناصر الافريقية وتتويجا لجهوده المستمرة فى مساعدات حركات التحرير الافريقيـــة .

ولم يكن هذا هو المكسب الوحيد الذى خرجت به مصر والدول العربية من هذا المؤتمر وانما كان أعظم ما حققه العرب هو الاهتمام البالغ والتأييد الذى حظيت به الثورة الجزائرية وتبنى الافارقة لها باعتبارها ثورة أفريقية .

فقد أتيح لممثلى جبهة التحرير الجزائرية فرصة عرض قضيتهم على المؤتمر . فقدموا ثورتهم باعتبارها ثورة أفريقية بجانب كونها ثورة عربيـــة . وكان هذا خطا ذكيا فى استراتيجية الثورة الجزائرية استفادت منه الجزائر التى حصلت على تأييد الافارقة كما أفاد ذلك كثيرا فى تدعيم الصلة بين العرب وبقية الافـــارقة .

وقد اعترف المؤتمر بجبهة التحرير الجزائرية باعتبارها الممثل الشرعى للجزائر ، كما أكد المؤتمر تصميم الدول الاعضاء على تقديم كل مساعدة ممكنة لشعب الجزائر لتحقيق استقلاله . وقرر المؤتمر أن تقـــوم ثلاث بعثات دبلوماسية مشتركة تتكون كل بعثة من ممثلى ثلاث دول من دول المؤتمر ، تطوف الدول الاسكندنافية ودول وسط أمريكا وأمريكا الجنوبية تدعوا للقضية الجزائرية فى محاولة للحصول على أصوات هذه الدول لتأييد القرار الخاص بالجزائر فى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وكان من نتيجة هذا التحرك ان اشار قرار الامم المتحـدة الخاص بالجزائر فى هذه الدورة (عام ١٩٥٨) ولاول مرة الى وجود الحرب الجزائرية ولم تعد الامم المتحدة تنظر لما يحدث فى الجزائر باعتباره من شؤون فرنسا الداخلية كما كان الوضع قبل ذلك .

وقد نجحت الحكومة المؤقتة للجزائر بعد ذلك فى حمل وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة على الاجتماع اجتماعا طارئا لبحث المزيد من سبل التأييد والمساعدة للثورة الجزائرية وذلك فى صيف عام ١٩٥٩ فى منروفيا . واعترفت غينيا التى كانت قد استقلت بالحكومة الجزائرية المؤقتة اثناء انعقاد هذا المؤتمر كما اعترفت ايضا من دول افريقيا الغير عربية ، غانا ولكن قبل المؤتمر مباشرة .

وهكذا اصبحت الثورة الجزائرية فى حركتها العـالمية تعتمد اعتمادا كبيرا على تأييد الافارقة بجانب التأييد العربى ، مستفيدة بذلك القدر من التضامن الافريقى الذى كان قد حققه مؤتمر الدول الافريقية المستقلة .

وكان من نتائج مؤتمر اكرا ايضا ــ فيما يتعلق بالوحدة ــ ظهور الوجود الافريقى على المستوى الدولى ، اى اعتراف المجتمع الدولى بوجود كيـان افريقى يضم الدول الافريقية المستقلة . ولا شك ان ذلك كان فى اتجاه تاكيد الشخصية الافريقية فى المجال الدولى . فقد اتفقت الدول التى اشتركت فى مؤتمر اكرا على أن تتكون « سكرتارية دائمة غير رسمية » من مندوبيها فى الامم المتحدة تكون مهمتهم التنسيق بالنسبة للمسائل ذات الاهتمام المشترك لدولهم ، والتحضير لاجتماعات الدول الافريقية المستقلة والعمل على تنفيذ قراراتها . وكان هذا هو بداية تكوين المجموعة الافريقية فى الامم المتحـدة والتى استطاعت افريقيـا من خلالهـا أن تكون قـوة لها تأثيرهـا فى المجتمـع الدولى .

واصبحت الامم المتحدة تعترف بأفريقيا كوحدة اقليمية واحـدة فبعد ان كانت تتجه دائما الى ادخال شمال أفريقيا فى منطقة الشرق الاوسط ــ وهو أمر كانت ترفضه الدول العربية حتى لا تشترك مع اسرائيل فى منظمة اقليمية واحدة ــ نجد الامم المتحدة فى شهر مايو سنة ١٩٥٨ تنشىء اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة لها "E.C.P." وتضم جميع دول القارة بما فيها دول شمال افريقيا واتخذت اديس ابابا مقرا لهذه اللجنة .

وجاء المؤتمر الثانى للدول الافريقية المستقلة فى اديس ابابا (يونيـو

١٩٦٠) وفى هذا المؤتمر ظهرت التناقضات والصراعات لاول مـــرة حـــول مفهوم الوحدة الافريقية . فقد كان السؤال الذى فرض نفسه على كـــل مناقشات المؤتمر ثم بقى مطروحا بعد انتهاءه يثير كثيرا من الجدل والنقاش فى افريقيا ، هو ما اذا كانت الوحدة التى ينشدها الافريقيون ستكون وحدة العمل الثورى ، أم أن الافارقة سوف يكتفون بأن تكون هذه الوحدة مجرد تجمع لجميع الدول الافريقية المستقلة بقصد تنمية التعاون فيما بينها فحسب .

وقد كانت دول جديدة قد استقلت وتحضر المؤتمر لاول مرة ، ومنها غينيا التى كانت بحكم ظروف استقلالها ومعركتها مع فرنسا من أكثر الدول الثورية راديكالية وأكثرها حماسا لوحدة العمل الثورى فى أفريقيا . ومنها أيضـــا الكاميرون التى كانت قد قبلت الارتباط مع فرنسا . وحضرت نيجيريا باعتبار أنه قد تحدد تاريخ استقلالها فى نفس العام وكانت قد قررت هى الاخرى الارتباط مع المملكة المتحدة باتفاقات عسكرية وروابط اقتصادية وسياسية أخـــــرى .

كان التباين الصارخ فى سياسة هذه الدول مدعاة لظهـــور التناقض والصراع على مفهوم الوحدة الافريقية عند بحث موضوعات معينة . وكان أهم هذه الموضوعات هو طلب اتحاد شعب الكاميرون (حزب الـ"U.P.C." حضور المؤتمر بصفة مراقب او على الاقل عرض قضيه بلاده على المؤتمر وهو اجراء سبق أن اتخذ فى اجتماع الدول الافريقية المستقلة الاول فى اكرا .

وتحمس وفد غينيا لهذا الطلب ، فقد كان سيكوتورى قد فتح بلاده لحركات التحرير والتنظيمات المعارضة فى الاقاليم الفرنسية ومنها حزب اتحاد شعب الكاميرون الذى كان يقود الثورة فى بلاده منذ اشتعالها عام ١٩٥٦ . ولكن بعد أن استقلت الكاميرون وأصبحت عضوا فى هذا المؤتمر أصبح من غير المعقول أن يجلس وزير خارجيتها ليستمع لمن تعتبرهم بلاده خارجين على القانـــــون .

وطرحت غينيا القضية على انها اختيار أمام المؤتمر لنوع الوحدة التى يريدها الافارقة . فأما أن تكون وحدة تكتفى بالشكل فقط فيأخذون بوجهة نظر حكومة الكاميرون فى استبعاد ممثلى الثورة ، ويكون المؤتمر بذلك ـــ على حد تعبير وفد غينيا ـــ قد أفرغ الوحدة الافريقية من مضمونها الثورى ، أو أن يكون اهتمام المؤتمر بجوهر الوحدة ومضمونها فيستمر تأييد المؤتمر للثورة الكاميرونية كما يريد حزب اتحاد شعب الكاميرون ويريد وفد غينيا .

ولكن المؤتمر لم ياخذ بوجهة نظر غينيا واستبعد ممثلى الثورة الكاميرونية
ورغم ان هذا القرار من المؤتمر كان يوحى بانحسار وتراجع فكرة وحدة العمل الثورى ، الا ان السبب الحقيقى كان يكمن فى رغبة الدول الثورية الاخرى وعلى راسها مصر أن يكون العمل الجماعى الثورى فى أفريقيا موجها فى هذه الحقبة ضد الاستعمار مباشرة وليس ضد حكومات أفريقية مهما كان اتجاهها . وهى بذلك تتجنب اثارة مخاوف بعض الدول الافريقية حديثة الاستقلال من الوحدة الافريقية ، وتشجع هذه الدول وتفتح لها الطريق للانتقال الى معسكر الدول الثورية وهى لذلك ترى انه من الضرورى اعطاء الدول حديثة الاستقلال الوقت والفرصة لتستجمع قواها وتصبح اكثر قدرة على مواجهة الاستعمار .

وقد هاجم ثوار الكاميرون المؤتمر بسبب هذا القرار فى المجلة التى كان يصدرونها قائلين : « سوف تشهد الشهور والسنوات القادمة مولد حكومات مستقلة اسما ولكنها ستبقى خاضعة لنفوذ الامبريالية من الناحية الفعلية . وان التضامن الافريقى سوف يصبح مجرد عاطفة فى خدمة الامبريالية اذا كانت الدول الافريقية المستقلة استقلالا حقيقيا ستظل تنشد الوحدة — كما حدث فى اديس ابابا — بأى ثمن » .

ولكن المؤتمر نفسه استطاع ان يصدر قرارا آخر ثوريا وهاما فى صالح وحدة العمل الثورى الا وهو قبول الحكومة المؤقتة للجزائر كعضو كامل فى مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة والاجتماعات المنبثقة عنها . وقد حدث ذلك وسط المعارضة الشديدة لوفد الكاميرون . فقد كان هذا القرار خطيرا بالنسبة للدول التى ارتبطت مع فرنسا داخل ما سمى بالمجتمع الفرنسى ، وكان عدد كبير منها قد تقرر استقلاله فى نفس العام .

ومنذ هذا التاريخ والى ان استقلت الجزائر عام ١٩٦٢ اصبحت مواقف الدول الافريقية المختلفة من ثورة الجزائر احد العوامل التى وقفت عقبة أمام تحقيق الوحدة الافريقية الشاملة .

وكان آخر اجتماعات الدول الافريقية المستقلة هو اجتماع ليوبولدفيل عندما دعا لومومبا الى اجتماع طارىء عقد فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٦٠ عقب احداث الكونغو الشهيرة ومحاولة انفصال اقليم كاتنجا . وقد امتنعت عن حضور هذا المؤتمر الدول التى استقلت عن فرنسا منذ مؤتمر اديس ابابا .

وكان واضحا ان هذه الدول كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الكونغو لا تريد أو بالاحرى لا تستطيع أن تساند لومومبا وثورته لارتباطها بفرنسا التى كان لها الفضل فى مساعدة حكامها فى الوصول الى الحكم . كما أنها كانت تعرف أن مساندة الثورة الكونغولية قد يجر عليها الكثير من المشاكل ، بل أنه قد ينقل المعركة الى داخل هذه البلدان نفسها . علاوة على ان هذه الدول لم تكن تنظر بعين الارتياح الى مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة بعد أن أصبحت الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر تتمتع بعضويتها الكاملة ، الامر الذى تحدد معه وبصفة قاطعة موقف هذه المؤتمرات ليكون معاديا لفرنسا .

ثم تصاعدت الازمة فى الكونغو وتطورت الاحداث بسرعة حتى أصبحت الدول الافريقية الثورية وفى مقدمتها مصر طرفا فى هذا الصراع وخاصة بعد أن أرسلت قواتها لتعمل هناك تحت علم الامم المتحدة وتلبية لرغبة لومومبا وتضامنا معه .

وقد دفع هذا التطور للاحداث دول المجموعة الفرنسية الى الاجتماع فى ابيدجان فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ بناء على دعوة الرئيس هوفويه بوانيه لبحث موضوعات ثلاث بقصد اتخاذ موقف موحد منها فى دورة الامم المتحدة . وكانت هذه الموضوعات هى الكونغو والجزائر وقبول موريتانيا فى عضوية الامم المتحدة (وهو موقف كانت تعارضه دول الجامعة العربية) .

وبالنسبة لموضوع الكونغو فقد قرر المؤتمر مساندة كازافوبو ضد لومومبا . أما بالنسبة للجزائر فقد تقرر اتخاذ موقف متحفظ فى الامم المتحدة من هذه القضية وكان ذلك بطبيعة الحال فى صالح فرنسا . واخيرا بالنسبة لموريتانيا تقرر تأييد انضمامها الى عضوية الامم المتحدة .

وكان نتيجة هذه القرارات ان حدث انقسام خطير بين المجموعة الافريقية فى الامم المتحدة ترتب عليه اعتراف المنظمة الدولية بوفد كازافوبو ممثلا شرعيا للكونغو ضد رغبة الدول الافريقية الثورية التى كانت تريد أن

يكون الاعتراف بوفد لومومبا . كما ترتب على هذه القرارات أيضا اضعاف تأييد الامم المتحدة للقضية الجزائرية فى تلك الدورة . وقد اعتبرت هذه النتائج نجاحا للمجموعة الفرنسية التى أثبتت قدرتها وفاعليتها فى الامم المتحدة .

ورغم أن موريتانيا لم تحصل على عضوية الامم المتحدة فى تلك الدورة الا أن ذلك كان نتيجة استخدام الروس لحق الفيتو فى مجلس الامن تاييدا لموقف الدول العربية من هذه القضية .

وقد ادى انقسام المجموعة الافريقية فى الامم المتحدة الى انقسام خطير فى افريقيا نفسها وبدء ظهور التكتلات الافريقية المتصارعة .

ففى ديسمبر من نفس العام (١٩٦٠) اجتمع رؤساء دول المجموعة الفرنسية فى برازافيل — ولابد انهم كانوا يشعرون بنوع من الزهو لما حققوه من نتائج فى الدورة الاخيرة للأمم المتحدة — وادى هذا الاجتماع الى تكوين ما سمى « بمجموعة برازافيل » واعلان هذا التكتل الجديد بصفة رسمية وهو ما اصبح يعرف بعد ذلك بالاتحاد الافريقى الملجاشى U.A.M.

واعتبر هذا التكتل نكسة كبيرة للوحدة الافريقية ، فهو تكتل قائم على وحدة اللغة ووحدة الانتماء لاستعمار واحد قبل الاستقلال . وهذا مفهوم يؤدى انتشاره دون شك الى قيام تكتلات اخرى متنافرة ، وهو تكتل يرفض تماما وحدة العمل الثورى .

وكان من الطبيعى أن يقوم فى مواجهة هذا التكتل تكتل آخر من الدول الافريقية التى تؤمن بوحدة العمل الثورى . فقد اعلن بالفعل ميثاق الدار البيضاء فى يناير سنة ١٩٦١ بين خمس دول هى مصر وغانا وغينيا ومالى والمغرب وبالاضافة الى حكومة الجزائر المؤقتة . وكانت هذه هى الدول التى قادت الثورة فى افريقيا — وجميعها كانت تؤيد الثورة فى الكونغو بزعامة لومومبا وتؤيد بطبيعة الحال الثورة الجزائرية .

وبظهور هذه التكتلات انتهت بصفة نهائية مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة التى كان اولها فى اكرا عام ١٩٥٨ واخرها فى ليوبولدفيل فى اغسطس سنة ١٩٦٠ .

وقد جاء مكملا لهذه المؤتمرات التى قامت على المستوى الرسمى ، سلسلة اخرى من المؤتمرات ولكن على المستوى الشعبى عرفت باسم « مؤتمر كل الشعوب الافريقية » A.A.P.C. عقد اولها فى اكرا

فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ . وأريد لها أن تكـون التنظيم الشعبى لمؤتمـرات الدول الافريقية المستقلة وقاعدتها العريضة التى تشمل كل اتحاد القـارة لاقتصار الاولى على الدول الافريقية المستقلة فقط .

وقد حضر المؤتمر الاول وفود عن ٢٨ اقليم ودولة أفريقيـة ممثلين للأحزاب السياسية وحركات التحرير ونقابات العمـال . وتقرر عمـل سكرتارية دائمة لهذا المؤتمر مقرها اكرا .

وعن الوحدة الافريقية ذكر المؤتمر ولاول مرة فكرة اقامة « كومنولث للدول الافريقية » كهدف نهائى يجب العمل على تحقيقه . كما شجع قيام الاتحادات الفيدرالية الاقليمية بشرط الا تتعارض مع الفكرة النهائية لاقامة الكومنولث الافريقى ، واعتبر مثل هذه الاتحادات الاقليمية خطوة أولى نحو تحقيق الهدف النهائى .

وقد جاء هذا المؤتمر الاول لكل الشعوب الافريقية أشبه ما يكـون بمظاهرة سياسية شعبية على مستوى القارة كلها لتأكيد حق الشعـوب الافريقية فى الاستقلال وأعلان تصميمها على نيل حريتها واعتبار ذلك أمرا ضروريا لتحقيق الوحدة الافريقية . وقد كان هذا المؤتمر فرصـة عظيمة التقى فيها زعماء حركات التحرير بعضهم ببعض كما التقوا بزعمـاء ومسؤولين سياسيين من الدول الافريقية المستقلة . فقد كانت هذه المـرة الاولى التى التقى فيها بباتريس لومومبـا الزعيم الكونغولى الـذى كان يخرج من بلاده للمرة الاولى وكانت هـذه بداية علاقـة متينة بين مصر والحركة الوطنية فى الكونغو .

وقد جاء هذا المؤتمر أيضا فرصة لانتقال الافكار الثورية الى داخل القارة وتشجيعا لزعماء حركات التحرير الذين اكتشفوا انهم لم يعـودا يناضلون بمفردهم . وقد ذكرنا من قبل كيف تطورت الحركة الوطنيـة فى الكونغو بعد عودة لومومبا من هـذا المؤتمـر واعلانه تأييد الشعب الكونغولى لقرارات مؤتمر أكرا التى تطالب بالاستقلال الفورى لكل أفريقيا ، فكانت هذه هى البداية التى أدت الى أحداث يناير سنة ١٩٥٩ وتطورت بعدها الحركة الوطنية تطورا سريعا أدى الى استقلال الكونغو بطريقـة مفاجئة أذهلت العالم كما سبق ان أوضحنا من قبل .

وعقد المؤتمر الثانى لكل الشعوب الافريقيـة فى تونس فى ينايـر سنة ١٩٦٠ وكان هذا المؤتمر أقل فى أهميته من المؤتمر الاول ، كما جاءت قراراته اقل منه ثورية . فبالنسبة للكاميرون على سبيل المثال اتخذ قرارا

مائعا مراعاة لحكومة الكاميرون التى كانت قد استقلت . ولم يستثنى من ذلك سوى قرار عن الجزائر جاء غاية فى الثورية اذ اشتمل على توصية بتكوين فرقة من المتطوعين الافارقة لحرب التحرير الجزائرية وناشد المؤتمر الدول الافريقية المستقلة أن تقدم التسهيلات اللازمة لتحقيق هذه التوصية . الا ان الحبيب بورقيبة عاد وأفسد هذا القرار عندما أعلن عن استنكاره له واعتبره مجرد دعاية ، وأعلن ان تونس لن تسمح بتواجد مثل هذه الفرقة على أرضها .

وقد كان هذا المؤتمر هو الاخير فى سلسلة مؤتمرات الشعوب الافريقية التى عقدت تحت مظلة مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة . ولكن عقد مؤتمر ثالث واخير جاء بعد انتهاء مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة وظهور التكتلات السياسية فى القارة .

ميثاق الدار البيضاء ومرحلة التكتلات السياسية فى افريقيا :

جاء اعلان ميثاق الدار البيضاء من خمس دول افريقية هى مصر والمغرب وغانا وغينيا ومالى والحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر ، علامة بارزه فى تاريخ الوحدة الافريقية فقد جسد هذا الميثاق الفكر الثورى الوحدوى فى افريقيا دون ان تفسده تنازلات تمليها الرغبة فى الحفاظ على الشكل العام لوحدة الدول الافريقية بجميع اتجاهاتها وذلك بعد ان كان قد تحطم هذا الشكل بالفعل منذ قيام تكتل برازافيل ومقاطعة دوله من قبل لاجتماعات الدول الافريقية المستقلة .

فقد جاء هذا اللقاء فى الدار البيضاء بين دول سبق أن التقت ارادتها بالفعل من خلال مواقف ثورية واحدة فى أزمة الكونغو التى أعتبرتها هذه الدول معركة بين القوى الوطنية الثورية فى أفريقيا من جانب وقوى الاستعمار والامبريالية والاحتكارات الاستعمارية من جانب آخر . كما انها جميعها عندما هبت لمساندة القوى الوطنية فى الكونغو ممثلة فى لومومبا ، فعلت ذلك باسم الوحدة الافريقية وتأصيلا للمفهوم الثورى لهذه الوحدة .

وعندما اجتمع رؤساء هذه الدول فى الدار البيضاء فى يناير سنة ١٩٦١ بناء على دعوة الملك محمد الخامس ملك المغرب ، كان ذلك بقصد بحث موقف بلادهم من أزمة الكونغو ومن تواجد قواتهم تحت قيادة الامم المتحدة فى الكونغو . وكانت هذه الدول نفسها ترى ضرورة اتخاذ موقف موحد لوقف المد الرجعى فى افريقيا الذى كانت قد ظهرت بوادره

فى دورة الامم المتحدة الاخيرة بتواجد تكتل دول المجموعة الفرنسية ثم قيام مجموعة برازافيل بعد ذلك بصفة رسمية . وكان هذا هو السبب الرئيسى الذى وقع الرؤساء من أجله ميثاق الدار البيضـــاء وقامت بسببه منظمة سياسية تضم دولهم لتتولى قيادة العمل الثورى فى افريقيا وتدعم الوحدة الافريقية بمفهومها الثورى .

وقد نص ميثاق الدار البيضاء على قيام لجنة سياسية من رؤســـاء الدول المشتركة ولجنة اقتصادية من وزراء الاقتصـــاد ، وأخرى ثقافية من وزراء التعليم . كما نص على انشاء قيـــادة افريقية مشتركـــة عليا من رؤساء الاركان فى جيوش هذه الدول بقصد : « .. الدفاع المشترك عن أفريقيا فى حالة العدوان على اى جزء من القارة وكذلك حماية استقلال الدول الافريقيـــة » .

وكان أهم ما تميزت به منظمة الدار البيضـــاء فيما يتعلق بالوحـــدة الافريقيـــــة :

أولا : انها تشتمل على دول ناطقة بالفرنسية مثل غينيا ومـــالى ، وأخرى ناطقة بالانجليزية مثل غانا ، علاوة على دول عربية . وكان فى ذلك تأكيد على استمرار التمسك بالوحدة القارية بعكس مجموعة برازافيل التى جعلت من اللغة أساسا لوحدتها (وحدة الفرانكوفون) .

وقد نص البروتوكول المنفذ لميثاق الدار البيضاء الذى وقع فى القاهرة فى مايو سنة ١٩٦١ على فتح باب العضوية لجميع الدول الافريقية التى تقبل أحكام الميثاق والبروتوكول الخاص به . وبذلك اعتبرت هـــذه الـــدول ان تنظيمها هذا هو النواة الحقيقية لتحقيق الوحدة الافريقية الشاملـــة . وقد نص ميثاق الدار البيضاء على « تأكيد دوله لثقتها فى مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة ومناشدتها لجميع الدول الافريقية المستقلةمشاركتهـــا جهودها من اجل تحرير أفريقيا وبناء وحدتها » .

ثانيا : أعلن ميثاق الدار البيضاء — بكل وضوح — التزام دوله الكامل بالخط الثورى وتعهد دوله متضامنة بتصفية الاستعمار . فقد نص الميثاق على : « التصميم على تحرير الاراضى الافريقية التى ما زالت تحت السيطرة الاجنبية وذلك بأعطائها العون والمساعدة لانهاء الاستعمار والاستعمار الجديد فى جميع أشكاله .. » ثم نص كذلك على « .. الاعلان عن ضرورة توجيه الدول الافريقية المستقلة لسياستها الاقتصادية والاجتماعية بالشكل الذى يضمن استغلال ثرواتها الوطنية من اجل صالح شعوبها وضمان توزيع هذه الثروات توزيعا عادلا بين رعاياها » .

وكان معنى ذلك أن الوحدة التى اختارتها هذه الدول هى وحدة قائمة على الثورة بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا شـــك أن الدعوة لاضافة البعد الاجتماعى للثورة الافريقية والوحدة الافريقية كان أمرا له جاذبيته وتأثيره لصدور هذه الدعوة من دول فى معظمها كانت قد خطت بالفعل خطوات واسعة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية وكان ذلك واضحا فى حالة مصر وغانا وغينيا .

ثالثا : اعلن الميثاق التزام دوله بسياسة عدم الانحياز كما أعلن عن « معارضة دوله لتواجد القوات الاجنبية واقامة القواعد التى تعتبر خطرا على تحرير أفريقيا » .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى ينص فيها على سياسة عدم الانحياز باعتبارها سياسة تدخل فى صميم الحركة الافريقية واعتبارها أساســا من الاسس اللازمة لتحرير افريقيا والحفاظ على استقلال دولها وتخليصها من الاستعمار والاستعمار الجديد . وكانت منظمة الدار البيضاء بذلك هى أول تنظيم يقوم فى أفريقيا يتبنى هذه السياسة .

ومنذ هذا التاريخ اعتبرت هذه الدول ــ أعضاء الميثاق ــ سياسة عدم الانحياز احدى الدعائم الاساسية للوحدة الافريقية وناضلت من أجل تأكيد هذا المفهوم باعتباره أمرا ضروريا لتأكيـــد الشخصية الافريقيـــة المستقلــــة .

وقد كان هذا نجاحا كبيرا لعبد الناصر شخصيا وتعزيزا لمكانته الدولية باعتبارها أحد الاقطاب الثلاثة فى العالم لهذه السياسة وخاصة وان المؤتمر الاول لرؤساء دول عدم الانحياز لم يكن قد عقد بعد « وكانت سياسة عدم الانحياز ما زالت فكرة يتبناها ويتولى مسؤولية الدعوة لها الزعماء الثلاثة نهرو وتيتو وعبد الناصر .

وهكذا نجد أن الاعلان عن ميثاق الدار البيضاء جاء بمثابة تكوين قيادة جديدة فى افريقيا من زعماء الثورات الوطنيـــة الاساسية فى القـــارة ، عبد الناصر ونكروما وسيكوتورى ومديبو كيتا وقيادة الثورة الجزائرية ، وهى زعامات استحوذت على اعجاب الشعـــوب الافريقية كلها لمقاومتها للاستعمار والسيطرة الاجنبية ، ولما حققته داخل بلادها من انتصــــارات فى هذا المجـــال .

وكانت الجماهير الافريقية مهيئة للسير وراء هذه القيـــادة التى أعلنت اهتمامها بالثورة فى افريقيا كلها وعزمها على تحريـــر القـــارة من السيطرة

الاجنبية . وقد كان ميثاق الدار البيضاء فى حقيقة الامر يخاطب الشعوب الافريقية قبل مخاطبته لحكوماتها ، وكان يستحثها على الثورة ضد كل الوان السيطرة الاجنبية بجميع اشكالها باعتبار أن ذلك هـو السبيل الى تحقيق وحـدة افريقيـا .

ولتأكيد هذا المعنى الشعبى والثورى عقـد فى القاهـرة فى مارس سنة ١٩٦١ المؤتمر الثالث لكل الشعوب الافريقية ، حضره حوالى ٢٠٠ وفد ممثلين لجميع حركات التحرير الافريقية والتنظيمات الوطنية فى المناطق الغير مستقلة والتنظيمات السياسية فى الدول الثورية . كما حضرته تنظيمات معارضة من الدول الافريقية التى عرفت بالحكومات المتحفظة ، وكان من بينها تنظيمات ثورية وطنية راديكالية لا تعترف بالحكومات الجديدة فى بلادها وتعتبرها حكومات عميلة للاستعمار . من أمثال هـذه حركـة SWABA بزعامة جيبو بكارى فى النيجر وحزب اتحاد شعب الكاميرون U. P. C. الذى كان يقود الثورة فى الكاميرون حتى ذلك الوقت .

وقد جاءت قرارات هذا المؤتمر متطرفة وقاطعة فى ثوريتها ، ولم يؤخذ بأى حلول وسط مراعاة للحكومات الرجعية او المعتدلة على غرار ما حدث فى مؤتمر الشعوب الافريقية الثانى فى تونس (يناير سنة ١٩٦٠) .

واتخذ المؤتمر قرارا قويا بالنسبة للكونغو ايد فيه الثورة ، وذهب الى حد تحميل السكرتير العام للامم المتحدة « داج همرشولد » مسؤولية مقتل لومومبا واعتبر باتريس لومومبا بطل افريقيا . وجاءت جميع القرارات عاكسة لحقيقة الثورة الافريقية فى كل مكان من القارة .

وقد كان أهم قرارات هذا المؤتمر على الطلاق ذلك القـرار المتعلق « بالاستعمار الجديد » الذى عرفه المؤتمر تعريفا ما زال يوصف بأنه أهم وأدق تعريف للاستعمار الجديد الذى ارتبط ـ حسب هذا التعريف ـ بدول الاستعمار الغربى بالاضافة الى الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل وجنوب افريقيـا .

وكان واضحا أن مؤتمر كل الشعوب الافريقية قد اصبح التنظيـم الشعبى لمنظمة الدار البيضاء ، بعد أن كان يعتبر من قبل امتدادا لمؤتمرات الدول الافريقية المستقلة أو التنظيم الشعبى لها .

وترتب على ميثاق الدار البيضاء ان اطلقت كل من غانا وغينيا يدها فى

مساعدة الحركات المعارضة الراديكالية فى دول غرب أفريقيا وخاصة فى الدول الناطقة باللغة الفرنسية .

اما مصر فقد ركزت على مساعدة الحركات الوطنية والتحريرية فى المناطق الغير مستقلة ومساعدة الثورة فى الكونغو ، وزادت من مساعداتها هذه . كما وضعت القاهرة الكثير من امكانياتها فى خدمة الثورة الافريقية . وقدمت المساعدات الاقتصادية للدول الافريقية التى كانت تعمل على تحرير اقتصادها — وقد أفردنا فصلا خاصا بهذا الموضوع .

ولا شك أن قيام منظمة الدار البيضاء قد أعطى الثورة الافريقية دفعة قوية أوقفت المد الرجعى الذى كان يخشى منه بعد ظهور مجموعة برازافيل — وأصبحت مجموعة دول الدار البيضاء هى التجسيد الحى لضمير الشعوب الافريقية المعبرة عن أمانيها . هذا فى الوقت الذى اصبح من الواضح فيه أن مجموعة برازافيل ما هى الا تكتل لبعض الدول التى لم يكتمل استقلالها ، وان كل ما بينها ما هو الا مجرد اتفاق بين حكومات تخشى ثورة شعوبها اكثر من اى شىء آخر ، وكانت معظم هذه الحكومات ما زالت تعتمد على القوات الفرنسية لحماية وجودها واستمرارها فى السلطة .

وبقيام منظمة الدار البيضاء اشتعل الحماس من جديد للوحدة الافريقية وظهرت جهود كثيرة لاعادة توحيددول القارة بعضها كان مخلصا لفكرة الوحدة كتلك الجهود التى كان يقوم بها سيلفانوس أوليمبيو رئيس التوجو ، وهيلاسيلاسى امبراطور أثيوبيا ، وبعضها كان يريد بها أصحابها القضاء على تكتل الدار البيضاء بأى شكل . فقد أراد تفاوا باليوا رئيس وزراء نيجيريا على سبيل المثال أن يدعو لمؤتمر تحضره جميع الدول الافريقية المستقلة جنوب الصحراء ، وكان يقصد بذلك ابعاد الدول العربية والعودة الى فكرة وحدة افريقيا السوداء . ولكنها كانت دعوة قد سبق لها أن هزمت ولم يعد من الممكن بعثها من جديد .

وكانت هناك مبادرات ومحاولات اخرى اقل أهمية قام بها آخرون من أمثال هوفوييه بوانييه رئيس جمهورية ساحل العاج والرئيس السنغالى ليوبولد سنغور .

واخيرا وجهت الدعوة لمؤتمر منروفيا الذى عقد فى ٨ مايو سنة ١٩٦١ . وجهت هذه الدعوة باسم رؤساء دول ليبيريا وتوجو ونيجيريا وساحل العاج والكاميرون ودعيت جميع الدول الافريقية وكان عددها وقتئذ ٢٧ دولة —

فيما عدا الكونغو وحضر المؤتمر عشرون دولة أفريقية ، وامتنعت ست دول هى دول الدار البيضاء الخمس بالاضافة الى السودان الذى أعلنت حكومته انها قاطعت المؤتمر تضامنا مع المغرب احتجاجا على دعوة موريتانيا . أما دول الدار البيضاء الخمس فلم تكن ترغب فى تمييع موقفها من جديد من أجل وحدة شكلية تكون الدول الثورية فيها قلة . وعندما اجتمعت دول منروفيا للمرة الثانية فى لاجوس (فى ٢٥ يناير سنة ١٩٦٢) امتنعت أيضا دول الدار البيضاء عن الحضور محتجة هذه المرة بعدم دعوة الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائـــر .

وهكذا نشأ تكتل جديد فى أفريقيا هو ما عرف بمجموعة منروفيا وهو تكتل قام فى واقع الامر فى مواجهة مجموعة الدار البيضاء .

وكان من أوجه الخلاف الرئيسية بين المجموعتين هو مفهوم الوحدة الافريقية أو التضامن الافريقى . فمجموعة منروفيا اهتمت بالشكل العام للوحدة وكان تركيزها الاساسى كما وضح فى اعلان منروفيا (١٢ مايو ١٩٦١) على مبدأ عدم تدخل الدول الافريقية فى شؤون بعضها الداخلية . ووضع الاعلان ست مبادىء تحكم علاقة الدول الافريقية ببعضها هى :

١ ـــ المساواة التامة بين جميع الدول الافريقية .

٢ ـــ عدم التدخل فى شؤون الدول الداخلية .

٣ ـــ احترام سيادة كل دولة .

٤ ـــ ادانة أى أعمال تخريبية خارجية تتم بواسطة دول مجاورة .

٥ ـــ تنمية التعاون بين الدول الافريقية على أن يكون هذا التعاون مبنيا على أساس التسامح والتضامن وحسن الجوار وتبادل الآراء وعدم قبول زعامة أى دولة .

٦ ـــ ان الوحدة المنشودة حاليا ليست الوحدة السياسية الاندماجية بين الدول الافريقية ذات السيادة .

كما نص الاعلان كذلك على تعهد دوله بالامتناع عن تشجيع الجماعات والافراد المنشقة وعدم السماح لهم باستخدام أراضيها كقاعدة لنشاطهم التخريبى والامتناع أيضا عن تمويل هؤلاء المنشقين أو تقديم أى مساعدة لهم .

ويلاحظ من هذه المبادىء التى اعلنها المؤتمر ان تجربة الكونغو كانت ماثلة دائما أمام هذه الدول وهى تتخذ قراراتها . فهى بهذه المقاييس التى اعلنتها تدين المساعدات الافريقية التى قدمت لثورة الكونغو وكذلك المساعدات التى كانت تقدم لثوار الكاميرون وللمعارضة فى النيجر وأماكن أخرى . كان تركيز هذه الدول الاساسى على أمن وسيادة الحكومات القائمة .

اما مجموعة الدار البيضاء فقد كان اهتمامها اساسا بمضمون الوحدة وليس بشكلها وهى لم تعد تعتبر الوحدة الافريقية فى حد ذاتها هدفا ، وانما اصبحت تعتبرها وسيلة لتحقيق الثورة الافريقية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ولذلك جاء تركيزها الاساسى على تحرير القارة من الاستعمار ومقاومة الاستعمار الجديد وكل انواع السيطرة الاجنبية .

وكان أهم ما تميز به تجمع الدار البيضاء هو التجانس بين دوله ، فهناك تطابق فى سياساتها الخارجية وتشابه فى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية وتجمعها قبل كل شىء روح التحدى للاستعمار والقوى الاجنبية التى تريد استمرار سيطرتها على مقدرات افريقيا . وقد جعل هذا التجانس من منظمة الدار البيضاء بناءا متماسكا قادرا على تنفيذ الاهداف التى قامت من أجلها ، كما جعلها صالحة لان تكون نواة لوحدة افريقية قائمة على اساس ثورى .

ورغم تفوق مجموعة منروفيا من ناحية عدد الدول المشتركة ، الا ان بناءها جاء مفككا ضعيفا للتباين الكبير بين دولها ولارتباط كثير من هذه الدول بقوى استعمارية واحتكارية متعددة تختلف مصالحها فى كثير من الاحيان . ولم يذب تكتل برازافيل داخل مجموعة منروفيا ، ولكنه بقى متماسكا وان كان مبعث هذا التماسك فى حقيقة الامر هو ارتباط جميع دوله بفرنسا واعتمادها عليها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا . وهكذا ظهرت التكتلات السياسية فى افريقيا واستمرت قائمة الى أن قامت منظمة الوحدة الافريقية .

قيام منظمة الوحدة الافريقية :

رغم الانقسامات التى كانت قائمة فى افريقيا ووجود المجموعات المتعارضة الا أن الحماس للوحدة الافريقية لم يفتر أبدا . واستمرت الجهود من اجل تحقيق هذه الوحدة تتخذ أشكالا ومجالات عديدة بعضها متعارض وبعضها متجانس ، ومنها ما هو اقليمى وما هو قارى ، والبعض يرتبط

بنشاط الحكومات والاخر شعبى عبرت عنه اتحادات العمال والتنظيمات الشبابية والنسائية وغيرها مما لا يتسع المجال لسرده فى هذا البحث .

وقد كان هذا التفاعل او الفوران من أجل الوحدة الافريقية أمرا ضروريا ومرحلة لازمة ليكسر فيها الأفارقة الحواجز التى أنشأها الاستعمار فيما بينهم وحتى تتبلور فيها الصيغة المناسبة والممكنة لهذه الوحدة .

وفى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ أمكن عقد مؤتمر على مستوى القمة لجميع دول القارة فى أديس أبابا بعد ان أصبح ذلك ممكنا بالانتهاء المؤقت لمشكلة الكونغو عندما أنتهى الانفصال فى اقليم كاتنجا وهرب تشومبى الى أوروبا . كما كانت الجزائر قد حصلت على استقلالها وبذلك زالت أهم العقبات التى حالت من قبل دون عقد هذا الاجتماع والذى كان الغرض الأساسى منه ايجاد الصيغة المناسبة لوحدة أفريقيا .

وعندما وصل الوفد المصرى برئاسة جمال عبد الناصر الى أديس أبابا كان المشروع الذى يحمله لتحقيق هذه الوحدة يتلخص فى اقامة جامعة أفريقية على غرار الجامعة العربية . وكان عبد الناصر يرى أن هذه هى الصيغة الوحيدة الممكنة فى ذلك الوقت للحفاظ على الاطار القارى للوحدة . واصبح متحمسا لتحقيق هذه الفكرة حتى ولو كان ذلك على حساب منظمة الدار البيضاء وذلك للأسباب التالية : ـ

أولا : ان كثيرا من المبادىء الرئيسية التى أقرتها مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة ومنظمة الدار البيضاء ، مثل تصفية الاستعمار ، ومقاومة السيطرة الأجنبية ومحاربة العنصرية وحتى سياسة عدم الانحياز أصبحت مبادىء مستقرة فى ضمير الشعوب الافريقية ولم يعد من الصعب اقرارها داخل هذا التجمع الافريقى الشامل .

ثانيا : أن هذا التجمع الشامل اذا قام فمن المؤكد أن القيادة فيه ستكون للدول الثورية فهى الاكثر قدرة على الحركة والتعبير عن أمانى الشعوب الافريقية ، كما أن عدد هذه الدول الثورية كان قد زاد باستقلال دول شرق أفريقيا .

ثالثا : أن قيام مثل هذه الجامعة الأفريقية سيمكن أفريقيا من ان تلعب دورا هاما ومؤثرا فى السياسة الدولية وتحقيق السلام العالمى اللازم لتأمين سلامة دول العالم الثالث .

رابعا : كان الصراع بيننا وبين اسرائيل فى افريقيا قد أصبح على أشده ، ووجد عبد الناصر أن ارتباطنا بجميع دول افريقيا فى منظمة سياسية واحدة من شأنه أن يعطينا ميزة هامة فى التغلب على اسرائيل ويمكن استغلال هذه الميزة فى مقاومة التوسع الاسرائيلى فى القارة الافريقية .

وانتهى مؤتمر القمة فى اديس ابابا حاويا لجميع المبادىء الأساسية التى نادت بها الدول الثورية فى افريقيا ، بل ذهب الميثاق الى حد انشاء لجنة لتحرير افريقيا عرفت بأسم « لجنة التنسيق » تألفت هذه اللجنة من تسع دول منها مصر بهدف تقديم كل المساعدات الممكنة لحركات التحرير الافريقية وتنسيق العمل العسكرى وتنشيط حروب التحرير . وتقرر أن تساهم جميع الدول الافريقية فى تمويل هذه اللجنة ونشاطها .

وكان معنى ذلك اطلاق يد الدول الثورية والتى تألفت منها لجنة التحرير فى معظمها للعمل على تصفية الاستعمار وذلك بأسم دول افريقيا كلها بل ومساهمتها ومشاركتها . وأتخذت دار السلام مقرا لهذه اللجنة . ولا شك فى ان هذه كانت خطوة كبيرة نحو تعزيز الثورة الافريقية فقد فتحت تنزانيا ابوابها لحركات التحرير واقامت المعسكرات باسم لجنة التحرير لتدريب آلاف الافريقيين .

واقر ميثاق المنظمة سياسة عدم الانحياز وجعلها ركنا من أركان السياسة الخارجية للدول الافريقية . وصحيح أن بعض الدول الافريقية وقتئذ لم تكن مستوفية للشروط الواجب توافرها فى دولة عدم الانحياز بالمقاييس التى وضعتها مؤتمرات عدم الانحياز من قبل ، الا أن اقرار هذه السياسة فى ميثاق المنظمة وبموافقة هذه الدول نفسها كان يعنى تعهدا منها بالعمل على التخلص من اى ارتباطات تجعلها فى عداد الدول المنحازة .

ولا شك أن دخول افريقيا كلها فى هذا النطاق ، نطاق دول عدم الانحياز كان كسبا عظيما لهذه السياسة كما كان انتصارا كبيرا لجمال عبد الناصر ولمصر التى وضح مدى قدرتها على التأثير فى مختلف المجالات الدولية .

وقد جاء ميثاق المنظمة مرضيا ايضا لمجموعة دول منروفيا . فقد تضمن الميثاق الكثير من المبادىء الأساسية التى كانت محورا لنشاط هذه المجموعة عندما اجتمعت فى منروفيا ولاجوس من قبل ، واقصد بها مبادىء عدم التدخل فى الشؤون الداخلية وثارة الفتن فى الدول الاخرى . كما أقر الميثاق ايضا

مبدأ هاما فى هذا الاتجاه ، وهو احترام الحدود السياسية القائمة فى أفريقيا. حيث أن معظم الحدود بين الدول الافريقية قد قامت على أساس المصالح الاستعمارية فقط دون أعتبار حقيقى للأوضاع الجغرافية أو لتوزيع السكان، الأمر الذى جعل من النادر أن ترى دولة افريقية وقد خلت من مشاكل الحدود مع جيرانها . ولذلك فقد كان اقرار هذا المبدأ ضروريا لمنع التدخل فى شؤون الغير ووقف أعمال التخريب واستضافة الدول لعناصر الهدم والتخريب من الدول الاخرى المجاورة . وهذا ما كانت تسعى اليه دائما دول منروفيا وخاصة دول المجموعة الفرنسية التى كانت تتهم غانا وغينيا باستضافة القوى المضادة وتشجيعها على أعمال التخريب .

وبقيام منظمة الوحدة الافريقية انتهى عمل منظمة الدار البيضاء وانتهى كذلك عمل مؤتمر كل الشعوب الافريقية وانتهت التكتلات السياسية من افريقيا التى قسمت القارة الى كتلة ادار البيضاء وكتلة منروفيا .

أما المجموعة الفرنسية أو اتحاد أفريقيا وملجاش U.A.M. فلم يعلن حلها الا فى مارس سنة ١٩٦٤ فى داكار : وقامت بدلا منها منظمة غير سياسة أطلق عليها الاتحاد الافريقى الملجاشى للتعاون الاقتصادى واعلن الرئيس الموريتانى وقتئذ مختار ولد داده « .. ان المجال السياسى يجب أن يترك لمنظمة الوحدة الافريقية » .

واصبحت المنظمة هى الصيغة المعترف بها من جميع دول افريقيا والتى تعمل الوحدة الافريقية فى اطارها . ولكن ذلك لم يعن انتهاء الصراع بين الدول التقدمية الثورية والدول المحافظة ، فقد انتقل هذا الصراع الى داخل المنظمة نفسها ، فالمجموعة الأولى تريد أن تجذب افريقيا كلها من خلال المنظمة نحو الثورة الشاملة والتحرير الكامل والمجموعة الثانية تريد أن تجعل من المنظمة قيدا للحد من اندفاع الثورة . وكان هذا هو الذى دفع بعض التنظيمات المعارضة وخاصة فى دول المجموعة الفرنسية الى مهاجمة فكرة التقاء الدول الثورية بالدول المحافظة خوفا من أن يكون ذلك على حساب الثورة الافريقية نفسها .

وقد كتب هامانى ديور ى‌رئيس حزب سوابا Swaba (١) فى النيجر مقالا بعنوان « الوحدة الثورية » نشر فى جريدة الثورة الافريقية الجزائرية (فبراير ١٩٦٣) قال فيه : « .. واخيرا يجب الا تصبح الوحدة الافريقية

---

(١) الكلمة بلغة الهوسا معناها أرض الوطن .

نوعا من الاتحاد النقابى لرجال السلطة يبتغون تأييد بعضهم البعض لمقاومة التيارات الشعبية » .

ولكن السنوات التالية أثبتت أن هذه التخوفات لم تكن فى محلها فقد انتعشت الثورة الافريقية بشكل ملحوظ فى أعقاب قيام منظمة الوحدة الافريقية وذلك فى المناطق الغير مستقلة فى انجولا وموزمبيق وغينا بيساو وجنوب افريقيا . كما ظهرت عدة انقلابات وثورات فى أفريقيا الفرنسية اختفت على أثرها بعض الحكومات الرجعية كما حدث فى الكونغو برازفيل التى كانت تسمى المجموعة الفرنسية باسم عاصمتها . فقد قامت فى برازافيل حكومة ثورية بعد الاطاحة فى اغسطس سنة ١٩٦٣ بحكم الأب يولو اهم زعماء المجموعة المرتبطة بفرنسا الأمر الذى أفقد هذه المجموعة توازنها لبعض الوقت وخاصة وان انقلابا آخر حدث فى داهومى فى اكتوبر من نفس العام . وحدثت محاولتا انقلاب فشلتا احدهما فى ساحل العاج فى أواخر اغسطس والأخرى فى السنغال فى ديسمبر من نفس العام ثم انقلاب عسكرى فى جابون احبطه تدخل القوات الفرنسية بناء على طلب نائب رئيس الجمهورية هناك وذلك فى فبراير سنة ١٩٦٤ .

أما داخل المنظمة نفسها فقد أمكن اتخاذ قرارات ثورية فى جميع القضايا الافريقية الخاصة بالاستعمار والاستعمار الجديد والتفرقة العنصرية . ووصل الأمر الى حد اتخاذ قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المملكة المتحدة لمسؤوليتها عن اعلان النظام العنصرى فى روديسيا للاستقلال من جانب واحد وعدم تدخل بريطانيا عسكريا لمنع ذلك (وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٦٥) . ورغم انه لم يستطع تنفيذ هذا القرار سوى عشرة دول أفريقية فقط منها : (مصر ، الجزائر ، كونغو برازفيل ، غانا ، غينيا ، مالى وموريتانيا والسودان وتنزانيا علاوة على الصومال التى كانت قد قطعت علاقاتها من قبل لأسباب أخرى) ، الا أن مجرد اتخاذ هذا القرار داخل المنظمة كان يعكس المدى الذى وصلت اليه سيطرة الاتجاهات الثورية على منظمة الوحدة الافريقية وقراراتها .

وقد أزعجت سيطرة هذه الاتجاهات مجموعة الدول الفرنسية التى ارتفعت منها اصوات تتهم المنظمة بانها اصبحت خاضعة لدول الدار البيضاء فقال المسؤولون فى ساحل العاج انهم يأسفون للعجلة التى تم بها حل منظمة اتحاد افريقيا وملجاش تحت ضغط منظمة الوحدة الافريقية وانتهى الأمر باعادة هذه المجموعة لتكتلها السياسى من جديد واقامة منظمة سياسية جديدة باسم « المنظمة المشتركة لافريقيا وملجاش »
ضمت مجموعة الدول الفرنسية .

وعندما عادت ازمة الكونغو من جديد واندلعت الثورة مرة اخرى لم تتردد الدول الثورية وفى مقدمتها مصر فى تأييد الثوار الكونغوليين بكل قوة . ولم تكن دول الدار البيضاء هذه المرة وحدها فقد انضم اليها — فى هذا التأييد — دول جديدة مثل تنزانيا وأوغندا وكينيا وموريتانيا وكونغو برازافيل والصومال وبورندى وزامبيا والسودان ووصل الأمر الى حد منع تشومبى وكان رئيسا لوزراء الكنغو — من حضور اجتماعات المنظمة فى القاهرة عام ١٩٦٤ وذلك بموافقة اغلبية اعضاء المنظمة .

وبعد الغزو البلجيكى الأمريكى للكونغو فى عام ١٩٦٤ صوتت عشرون دولة أفريقية (من مجموعة ٣٥ دولة مستقلة) فى الأمم المتحدة ضد هذا الغزو الذى تم بالاتفاق مع تشومبى رئيس الوزراء .

وكان هذا كله دليلا كافيا على أن منظمة الوحدة الافريقية لم تصبح قيدا على الثورة الافريقية . فلم يكن عبد الناصر ولا نكروما ولا سيكوتورى ولا نيريرى .. من القادة الذين يمكن أن يتركوا الجوهر الثورى للوحدة الافريقية من أجل الحفاظ على مجرد شكل هذه الوحدة . فعندما أصطدم الجوهر بالشكل كانوا دائما مع الجوهر ، وهذا ما حدث تماما فى أزمة الكونغو التى كادت أن تعصف تماما بمنظمة الوحدة الافريقية الوليدة .

وقد حرص عبد الناصر على حضور جميع أجتماعات منظمة الوحدة الافريقية على مستوى القمة منذ قيامها حتى نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ . وكانت هذه الاجتماعات دائما فرصة يلتقى فيها عبد الناصر ببقية الرؤساء الأفارقة الأمر الذى افاد كثيرا فى اقامة علاقات ثقافية ممتازة بين مصر ومعظم دول القارة كما أفاد فى ايجاد التقارب بيننا وبين دول المجموعة الفرنسية التى أستطاعت الدعاية الفرنسية ، طوال فترة حرب الجزائر ، أن تصور عبد الناصر لدى رؤساءها بصورة الزعيم المثير للمتاعب والمحرض على الانقلابات والذى يريد دائما أن يفرض رأيه وسياسته على الغير ، فكانت مفاجأة لهم جميعا فى عام ١٩٦٣ أجتمعوا بعبد الناصر وشاهدوه فى مؤتمر القمة وهو يقوم بدور بناء فى المؤتمر يتفهم مشاكل الاخرين ويحترم أراءهم ويعرض أراءه دون أدنى صلف أو غرور . رأوا عبد الناصر فى صورة تختلف تماما عن تلك الصورة التى رسمتها لهم الدعاية الفرنسية طوال سنوات عديدة . وكان هذا ما قاله الرئيس الموريتانى مختار ولد داده لعبد الناصر نقلا عن زملائه رؤساء دول المجموعة الفرنسية فى أول لقاء لهما .

وعقد اول اجتماع لمجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية فى القاهرة فى يوليو سنة ١٩٦٤ فكان هذا تأكيدا لدور مصر الفعال والمؤثر فى العمل من أجل تحقيق الوحدة الافريقية . وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا للمنظمة فى دورتها تلك . واذا كانت منظمة الوحدة الافريقية قد ولدت فى اديس ابابا فانه قد تم بناء كيانها فى اجتماع القاهرة حيث أتفق على تشكيل لجانها المختلفة .

وتم اختيار دياللو تيلى من غينيا سكرتيرا للمنظمة ، ولم يكن الرئيس سيكوتورى نفسه متحمسا لهذا الترشيح واراد ان يسحبه فى آخر لحظة بحجة أن أى مرشح من غينيا سيجد معارضة شديدة من دول المجموعة الفرنسية .. وكان عبد الناصر هو الذى أقنع سيكوتورى بالعدول عن ذلك بعد أن أوضح له أن اتصالاتنا تؤكد أن ديالّلو تيلى سيحصل على أغلبية كبيرة وكانت مصر قد وقفت منذ البداية وراء ترشيحه لما كان يتمتع به ديالّلو تيلى من كفاءة وديناميكية ولاتجاهاله لثورية التى عرف بها أثناء وجوده فى الأمم المتحدة مندوبا دائما لبلاده .

وبقيام الوحدة الافريقية (منظمة الوحدة الافريقية) ساد شعور عام بالرضا فى كل أنحاء القارة واعتبر الأفارقة انهم توصلوا الى الصيغة المناسبة لتحقيق الوحدة الافريقية . وهدأت نسبيا الدعوة الى هذه الوحدة باعتبار ان ما تحقق منها كان كافيا — على الأقل فى ذلك الوقت — بل وربما أكثر مما توقعه الكثيرون . واصبح شغل الزعماء الافريقيين المهتمين بالوحدة الافريقية هو الحفاظ على هذا الاطار الا واحدا هو الرئيس كوامى نكروما الذى لم يكتف بما تحقق باقامة المنظمة وظل يدعو لمشروعه فى اقامة الوحدة الافريقية فى حماس زائد دون كلل او ملل .

فقد كان نكروما يحلم باقامة الولايات المتحدة الافريقية وكان يريد حكومة واحدة لكل افريقيا تقوم بشوؤن الدفاع والخارجية كما يريد اقامة نظام نقدى واحد للقارة وبرلمانا لافريقيا كلها . واستمر نكروما فى عرض مشروعه هذا للوحدة فى جميع الاجتماعات الافريقية مرددا كلماته المشهورة فى طلب الوحدة « هنا والآن » حتى أصبح هذا المشروع من المشاكل المزمنة داخل منظمة الوحدة الافريقية .

فقد كان مشروع نكروما للوحدة يثير شكوك عدد كبير من الدول وخاصة الناطقة بالفرنسية التى كانت ترى انها ذهبت الى أبعد مما تريد بقبولها

عضوية منظمة الوحدة الافريقية الى سيطرت عليها الدول التقدمية ، ولم تكن مستعدة لمجرد مناقشة فكرة الوحدة حتى لا تجر على نفسها المزيد من المشـاكل .

وقبل انعقاد مجلس رؤساء الدول الافريقية فى أكرا عام ١٩٦٥ أوفدنى جمال عبد الناصر لمقابلة نكروما وتبادل الرأى معه حول ما يمكن عمله لانجاح المؤتمر حيث كانت هناك محاولات من مجموعة الدول الفرنسية لافشاله ، وكان من بين ما نقلته الى نكروما رأى عبد الناصر فى مشروع غانا للوحدة .

فقد كان عبد الناصر يرى ارجاء هذا المشروع فى ذلك الوقت وعـدم مناقشته فى مؤتمر اكرا لأن الدول الافريقية لم تكن مهيئة بعد لمثل الخطوة الدستورية . كما كان يرى أن الاصرار على فرض الوحدة أصبح يهدد وجود المنظمة ، فقادة أفريقيا من الزعماء المعروفين بحماسهم الشديد للوحدة من امثال سيكوتورى وموديبوكيتا ونيريرى هم انفسهم لا يؤيدون هذا المشروع .

وقلت لنكروما ان عبد الناصر يعتبر الوحدة الدستورية اصعب واعقد مراحل الوحدة وان الاصرار عليها أو حتى تحقيقها قبل الاوان يؤدى حتما الى انتكاس هذه الوحدة وانه يرى ذلك من منطلق تجربته العملية من الوحدة العربية . وانه من اجل هـذا المفهوم يفضل تأجيل التفكير فى اى وحـدة دستورية عربية فى الوقت الحالى الى أن تتهيأ لها الظروف الكاملة التى تضمن نجاحها واستمرارها .

وكان عبد الناصر يريد أن يجنب نكروما معركة فاشلة وأن يقلل من نقاط الصدام داخل منظمة الوحدة الافريقية .

وكان عبد الناصر لا يرى غضاضة فى قيام الوحدات الاقليمية التى تقوم على اساس جغرافى فى أفريقيا ولا يرى فيها أى تعارض مع وحـدة أفريقيا الشاملة اذا قامت هذه الوحدات من اجل المصلحة الحقيقية لشعوبها وليس خدمة لمصالح الاستعمار وبشرط الا يكون فى قيامها ما يعارض المبادىء الأساسية لمنظمة الوحدة الافريقية .

وكان عبد الناصر لهذا السبب شديد الاعجاب بالرابطة التى قامت لفترة طويلة بين دول اتحاد شرق افريقيا (كينيا واوغندا وتنزانيا) والتى استطاعت فى وقت من الأوقات ان توجـد التكامل الاقتصـادى فيما بينها فكانت لها

حملتها المشتركة ووحدت الكثير من الخدمات فى الاقطار الثلاثة . وعندما اختار عبد الناصر شكلا للوحدة بين مصر وكل من ليبيا والسودان فى عــام ١٩٧٠ لاقامة ما سمى « ميثاق طرابلس » كان فى ذهنه هذا الاتحاد الذى قام وربط بين دول افريقيا الشرقية الثلاث اعتقادا منه ان هذا النموذج هو افضــل السبل لتنمية الوحدة والوصول بها الى الوحدة الشاملة .

ويجدر بنا الاشـــارة هنا الى ان الانهيار الذى أصاب اتحــاد شرق افريقيا بعد ذلك ووصل الى حد وقف الخدمات المشتركة بين دولة فى عام ٧٧ ثم الى حد الحرب بين دولتين من دوله هما أوغندا وتنزانيا فى عــام ١٩٧٩ هو اختلاف العقيدة بين نظم الحكم فى الدول الثلاث ، فالنظام فى كينيا سار فى طريق راسمالى واعتمد فى التنمية على القطاع الخاص وحــده . وفى تنزانيا اتجه نيريرى نحــو نظــام اشتراكى نظم فيه ٩ مليــون فــلاح (من التعداد الكلى ١٦ مليون) فى وحدات جماعيــة تعاونيــة . أما أوغندا فان طرد عيدى أمين لــ ٥٠٫٠٠٠ اسيوى كانوا ركيزة اساسية لاقتصــاد البلاد دون الاعــداد الكافى لذلك ترك أوغندا فى حالة مــن الفوضى من الناحية الاقتصادية حتى ان ضروريات الاستهلاك لا يمكن الحصــول عليها الا من السوق السوداء . وكانت هذه التناقضات هى التى قضت على هذا النموذج الذى ثبت نجاحه وفعاليته فى وقت من الاوقات وقبل ان يصــل التباين فى العقيدة بين نظم الحكم الى ما وصل اليه .

اين تقع الوحدة الافريقية من الوحدة العربية :

قد لا يكون لهذا السؤال معنى او للاجابة عليه ضرورة الآن . ولكنه كان مطروحا وبشكل ملح عندما بدأ البحث عن الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الافريقية فى أواخر الخمسينات وبداية الستينات . وقد كان هذا هو الوقت نفسه الذى توجت فيه الجهود الوحدوية فى العــالم العربى باعلان الوحدة بين مصر وسوريا .

فعندما توجه الوفد المصرى لحضور اول مؤتمر للدول الافريقية المستقلة فى اكرا عام ١٩٥٨ برئاسة الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية وقتئذ ، كان اعضاء الوفد يحملون اول جوازات سفر تخرج باسم الجمهورية العربية المتحدة . واذكر انه عندما استقبل كوامى نكروما الدكتور فوزى — وكنت بصحبته — طلب منه ابلاغ عبد الناصر ان اسم مصر عزيز على الافارقة وانه

يرجو الا يختفى هذا الاسم بعد أن تغير اسم الجمهورية . ثم قال انه لا يتصور أفريقيا بدون مصر .

وكان حديث نكروما فى حقيقة امر يحمل هذا التساؤل : أين ستكون الوحدة الافريقية فى سياسة مصر ؟ خصوصا وانه كان يحلم بحكومة واحدة لكل افريقيا .

ولم يكن الرد اللبق من الدكتور فوزى هو الذى اقنع نكروما بأن مصر لم تتخل عن دورها ومسؤولياتها الافريقية رغم الوحدة العربية الجديدة وامتدادها الجديد خارج افريقيا ، وانما كانت سياسة مصر الافريقية واستمرار دورها فى مساندة حركات التحرير هو الذى اقنع نكروما بعد ذلك واقنع معه الافارقة فى جميع انحاء القارة بان الوحدة العربية لا تصرف مصر عن الاهتمام والسير فى طريق الثورة الافريقية وطريق الوحدة الافريقية .

واذا كان نكروما قد اثار تساؤلاته هذه بحسن نية ، فقد كانت هناك محاولات اخرى خبيثة قامت بها القوى الاستعمارية فى أفريقيا وبعض الجهات التى تعمل لحسابها لمحاولة تشويه صورة العرب فى القارة واثارة الكراهية ضدهم بعد أن فشلت فكرة تقسيم القارة بواسطة الصحراء شمالها عربى وجنوبها أفريقى .

فكنا نرى فى جامعة ماكيريرى بأوغندا على سبيل المثال لوحة وضعها الانجليز فى مكان بارز تمثل الارساليات التبشيرية الاوروبية وقد جاءت الى أفريقيا لتخلص الافارقة من الاغلال التى قيدهم بها العرب وقصد بها هنا تجارة الرقيق . وكنا نرى نفس الشىء فى لوحة اخرى بعرض الحائط فى متحف لنجستون بزامبيا ، وهكذا فى أماكن كثيرة وبوسائل عديدة منها مناهج التعليم التى وضعتها ارساليات التبشير وكلها تؤكد هذا المعنى ، فالعرب هم تجار الرقيق والاوروبيون هم المخلصون .

ولا اريد ان اترك هذه الاشارة دون ان أوضح أن العرب استخدموا الرقيق لاغراض تعتبر كمالية لا يقدر عليها سوى العدد القليل من المراء الاقطاع والاثرياء ، ولذلك كانت أسواق الرقيق فى العالم العربى محدودة جدا اذا قيست بأسواق الرقيق فى أمريكا وبعض الموانىء الاوروبية . كما أن العرب الذين اشتغلوا بتجارة الرقيق كانوا يعملون لحسابهم كأفراد لا علاقة لهم بالحكومات العربية بعكس الدول الغربية التى كانت

تتولى حكوماتها مسؤولية هذه التجارة تنظمها وتحميها لفترة طويلة من الزمن . حدث ذلك بالنسبة للبرتغال واسبانيا وانجلترا وهولندا ، وحققت هذه الحكومات أرباحا خيالية من وراء هذه التجارة .

كما أن تجارة الرقيق فى العالم العربى لم تكن مقصورة على العنصر الاسود وانما تعدت ذلك الى الجوارى والحسان من جنسيات مختلفة . فقد كانت مشكلة الرقيق فى العالم العربى مشكلة اجتماعية فى المقام الاول ولم تكن فى يوم من الايام مشكلة عنصرية كما كان الحال بالنسبة لامريكا وأوروبا الغربية .

وبلغت هذه المحاولات التى تهدف الى اظهار التناقض بين العرب والافارقة مداها بعد قيام الوحدة بين سوريا ومصر مباشرة فكنا نسمع الاسئلة الخبيثة التى تحاول اظهار التناقض بين القوميتين العربية والافريقية . وكانت تظهر هذه الجهود مركزة فى بلاد مثل الصومال وموريتانيا التى لم تكن قد حددت بعد مصيرها من القومية العربية . وحتى السودان لم يسلم من هذه الحملة الخبيثة ، فقد كانت هناك محاولات فاشلة تطرح فكرة القومية الافريقية دائما كبديل للقومية العربية وكان على السودان أن يختار بين هاتين القوميتين . وكانت هذه محاولات لابعاده عن مصر .

ولكن هذه المحاولات كلها لم تستطع أن تبعد مصر أو عرب أفريقيا عن المضى فى طريق الوحدة والتضامن الافريقى كما أن تأثيرها على الافارقة كان محدودا . ففى حقيقة الامر لا توجد قومية أفريقية - كما سبق أن أوضحنا - حتى تتعارض مع القومية العربية . أما اذا أريد تفسير القومية الافريقية على انها قومية الرجل الاسود ، فنستطيع القول بأن الحركة الافريقية قد تجاوزت هذا التفكير الضيق منذ الخمسينات كما سبق أو أوضحنا تفصيلا من قبل .

ورغم فشل هذه الحملة فى وقف مسار حركة الوحدة الشاملة فى أفريقيا الا انها كانت تسبب لنا احيانا كعرب بعض المشاكل العارضة وذلك فى بداية تكوين منظمة الوحدة الافريقية . ولكن سرعان ما اختفت هذه المشاكل تماما بعد أن توطدت صلتنا بالافارقة داخل المنظمة وزالت كثير من الشكوك التى كانت قد بنيت على غير أساس الا من الدعايات المغرضة التى صورت بغير حق العرب وخاصة مصر على انها تريد اعادة امبراطوريتها القديمة فى أفريقيا .

ففى عام ١٩٦٣ على سبيل المثال عندما اجتمعت الدول الافريقية فى اديس ابابا لوضع ميثاق المنظمة اعترضت بعض الوفود مثل أثيوبيا ونيجيريا وكثير من الدول الناطقة بالفرنسية على النص الذى يجعل من اللغة العربية لغة عمل مع الانجليزية والفرنسية فى اجتماعات وأعمال المنظمة . وكانت معظم الوفود المعترضة هى من البلاد التى يكثر فيها المسلمون الذين يتكلمون اللغة العربية ، وربما كان ذلك يعكس مخاوف هذه الدول من تزايد الصلة بالعرب وانعكاس ذلك على أوضاعها الداخلية .

وعندما عجزنا عن ايجاد حل لهذه المشكلة فى اللجان الفرعية ، عرض الموضوع فى اجتماع الرؤساء حيث خفت كثيرا حدة المعارضة فى وجود جمال عبد الناصر شخصيا وامتنع عن الاعتراض كثيرون ممن عارضت وفودهم من قبل مثل هيلاسيلاسى . لكن سيكوتورى انبرى — بطريقته الثورية والعنيفة — يؤيد ويطالب بضرورى استخدام اللغة العربية وهاجم الرافضين لذلك ثم ذهب الى حد الاعتراض على النص الذى لم يكن واضحا — من وجهة نظره — الوضوح الكافى وطلب أن ينص صراحة على استخدام اللغة العربية شأنها فى ذلك شأن اللغة الانجليزية والفرنسية .

ولم يعترض أحد على اقتراح سيكوتورى سوى عبد الناصر الذى رجا سيكوتورى الا يصر على تغيير النص لان تلك العبارة والتى كانت تقول : « ... لغة العمل فى المنظمة هى اللغات الافريقية كلما أمكن والانجليزية والفرنسية » . هى النص الذى وضعته مصر وتريد الابقاء عليه كما هو . وكان المقصود هو لفت الانظار الى أن اللغة العربية ليست لغة دخيلة على أفريقيا مثل الانجليزية والفرنسية وانما هى من لغات القارة الاصلية ، وهى بطبيعة الحال اللغة الافريقية الوحدة الممكن استخدامها كلغة فى المؤتمرات . وأصبحت اللغة العربية منذ ذلك الوقت لغة رسمية ولغة عمل داخل منظمة الوحدة الافريقية .

وحدث أيضا فى أحد الاجتماعات التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية وأثناء احدى المناقشات الحادة ، ان انفعل أحد الاعضاء — مندوب السنغال — بعد أن اختلف مع الوفد المصرى وهاجم مصر متهما أياها باستغلال المنظمة لفرض سياستها على الافارقة ، ثم تساءل مستنكرا عما اذا كانت مصر تنتمى حقيقة الى أفريقيا أم أن انتماءها هو انتماء عربى .

ورغم أن رئيس اللجنة وكان وزير خارجية مالى — أوقف المندوب عن الكلام بحجة أن حديثه خارج عن موضوع المناقشة كما انه ليس من حقه أن

يشكك فى الانتماء الافريقى لاحدى الدول الافريقية المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية ، فقد وجدتها فرصة وقتئذ لاوضح أمام هذا الجمع الافريقى رأى مصر واجابتها على هذا السؤال الخبيث الذى كان يتردد تارة بحسن نية وتارة أخرى بسوء نية .

قلت وقتها أن انتماءنا عربى وافريقى فى نفس الوقت فالعالم العربى هو العائلة التى ننتمى اليها . والولاء للعائلة لا يتعارض مع الولاء للمجتمع الاكبر سواء كان القبلية أو العشيرة او الوطن ، وهذا ما نجده فى أفريقيا مجتمعنا الاكبر . ثم أن الدعوة للوحدة العربية شأنها فى ذلك شأن الدعوة للوحدة الافريقية ليست دعوة عنصرية تتعارض مع بعضها . فاذا قرأنا ميثاق الجامعة العربية لن تجد فيه ما يتعارض بأى شكل من الاشكال مع ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، بل أننا سنجد تشابها كبيرا بين المبادىء التى يدعو لها كلا الميثاقين .

ولا شك أن وحدة مصر مع العرب تعتبر قوة لافريقيا فامتدادها الى العالم العربى خارج القارة الافريقية يضيف قوة جديدة الى القارة ، وقد لمسنا أهمية ذلك فى تأييد العرب لجميع القضايا الافريقية داخل الامم المتحدة وخارجها . ونفس الشىء بطبيعة الحال بالنسبة للوحدة الافريقية التى تعتبر قوة العالم العربى .

كما قلت اننا اذا كنا جميعا نؤمن بالتضامن الافريقى الاسيوى لاسباب عديدة نسلم به فان العرب هم همزة الوصل بين أفريقيا وآسيا .

وما أن فرغت من كلمتى هذه حتى تتابع معظم الحاضرين فى توضيح ما فعلت مصر من اجل افريقيا ومساهماتها فى حركة التحرير ومساعدة الدول فى الحصول على استقلالها . وجاءت الكلمات وكأنها مظاهرة لتمجيد دور مصر فى القارة وتأكيد أفريقيتها . وفى نفس اليوم اعتذر وزير خارجية السنغال الذى لم يكن حاضرا هذه الجلسة — عما قاله مندوبه ووصفه بأنه لم يعبر فيما قال عن رأى حكومته .

ورغم ان مثل هذا الحادث لم يتكرر بعد ذلك داخل المنظمة الا انه كان يعكس شيئا من المحاولات التى كانت تبذل ضد مصر لاقصائها عن دورها الافريقى ■

أما فى مصر نفسها فقد كانت صورة الحياة التى يراها ويعيشها المواطن المصرى ويلمسها ويحسها الوافد عليها وخاصة من الافارقة لا تعكس الهوية الافريقية بالقدر الكافى الذى يتناسب مع حقيقة ما كانت قـد وصلت اليه مصر من مكانة خاصة فى أفريقيا .

فقد جاءت صورة هذه الحياة والتى يمكن أن تراها فى مختلف دروب الفن والفكر والادب وتعكسها نشاطاتنا الثقافية والاعلامية ، جاءت فى تعبيرها دون الواقع الافريقى لمصر ، ولا تعكس حقيقة انتماءنا للقـارة الافريقية ، هذا فى الوقت الذى كانت تفيض فيه دائما الشخصية العربية على الفكر والوجدان المصرى وتعكس الحياة المصرية عروبتها فى أصالة وسخاء عظيمين .

ورغم أن هذا الوضع كان أمرا طبيعيا لاسباب عديدة منهـا حداثة الدعوة للانتماء الافريقى والوحدة الافريقية ، الا أن ذلك كان أمرا مقلقا لمن يهتم بأمر هذه الدعوة ويتعجل نتائجها .

وقد أبديت هذا القلق أمام جمال عبد الناصر فى بدايـة عـام ١٩٦٧ فوجدته مدركا لهذه الحقيقة وراغبا فى علاجها ولكن جاءت الهزيمة العسكرية فى عام ١٩٦٧ بعد ذلك مباشرة لتؤخر الكثير من مشروعاتنا فى هذا الطريق .

خاتمة

مصر بثقلها البشرى والحضارى وبموقعها الجغرافى المتميز هى اكثر دول القارة الافريقية قدرة على القيام بدور قيادى فعال ومؤثر فى سياسة القارة بشرط ان يكون هذا الدور متفقا مع حركة التاريخ ومتمشيا مع روح العصر وفى اتجاه رياح التغيير المتعاطفة التى اجتاحت افريقيا منذ الخمسينات واحدثت فى القارة هذا التحول العظيم الذى ارتفعت فى أعقابه أعلام الاستقلال وانطلقت بسببه الثورات من اجل التحرر والخروج من سيطرة الاستعمار والامبريالية .

ولا شك أن مصر فى عهد جمال عبد الناصر استطاعت ان تلعب ذلك الدور وتصبح محورا للاحداث فى القارة ومحركا لها . فقد وقف عبد الناصر دائما الى جانب قضايا الشعوب الافريقية ضد السيطرة الاجنبية ، وقضايا التقدم ضد التخلف ، وقضايا التحرر وتقرير المصير ضد الاستعمار والامبريالية والعنصرية الظالمة .

وكان لعبد الناصر حس مرهف فى قدرته على استشفاف نبض الجماهير وتلمس احتياجاتها . فكان أعظم ما تميزت به سياسته الخارجية هو الارتباط الوثيق بحركة الشعوب فى العالم العربى وفى افريقيا وفى العالم الثالث كله ، ثم القدرة على تحويل هذه الحركة الى قوة يواجه بها خصومه .

فكانت حركة الشعب المصرى والشعوب العربية هى التى اعادت عبد الناصر عندما تنحى فى أعقاب هزيمة مصر العسكرية عام ١٩٦٧ وكانت هى القوة التى أستند اليها ليواصل تحديه لقوى العنصرية والاستعمار والامبريالية .

ثم جاءت الثورة فى السودان والثورة فى ليبيا والثورة فى الصومال ، جاءت هذه الثورات وهى تعلن أنها امتداد لثورة ٢٣ يوليو المصرية التى اعتبرتها الثورة الام . وجاء ذلك فى اعقاب هزيمة ٦٧ العسكرية ليؤكد أن عبد الناصر ما زال يحتفظ بنبض الشعوب ويرتبط بحركتها الثورية .

واستمر عبد الناصر فى مواجهته الجريئة للاستعمار والامبريالية فلم يتخل — وهو فى هذه الظروف الصعبة — عن دوره التاريخى فى أفريقيا والوقوف بحزم لمساعدة الشعوب التى تتعرض لمؤامرات الاستعمار والامبريالية . فكانت وقفته الشجاعة لمساعدة نيجيريا فى القضاء على مؤامرة الانفصال فى بيافرا التى حركها ومولها تحالف الاحتكارات الراسمالية والاستعمار بالتعاون مع اسرائيل . كان هذا ومرارة الهزيمة العسكرية ما زالت تملأ الحلوق ، فجاء ذلك تعبيرا عن فهمه الصحيح لشمولية النضال ورؤيته الصحيحة لابعاد المعركة ضد قوى الاستعمار والامبريالية .

وكما وقف عبد الناصر بجرأة وصراحة ضد الاستعمار التقليدى فى أفريقيا حتى أصبحت القاهرة القاعدة الاساسية لحركات التحرير فى القارة ، وقف عبد الناصر أيضا ضد الاستعمار الجديد بجميع أشكاله وصوره . فرأينا كيف وقفت مصر مع جميع الدول الافريقية التى تعرضت للضغوط الاستعمارية والامبريالية سواء فى المجالات الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية . وكان هذا خطأ أساسيا فى سياسة عبد الناصر الافريقية وانعكاسا طبيعيا وصحيا لما كان قد تحقق على أرض مصر التى كانت قد حررت ارادتها كاملة .

وقد ساهم عبد الناصر فى بناء الشخصية الافريقية بأكثر مما ساهم به أى زعيم أفريقى آخر . وكان ذلك بأصراره على جعل سياسة عدم الانحياز جزءا لا يتجزأ من هذه الشخصية وأساسا بنيت عليه منظمة الوحدة الافريقيــة .

ولا شك أن سياسة عدم الانحياز كانت هى الطريق الوحيد المفتوح أمام الدول الحديثة الاستقلال التى تريد أن تخرج بالفعل من دائرة نفوذ الدول المستعمرة محتفظة بأرادتها كاملة . فلم يكن فى استطاعة دولة صغيرة من قبل أن تنتزع نفسها من دائرة نفوذ الدول الكبرى دون أن تقع فى دائرة نفوذ جديدة حتى ظهرت سياسة عدم الانحياز فأستطاعت الدول حديثة الاستقلال أن تحمى استقلالها بالوقوف مجتمعة فى مواجهة اى تدخل

اجنبى . وهذه هى الفلسفة التى قامت عليها سياسة عدم الانحياز منذ نشأتها عندما وجد فيها الزعماء الثلاثة نهرو وتيتو وعبد الناصر وسيلتهم لمقاومة سياسة الاحلاف .

وكان هذا هو الدافع الرئيسى للمساعدات التى قدمتها مصر لكل دول أفريقية تقاوم الاستعمار والامبريالية . وهكذا استطاعت افريقيا ان تحقق ذاتها بعد أن حققت قدرا من الاستقلال وحرية الارادة كان ضروريا لبلورة الشخصية الافريقية وهو أمر لم يكن ليتحقق على هذه الصورة لولا وجود قادة من أمثال عبد الناصر وانكروما وسيكتورى ومديبو كيتا ونيريرى وغيرهم من الزعماء الذين التزموا بسياسة عدم الانحياز وناضلوا من أجل دعم هذه السياسة فى القارة الافريقية .

ومما لاشك فيه أن احدى الانجازات العظيمة لعبد الناصر كانت تلك الصداقة الندية للاتحاد السوفياتى والمعسكر الاشتراكى . وهى صداقة استفادة منها أفريقيا كلها عندما كانت مشكلتها الاساسية هى تصفية الاستعمار وانهاء الحكم الاوروبى لافريقيا . واستمرت مصر ولفترة طويلة صلة أفريقيا الى المعسكر الاشتراكى بعد أن نجحت فى وضع الاسس السليمة والصحيحة لهذه الصلة والصداقة الندية ومنها تدعمت بعد ذلك العلاقة بين دول هذا المعسكر ودول أفريقية أخرى .

وقد استطاع عبد الناصر وزملاؤه من قادة عدم الانحياز فى أفريقيا أن يبقوا القارة بعيدا تماما عن الصراع الساخن للقوى العظمى وبعيدة عن مشاكل الحرب الباردة وذلك من خلال القدرة على التحرك الجماعى لمقاومة أى تدخل سافر من خارج القارة تقوم به قوى الاستعمار والامبريالية .

وقد كانت أزمة الكونغو فى الستينات مثلا حيا لاثبات القدرة على مواجهة التدخل الاجنبى فى أفريقيا وذلك عندما تحركت الدول الثورية فى أفريقيا بارسال قواتها الى الكونغو ثم مساعدة الثورة بكل الوسائل الممكنة ومقاومة الغزو البلجيكى الامريكى ، ثم نجاحها فى خلق رأى عام أفريقى لا يسمح بهذا التدخل ولا يقبل به . وعرفت الدول الاستعمارية أن مثل هذا التدخل فى أى مكان آخر من أفريقيا سوف يثير لها المتاعب ويخلق تيارا معاديا لها فى انحاء القارة .

وعندما رحل عبد الناصر واختفى من قبله انكروما وتقوقع زعماء آخرون اختل التوازن باختفاء أهم القوى الافريقية التى كانت تشد أفريقيا الى سياسة عدم الانحياز وظهر الصراع الساخن فى أفريقيا ، فما حدث من حروب فى القرن الافريقى وفى زائير وفى تشاد لم يكن بعيدا عن صراع القوى العظمى ، وأصبحت أفريقيا مسرحا للحرب الباردة والساخنة معا .

وكانت البداية فى أنجولا . فعندما تحدد موعد استقلالها فى عام ١٩٧٥ كانت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وهى حركة ماركسية تسيطر على العاصمة وعلى معظم البلاد والموانى الهامة . وتحركت حكومة زائير التى يراسها موبوتو لتساعد الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا المتمركزة فى المنطقة الشمالية حيث قبائل الكيكونجو الممتدة داخل زائير بزعامة روبرتو هولدن صهر موبوتو الذى كان يعيش فى كينشاسا وتساعده وتؤيده الولايات المتحدة الامريكية وبلجيكا .

كانت الولايات المتحدة الامريكية بطبيعة الحال لا تريد أن ترى نظاما ماركسيا يقوم فى انجولا الغنية بالمواد الاولية من ماس وفوسفات ونحاس وزنك ونيكل وبترول ، وكان موبوتو أيضا لا يريد أن يرى دولة ماركسية على حدود بلاده التى اختل فيها ميزان العدل الاجتماعى ربما أكثر من أى بلد افريقى آخر ، وحيث أصبح التفاوت بين الثراء الفاحش والفقر المدقع أمرا مفزعا تحدثت عنه كثيرا الصحافة العالمية ، هذا علاوة على الرشوة والفساد الذى أصبح سمة الحكم فى زائير .

وتحركت جنوب أفريقيا أيضا عبر الحدود المشتركة مع جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) لتساعد الاتحاد الوطنى لاستقلال أنجولا U.N.I.T.A. فى الجنوب حيث قبائل « الاوفيمبوندو » بزعامة جوناس سافيمبى المدعم من بلجيكا وامريكا ودول الغرب صاحبة المصالح فى المنطقة . وتم التنسيق بين الجبهتين الجنوبية والشمالية بقصد القضاء على الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ومنع قيام دولة ماركسية فى أنجولا .

وكما قدمت الولايات المتحدة الاسلحة الى كل من روبرتو هولدن وسافيمبى من خلال زائير وجنوب أفريقيا ، كانت الاسلحة الروسية تتدفق بكميات هائلة على الحركة الشعبية لتحرير أنجولا والتى تسيطر على أغلبية البلاد . ولم تبق الصين هى الاخرى خارج هذه اللعبة فارسلت بعض الاسلحة الى الجبهة الشمالية من خلال زائير كما أرسلت اليها بعض مستشاريها العسكريين وبذلك اتسعت دائرة الصراع .

وانتصرت الحركة الشعبية لتحرير انجولا وبسطت نفوذها على جميع اجزاء أنجولا ، وقامت الدولة الماركسية فى لواندا العاصمة ولكن بقى التربص بها فى جنوب افريقيا وفى زائير حيث توجد الاعداد الهائلة من اللاجئين الانجوليين . فلجأت الحكومة الجديدة الى طلب المساعدة العسكرية من كوبا ، التى أرسلت قوة كوبية ومستشارين عسكريين كوبيين لتدريب الجيش الانجولى ولحماية النظام مما أسماه الانجوليون الغزو الخارجى من زائير وجنوب أفريقيا .

ومن الصراع الموجود بين النظام فى زائير والنظام فى أنجولا استفاد تنظيم كونغولى معاد لموبوتو وحكومته هو جبهة التحرير الوطنية الكونغولية F.N.L.C. الموجود بين اللائجين الكونغوليين الذين يعيشون فى شمال غرب انجولا فى مواجهة اقليم شابا (وهو ما عرف قديما باقليم كاتنجا) وقد نشأ هذا التنظيم فى عام ١٩٦٨ وكانت قواته من جندرمة تشومبى الذين هربوا الى انجولا بعد تولى موبوتو السلطة فى ليوبولدفيل عام ١٩٦٥ .

اتجهت أنظار هذا التنظيم الى تاييد حكومة انجولا الجديدة وتحول بولائه الى حركة المقاومة الشعبية بعد أن كان يتعاون مع البرتغاليين من قبل . ورحب الانجوليون بذلك واستفادوا بهذا التنظيم لصد رجال العصابات من الجبهة الوطنية لتحرير انجولا التى تساعدها زائير . وفى المقابل سمحوا لهم بما يشبه الحكم الذاتى داخل اقليمهم فى شمال غرب انجولا . وهم يملكون فى هذا الاقليم مزارع واسعة ومناجم للماس وكانت عندهم قوة مسلحة قوامها ٥٠٠٠ رجل مسلح .

وكان هؤلاء هم الذين قاموا عام ١٩٧٨ بمهاجمة مدينة كلويزى Kolwezi فى اقليم شابا بغية اسقاط حكم موبوتو واقامة نظام راديكالى فى كينشاسا .

وفى مواجهة هذا الهجوم قام موبوتو بالاستعانة بقوات فرنسية وبلجيكية نقلتها طائرات (سى ١٤١) الامريكية واشتركت معها بعض الدول الافريقية المتحالفة مع الغرب وادعى موبوتو عندما طلب هذه القوات انه يتعرض لغزو كوبى دبر لحساب الاتحاد السوفيتى . وأرسلت الصين بعض الاسلحة والمستشارين العسكريين وبعض المساعدات الاخرى لزائير كما وصل وزير خارجيتها فى يونيو سنة ١٩٧٨ لكينشاسا لاظهار تضامنها وتأييدها للرئيس موبوتو .

وأمكن لهذه القوات وقف الزحف القادم من انجولا ولكن بعد أن ترك افريقيا نهبا لصراع القوى الكبرى . بل ان الصراع بين دول الاستعمار نفسها بدأ واضحا عندما حدثت أزمة بين بلجيكا وفرنسا بعد أن أسرعت الأخيرة بارسال قواتها الى زائير فى شهر مايو سنة ١٩٧٨ ، فقد اعتقد البلجيك أن فرنسا تريد زيادة نفوذها الاقتصادى هناك على حساب بلجيكا وحسب قول البلجيك — المعلن فى ذلك الوقت — انه تسربت اليهم معلومات تفيد ان وزارة الخارجية الفرنسية تعمل لاقناع موبوتو لشحن نحاس بلاده الى دنكرك بدلا من انتويرب Antwerp فى بلجيكا .

وفى واقع الامر فان رد فعل هذه الاحداث فى افريقيا لم يكن فى حجم الكارثة التى تهدد القارة . فعودة قوات دول استعمارية الى أفريقيا بحجة حماية أنظمة معينة يعنى بالضرورة وقوع القارة فريسة لصراع القوى العظمى ويجعلها مسرحا للحروب المحلية بين الدول الافريقية المتنافرة وهى كثيرة فى القارة .

فقد عادت فرنسا بقواتها الى أفريقيا معيدة الى الاذهان صورة كريهة من صور السيطرة الاستعمارية . فتواجدت قواتها فى تشاد لتحمى نظاما هشا ضد الثورة التى تحظى بتأييد الاغلبية العظمى للبلاد ، ثم أصبح الفرنسيون فى تشاد هم الذين يديرون الناحية المالية بجانب تحملهم مسؤولية الدفاع ، ولم تعد الحكومة التشادية تباشر عملها من الناحية الفعلية ، كما تواجدت القوات الفرنسية فى جيبوتى والسنغال وساحل العاج والجابون وتواجد مستشاروها العسكريون فى بوروندى والكاميرون والنيجر وفولتا العليا وتوجو وموريتانيا . فقد أصبح هناك ٢٠ دولة افريقية لها مع فرنسا اتفاقات خاصة بالمساعدة العسكرية وخمس دول أفريقية تربطها بفرنسا اتفاقات دفاع مشترك .

وبطبيعة الحال فان لفرنسا مصالح اقتصادية وثقافية كثيرة فى أفريقيا وهى تحاول الآن استعادة نفوذها والمحافظة على مورد المواد الاولية ، الا انها فى تحركها الجديد هذه المرة وعندما أرسلت قواتها الى زائير كانت تمثل المعسكر الغربى واستراتيجية حلف الاطلنطى بزعامة الولايات المتحدة الامريكية والتى عبر عنها مؤتمر الدول الخمس (أمريكا — وبريطانيا — فرنسا — المانيا الغربية وبلجيكا) الذى عقد فى باريس (يونيو سنة ١٩٧٨) .

وفى مواجهة التواجد العسكرى الفرنسى فى أفريقيا هناك التواجد العسكرى الكوبى وهو لا يقل عنه عددا وانتشارا ، فعلاوة على تواجد

القوات الكوبية فى أنجولا فهى موجودة أيضا فى أثيوبيا وموزمبيق والكونغو برازافيه وغينيا الاستوائية وغينيا بيساو وسيراليون وساوتومى وبنين .

ورغم ان هذا التواجد الكوبى يختلف فى شكله وأهدافه وأسبابه كل الاختلاف عن تواجد قوات الدول الاستعمارية الا أنه فى النهاية جعل من صراع القوى العظمى حقيقة فى أفريقيا .

فكاسترو يشعر ان له رسالة فى أفريقيا باعتبار كوبا دولة افروامريكية ومن اجل ذلك يرى أن عليه مساعدة الافارقة . والكوبيون يشدهم الحنين للعودة الى المنابع الاصلية للغالبية العظمى من الشعب الكوبى القادمة اصلا عبر موجات الهجرة الاجبارية من أفريقيا خلال القرون الماضية . وكذلك فان كاسترو ما زال يعتبر عدوه ، الاول وكان يعتقد أن خلق المشاكل لها فى أماكن بعيدة قد يبعدها عن كوبا نفسها . وبالاضافة الى هذا فاننا لا يمكن أن نستبعد عملا يتعلق بفلسفة الثورة الكوبية وهو ايمانهم بفكرة تصدير الثورة الى الشعوب الاخرى .

ولا شك ان الاتحاد السوفيتى يرتاح ويؤيد هذا التواجد الكوبى الذى يخدم استراتيجيته هو الآخر على الاقل فى تهديد طريق امدادات الغرب بالبترول والمعادن سواء عن طريق البحر الاحمر أو راس الرجاء الصالح . وهو الطريق الذى يعتبر مدخلا الى مناجم اليورانيوم والمعادن ذات الصبغة الاستراتيجية فى أفريقيا الجنوبية . كما يهم السوفييت أيضا مواجهة النفوذ الصينى المتصاعد فى هذه القارة والذى اصبح ينمو جنبا الى جنب مع النفوذ الامريكى .

لقد كانت مصر بزعامة عبد الناصر هى احدى القوات الاساسية فى أفريقيا القادرة على الحركة ، المستعدة دائما لمواجهة إى تدخل أجنبى تتعرض له القارة . واستطاعت مصر أن ترجح كفة عدم الانحياز فى أفريقيا ، ولا شك أن سياسة عدم الانحياز هذه والتى تبنتها منظمة الوحدة الافريقية كأن لها الفضل الاول فى انقاذ القارة ولفترة طويلة من أن تكون مسرحا للحرب الباردة أو ارضا لصراع القوى العظمى . فكانت الدول الافريقية تحت راية عدم الانحياز هى التى تتصدى للتدخل الاجنبى . راينا ذلك فى أزمة الكونغو كما رأينا كيف أن الامم المتحدة نفسها عند نظر القضية الكونغولية بعد الغزو البلجيكى الامريكى أوصت بحل افريقى للأمة عندما اكتفت بالاسف للأحداث (اشارة للغزو) وأحالت المشكلة الى منظمة الوحدة الافريقية لبذل جهودها من أجل تحقيق المصالحة الوطنية .

كانت افريقيا فى ذلك الوقت قادرة على احتواء المشاكل الافريقيــة وايجاد الحلول الافريقية لها . وصحيح ان الدول الافريقية الثورية فى أفريقيا كانت تستعين بتأييد الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية فى المجالات الدولية كما كانت تتلقى منها المساعدة ، ولكن الصراع فى أفريقيا بقى فى واقعة صراع بين الاستعمار والامبريالية فى جانب والقــوى الوطنية والثوريـــة الافريقية فى الجانب الآخر بعيدا تماما عن صراع الدول الكبرى . وكـــان الفضل فى ذلك يرجع اساسا لمجموعة الدول والزعامات التى استطاعت أن تحتفظ بتوازنها كاملا وهى على ذلك الخيط المشدود بين المعاداة الصريحـة الواضحة للاستعمار والامبريالية وبين الالتـــزام الكامل بسياســـة عـــدم الانحياز . وعندما فقدت هذه الـــدول قدرتها فى الالتزام بهـــذه السياســـة أصبحت افريقيا مسرحا لهذا الصراع .

وأعتقد ان المرحلة القادمة ستكون مرحلة تتميز بالصراع بين الانظمة المختلفة فى افريقيا وذلك كنتيجة مباشرة لانتقال الصراع بين الدول العظمى الى داخل القارة ، وهذا الانتشار الواسع للقوات الفرنسية التى أصبحت تمثل استراتيجية حلف الاطلنطى والقوات الكوبية المتحالفة مع الدول التقدمية فى أفريقيا . وثانيا لظهور دول عديدة ذات نظم ماركسية فى أفريقيا يزداد عددها باستمرار ، الامر الذى لا تطيقه كثير من الانظمة الافريقية الاخـــرى المرتبطة بالغرب كما لا تطيقة الدول الاوروبية صاحبة الشركات والمصالح الراسمالية فى مناطق الثروة .

كما اعتقد ان هذا الصراع سيكون فى كثير من الاحـــوال من النوع الساخن وعلى غرار ما حدث فى القرن الافريقى فى أعقاب القضاء على حكم هيلاسلاسى ، أو ما حدث بين أنجولا وزائير فى أعقاب ظهور الحكم الماركسى فى انجولا ، أو الحرب الخاطفة بين مصر وليبيا عام ١٩٧٨ ، والحرب بين تنزانيا واوغندا عام ٧٩ والتى اسقطت نظام أيدى أمين . فقد أصبحت افريقيا مثقلة بالسلاح وسهلت لغة الحرب كوسيلة للمواجهة بين الانظمـــة المتنافـــرة .

وعندما اجتمعت الدول الخمسة (أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية) فى المؤتمر الذى عقد فى باريس فى شهر يونيو سنة ١٩٧٨ لبحث موضوع زائير بقصد تقديم المقترحات للحكومات المشتركة ، بشـــأن الكيفية التى تقدم بها المساعدات لتأكيد أمن زائير واصلاح اقتصادهـــا ، اقترحت فرنسا انشاء قوة لمساعدة الدول الافريقية . والمقصود بذلك حماية الانظمة الافريقية المرتبطة بالغرب . ولكن المؤتمر لم يوافق على هذه الفكرة

التى لم ترحب بها الولايات المتحدة الامريكية بحجة أنها تفضل بحث كل حالة على حدة .

ويبدو أن أمريكا لا تريد التورط مباشرة بارسال قواتها أو حتى قوات تمثل حلف الاطلنطى الى افريقيا ، فما زالت عقدة فيتنام تلاحقها . ولكنها لا تمانع فى افرقة الصراع الدائر لحسابها وخاصة بعد أن وجدت دولا افريقية قوية مستعدة للقيام بهذا الدور . وأطلقت يد فرنسا فى أفريقيا بحجة حماية مصالحها وتحت ستار العلاقة التقليدية وارتباط المصالح بينها وبين كثير من الدول التى كانت تستعمرها .

واخطر النتائج المترتبة على صراع الانظمة فى أفريقيا هو تمييع المواجهة التى كانت حدودها الفاصلة واضحة بين القوى الوطنية والثورية فى جانب والقوى الاستعمارية والاحتكارات الراسمالية المتحالفة معها فى الجانب الآخر . فقد اصبحت هناك جيوش أفريقية تخوض معاركها فى هذا الصراع متحالفة مع قوات الاستعمار القديم . فرأينا القوات المغربية وقد ذهبت الى زائير مع القوات البلجيكية والفرنسية لحماية نظام موبوتو ضد ما سمى بالزحف الماركسى القادم من انجولا وذلك فى عام ١٩٧٨ ، ورأينا القوات الكوبية والاتحاد السوفيتى متورطين فى اثيوبيا مع النظام الماركسى ضد حركات التحرير فى ارتيريا . ووقفت نظم تقدمية كثيرة فى افريقيا حائرة فى نظرتها لهذه المشكلة الارترية ، فهى حائرة بين اعتبارها مشكلة من مشاكل التحدى الذى يواجهه نظام ثورى تقدمى فى أثيوبيا وبين اعتبارها مشكلة من مشاكل القوميات والتى يتحتم علاجها بغير أسلوب العنف الذى اتجهت اليه حكومة منجوستو العسكرية .

ان أفريقيا فى أشد الحاجة الى تحرك الحكماء كما سبق أن تحركوا فى بداية الستينات عندما احتدم الصدام بين الدول الافريقية الثورية والدول المرتبطة بالغرب وظهرت التكتلات السياسية المتنافرة فى القارة فجاءت حركة هؤلاء الحكماء من بعض الرؤساء الافريقيين لتذيب هذه التكتلات السياسية ، وتحد من الصراع الدائر بين دولها بالتوصل الى صيغة واطار جديد للوحدة الافريقية الشاملة وذلك بقيام منظمة الوحدة الافريقية فى عام ١٩٦٣ .

وبطبيعة الحال فان هذا التحرك المطلوب ليس بالامر السهل ولا أعرف على وجه التحديد من هم الحكماء القادرون على الحركة فى هذا الاتجاه الآن ولكننى اعتقد أن أسس هذه الحركة يجب أن تكون :

اولا : العمل الافريقى الجماعى لتخليص أفريقيا من أى قوات عسكرية من خارج القارة والضغط المستمر لتحقيق ذلك .

ثانيا : التقيد من جديد بمبادىء التعايش السلمى بين أنظمة الـدول الافريقية وفقا لمبادىء منظمة الوحدة الافريقية .

ثالثا : تدعيم منظمة الوحدة الافريقية بالشكل الذى يجعلها قادرة على المساهمة الايجابية فى حل المنازعات الافريقية واحتوائها . ولن يكون ذلك ممكنا الا اذا وقفت وراء المنظمة وآمنت بدورها قوى أفريقية قـادرة ومؤثرة ومستعدة لكى تتحمل مسؤولية تحقيق ذلك كما كانت تفعل كل من غانا ومصر فى بداية تكوين المنظمة .

رابعا : تنشيط دعوة عـدم الانحيـاز فى القارة وربط حركة الـدول الافريقية بحركة العالم الثالث .

وكانت هذه هى نفس الاسس التى قامت عليها سياسة عبد الناصر الافريقية والتى استطاع بها — مع قـادة آخرين — أن يبعد عن افريقيـا الحرب الباردة وأن يحتفظ بالقارة خارج نطاق الصراع الساخن بين القوى العظمى . ومع ذلك استمرت الثورة الافريقية فى طريقها لتحرير الانسان الافريقى من سيطرة أوروبا والرجل الاوروبى .

فهرســـت

رقم الايداع
٨٢/٤٤٧٩

مطبعة اخوان مورافتلى
ت ٩٠٤٠٩٦

عَبد الناصر والثورة الافريقية

تصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى العام الثلاثين لثورة يوليو. وكانت الطبعة الاولى قد صدرت فى بيروت عام ١٩٧٩، وكنت وقتها سجينا فى ليمان طره تنفيذا لحكم أصدرته محكمة استثنائية شكلها السادات عام ١٩٧١. وجاء هذا الكتاب محاولة لتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التى روجتها الهجمة الشرسة ضد ثورة يوليو. فأوضح الكتاب دور عبد الناصر وثورة يوليو فى معركة استقلال افريقيا وموقفها من حركات التحرر الوطنى الافريقى، ومن ازمة الكونغو ١٩٦١ ومن الحرب الأهلية فى نيجيريا، ودور عبد الناصر فى مسألة الوحدة الأفريقية والقضايا الهامة الأخرى، ثم نظرة ثورة يوليو ومسئوليتها نحو الإسلام والمسلمين فى القارة ودوافع التوجه الافريقى وأبعاد ذلك.

وهذا كله من واقع التجربة التى عشتها قريبا من عبد الناصر ومن واقع استمرار مسئوليتى عن الشئون الافريقية منذ بداية الثورة حتى استقالتى من منصبى كوزير للاعلام فى ١٣ مايو ١٩٧١.

نفذت الطبعة الاولى رغم أنها لم تدخل مصر. وقد طلب بعض الزعماء الافارقة ترجمة هذا الكتاب الى الانجليزية والفرنسية ليكون فى متناول القارىء الافريقى، فأحسست بواجبى فى أن اوفر طبعة جديدة للقارىء المصرى ـ بعد أن أصبحت الظروف تسمح بذلك ـ وحتى يقرأه الشباب الذين لم يشهدوا أحداث هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر وافريقيا.

محمد فائق

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت • مصر الجديدة
القاهرة ت: ٦٦٥٩٠٠

الثمن ١٧٠ قرشاً